

جـــــامعـة اليــــرمـوك
كليــــــــــــة الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

دلالات اللون في شعر الأعشى الكبير ميمون بن قيس

The Colour In The Great A'asha Meimon bin Qais

إعداد

محمد جار اللّه الثقفي

إشراف الأستاذ الدكتور

يونس شنوان شديفات

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الآداب/ تخصص أدب ونقد، جامعة اليرموك– إربد – الأردن

الفصل الدراسي الصيفي

١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

دلالات اللون في شعر الأعشى الكبير ميمون بن قيس

إعداد

محمد جار الله الثقفي

بكالوريوس تربية إسلامية، جامعة الطائف، ٢٠٠٥

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الآداب،

تخصص أدب ونقد، جامعة اليرموك، إربد، الأردن

وافق عليها

يونس شنوان شديفات ....مشرفاً رئيساً

أستاذ في الأدب الأندلسي، جامعة اليرموك

عبد القادر الرباعي ....عضـواً

أستاذ في الأدب العباسي، الجامعة الإسلامية

قاسم المومني..عضـواً

أستاذ في النقد القديم، جامعة اليرموك

تاريخ مناقشة الرسالة

١٦/ ٧/ ٢٠١٣

الإهـــــداء

إلى روح والديّ . . .

تغمدهما الله بواسع رحمته وأدخلهما فسيح جناته . . .

اللذين تعلمت منهما روح المثابرة والجد والاجتهاد . . .

أهدي عملي هذا . . .

الباحث

محمد الثقفي

شكـــر وتقديـــر

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القائل "من لا يشكر الناس لا يشكر الله".

لا يسعني وقد أنهيت إعداد هذه الرسالة إلا أن أعترف لكل ذي فضل عليّ بفضله، فإن أهل الفضل والعطاء هم أهلٌ للشكر والثناء.

أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذيَّ الفاضل الأستاذ الدكتور يونس شنوان شديفات الذي منحني شرفاً عظيماً بالإشراف على هذه الرسالة، وعاش معي متاعبها، فقد قدم لي من وقته الثمين، وعلمه الغزير، وخبراته الغنية الشيء الكثير، مما أنار لي دروب البحث، وساعدني في التغلب على كثير من صعوباته، فله مني كل الشكر والثناء والتقدير والاحترام.

كما أتقدم بالشكر والعرفان لأعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي، والأستاذ الدكتور قاسم المومني، اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتحملا عناء قراءتها، وتقويمها، وإبداء ملحوظات قيمة أسهمت في إثراء هذه الرسالة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث

محمد الثقفي

المحتوى

الملخص

"اللون في شعر الأعشى الكبير ميمون بن قيس "

إعداد: محمد جار اللّه الثقفي

إشراف: أ.د يونس شنوان شديفات

لقد تناول الباحث في هذه الرسالة دراسة لظاهرة اللون في شعر الأعشى الكبير، محاولاً إحصاء الألوان الواردة في شعر الشاعر، والكشف عن جمالياتها ودلالاتها، وذلك من خلال انعكاساتها وإيحاءاتها في الصور التي يرسمها الشاعر، وذلك عن طريق تحليل الأبيات الشعرية.

وقد تألفت هذه الدراسة من ثلاثة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: تناول الباحث فيه دلالات اللون الأبيض، ودلالات اللون الأسود، وثنائية اللونين الأبيض والأسود.

الفصل الثاني: وفيه تناول الباحث ثنائية اللونين الأبيض والأحمر، وثنائية اللونين الأبيض والأخضر، وثنائية اللونين الأبيض والأصفر.

الفصل الثالث: وقد خصصه الباحث لدراسة تطبيقية لنصين من نصوص الشاعر.

ملحق: قدم فيه الباحث إحصائية للألفاظ الدالة على الألوان، الأبيض، الأسود، الأخضر، الأصفر، والأحمر، وكذلك الألفاظ الدالة على تعدد الألوان، واللفظة الدالة على اللون، وعدد تكرارهافي الديوان، ورقم الصفحة، ورقم البيت.

المقدمة

لقد كان للون أهميته في رسم الصورة الشعرية، عند شعراء العصر الجاهلي عموماً، وحضور بارز في قصائدهم، وهذا الحضور كان متفاوتاً، بين شاعر وآخر، مما يدل على وعي الشعراء بأهمية اللون، وأنه عنصر مهم في رسم الصورة وإعطائها أبعاداً وإيحاءات، أوسع وتقريبها من ذهن السامع، سواءً كانت هذه الإيحاءات والدلالات إيجابية أم سلبية.

وعند تتبع الباحث لشعر الأعشى على وجه الخصوص، لاحظ حضور اللون بصورة مكثفة، حيث لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد الشاعر، من حضور للون بارز وملحوظ، مما يدل على أن الشاعر يدرك أهمية استخدام الألوان وتوظيفها في قصائده حيث إنها أصبحت ظاهرة بارزة في شعره.

لذلك كان من الضروري دراسة هذه الظاهرة وتتبعها، والكشف عن المؤثرات التي كانت وراء هذا الظهور.

لذلك قام الباحث بإحصاء الألوان التي وردت في نصوص الشاعر، ودراستها دراسة تحليلية، وذلك من خلال النص الشعري، وتفنن الشاعر في استخدامه للألوان، ونشرها في أبياته، من خلال الوصف، والتشبيه.

ونستطيع القول بأن حضور اللون عند الأعشى قد تمثل في عدة أمور، كانت مرتكزاً لخيال الشاعر وأحاسيسه ونتاج مؤثرات سيطرت على فكره وإبداعه.

فقد كانت المرأة محلاً للإعجاب والمتعة، ومحلاً للهو، وذلك من خلال ربطها بمجالس الأنس والخمر، كما أن للبيئة التي عاش فيها الأعشى نصيباً من هذا التأثر والإعجاب، ومما أثرى تلك الصور التي أبدع الشاعر في رسمها، ثقافته، فقد كان كثير الترحال والسفر جاب كثيراً من البلدان، ليكون اللون هو الرابط بين هذه المؤثرات. لذلك رأى الباحث أن يخص اللون في شعر الأعشى، بدراسة مستقلة، وذلك لعدم وجود دراسة سابقة، للون في شعر الأعشى، إلا أنها هناك عدد من الدراسات التي تناولت اللون، مثل اللون في شعر ابن زيدون ليونس شنوان، وتجليات اللون في شعر شعراء المعلقات العشر لمحمد الهدروسي، راجياً من الله التوفيق والسداد.

وقد جاءت هذه الدراسة على النحو التالي:

١. المقدمة- واشتملت على أهمية الدراسة، والدوافع لاختيار الموضوع والمنهج الذي اتبعه الباحث في دراسته.

٢. الفصل الأول:

- دلالات اللون الأبيض، ودلالات اللون الأسود.
- ثنائية اللونين الأبيض والأسود.

٣. الفصل الثاني- ثنائية اللونين الأبيض والأحمر.

- ثنائية اللونين الأبيض والأصفر.
- ثنائية اللونين الأبيض والأخضر.
- تعدد الألوان.

٤. الفصل الثالث – دراسة تطبيقية لنصين من نصوص الشاعر.

- ملحق – بين فيه الباحث الألفاظ الدالة على الألوان التي تمت دراستها.
- النتائج والتوصيات وقد تضمنت المؤثرات التي كونت الصورة عند الأعشى.
- الخاتمة واشتملت على ما تم دراسته في هذه الرسالة.
- قائمة بأسماء المصادر والمراجع التي استقى منها الباحث دراسته.

وقد اتبع الباحث المنهج التحليلي في دراسته، من خلال استقراء النصوص، والكشف عن الحالة النفسية والدواعي الداخلية لدى الشاعر، والتي جعلته يربط بين هذه المؤثرات – البيئة المرأة، الخمرة- وكيف كان لثقافته الدور البارز في دمج الصور والتشبيهات، واستخدامه للألوان بدلالتيهما الإيجابية والسلبية، ومدى تعلق الشاعر باللون وإحساسه بالطمأنينة، أو الخوف، ومدى تحكمه في انفعالته، ووجدانه.

والله الموفق

الفصل الأول

اللون الأبيض

البياض: ضد السواد ما يكون ذلك في الحيوان والنبات وغير ذلك مما يقبله غيره.

والأبيضان: الشحم والشباب، البيضاء الحنطة وهي السمراء أيضاً، وما رأيته منذ أبيضين، يعني يومين أو شهرين، وذلك لبياض الأيام.

وكتيبة بيضاء: عليها بياض الحديد، والبيضاء: الشمس لبياضها، والبيض ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة.

وكلمته فما رد على سوداء ولا بيضاء أي كلمة قبيحة ولا حسنة، وكلام أبيض: مشروح.

البيضاء: الحجة المبرهنة، وهي أيضاً اليد التي لا تمن والتي عن غير سؤال، وذلك لشرفها في أنواع الحجاج والعطاء.

وأرض بيضاء: ملساء لا نبات فيها كأن النبات كان يسودها، وقيل هي التي لم توطأ.

وبياض الأرض: مالا عمارة فيه، وبياض الجلد، مالا شعر عليه.

إذا قالت العرب فلان أبيض وفلانة بيضاء فالمعنى نقاء العرض من الدنس والعيوب.

وإذا قالوا فلان أبيض الوجه وفلانة بيضاء الوجه أرادوا نقاء اللون من الكلف والسواد.

والبيضة من السلاح، وبيضة القوم: ساحتهم، وأصلهم وأصل القوم ومجتمعهم، والأبيض السيف")[١].

---

[١] ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الأفريقي، (ت٧١١)، "لسان العرب" تحقيق عامر أحمد حيدر، منشورات دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، مادة (بيض).

كما أن اللون الأبيض له أهمية بالنسبة لرؤية الألوان حيث "يمثل اللون الأبيض الضوء الذي ما كانت رؤية الألوان ممكنة من دونه، ويمثل أيضاً اجتماع الألوان– الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق وهو يحتل المرتبة الثانية بحسب تمييز الألوان عند الشعوب المختلفة"(١).

أما بالنسبة للمرتبة التي يحتلها اللون الأبيض فإنه "يحتل المرتبة الأولى في قائمة النمري وابن هذيل للألوان"(٢).

"وهو أول الألوان الموسومة بالفئة الباردة، والتي تثير الشعور بالهدوء والطمأنينة"(٣).

ولكي تميز العين رؤية اللون الأبيض فانه "يتألف الضوء الأبيض من مجموعة من الأضواء المختلفة الألوان"(٤).

وقد أثبت العالم (فرانسوارود) الذي اعتبر أن الألوان الأساسية هي: الأحمر، والأخضر، والبنفسجي أنه عندما يكون مقدار تأثر كل من المجموعات الثلاث واحداً ،يحدث الإحساس بالضوء الأبيض"(٥).

كما أثبت العالم (ماكسويل) "أن الألوان الأساسية التي يحدث عنها الضوء الأبيض هي: الأحمر القرمزي– والأخضر الزمردي– والأزرق البنفسجي"(٦).

---

(١) عمر، أحمد مختار، "اللغة واللون"، ص٣٥-١١١.

(٢) النمري، الحسين بن علي "الملمع"تحقيق، وجيهة أحمد السطل، مجمع اللغة العربية، دمشق، (د.ط). ١٩٧٦م، ص١. الأندلسي، بن هذيل "حلية الفرسان وشعار الشجعان"مؤسسة الانتشارالعربي، بيروت لبنان، ص٤٩.

(٣) عبد الوهاب شكري، "الإضاءة المسرحية"، ص٨٥.

(٤) طالو، محي الدين، "الرسم واللون"، ص١٦٤.

(٥) المرجع نفسه، ص١٦٦.

(٦) طالو، محي الدين، "الرسم واللون"، ص١٦٨.

وفي دراسة (شارل بورجوا) لخص نظريته "بأن الضوء الأبيض يحتوي على ثلاثة ألوان أساسية هي الأحمر والأزرق والأصفر"(١).

كما أن اللون الأبيض له دلالاته فهو "رمز الطهارة والنور والغبطة والفرح والنصر والسلام، وكلمة أبيض في اليونانية معناها السعادة والفرح وهو شعار رجال الدين"(٢).

مما سبق يتبين أن اللون الأبيض له دلالات متنوعة يرتبط في الأغلب بالسرور والفرح والانشراح، والبهجة، والنقاء والقوة، والوضوح، وصفاء السريرة ونقاء الغرض وحسن النية.

وقد استخدم الأعشى* اللون الأبيض بدلالتيه: السلبية، والإيجابية، وفيما يلي يورد الباحث بعضاً من الشواهد، التي تضمنت الألفاظ الدالة على اللون الأبيض، وذلك من خلال دلالتها الإيجابية.

---

(١) طالو، محي الدين " الرسم واللون "، ص١٦٨-١٦٩.

(٢) المرجع نفسه، ص١٧١.

*الأعشى، هو ميمون بن قيس بن جندل بن شرحبيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويكنى أبا بصير، من أشهر شعرآء المعلقات، سمي " صناجة العرب " أدرك الإسلام ولم يسلم، وعمي في أواخر عمره، ولد بقرية (منفوحة) بإقليم اليمامة، وتوفي سنة ٧هـ -٦٢٩م ومعلقته المشهورة.

مابكاء الكبير بالأطلال   وسؤالي فهل ترد سؤالي

جمع بعض شعره في ديوان سمي " الصبح المنير في شعر أبي بصير "

- انظر الزركلي، خير الدين "الأعلام " دار الملايين، ص ب١٠٨٥-بيروت ج٧ص٣٤١، والأصفهاني، أبي فرج علي بن الحسين " الأغاني " ت، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١ج٩ص٨٠، والقرشي، أبي زيد محمد بن أبي الخطاب "جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام " ت، محمد علي الهاشمي، دار القلم، دمشق ط٢، ج١، ص٣٢١.

اللون الأبيض ودلالاته الإيجابية

بما أن اللون الأبيض له حضوره في شعر الأعشى وفي الشعر العربي القديم -على وجه العموم- فإننا نجد الأعشى لم يخرج عن هذه الأطر، وبما أن الشاعر قد عشق الأسفار، وجاب كثيراً من البلدان على ظهر ناقته، فقد ألبسها هذه الحلة البيضاء، في كثير من أبياته، فقد كانت هذه الناقة بمثابة الصديق الذي يعين صديقه على قطع الطريق، ويقاسمه المشقة والعناء، وكثيراً مانجد هذا التعلق بالناقة، أوالراحلة عموماً في الشعر الجاهلي، مما جعل شعراء هذا العصر يخصونها بالمدح والوصف في قصائدهم.

يقول الأعشى:

وعسيرٍ أدماءَ حادرةِ العيـ ـن خنوفٍ عيرانةٍ شملال[1](الخفيف)

من سراةِ الهجان صلَّبَها العـ ـض ورعيُ الحِمىَ وطولُ الحيال

يصف الشاعر ناقته التي يمتطيها ليقطع بها الصحراء بأنها شديدة البياض، مما يدل على أنها من خيرة الإبل، كما أنها قوية صلبة العين نشيطة تميل رأسها وعنقها عند السير سريعة في العدو، مما يجعله يتغلب على مشقه السفر وطول المسافة، وأنها من خيرة النوق فهي لا ترعى مع الإبل بل ترعى الحمى، كما أنه منع عنها الفحل فهي لا تنجب بل جعلها الشاعر مجهزة للسفر كما هو الحال عند شعراء الجاهلية، "فقد صوروا الناقة- في شعرهم- قبل السفر قوية خصها صاحبها

---

(١) حسين، محمد محمد، "ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس" مؤسسة الرسالة ،بيروت ،شارع سوريا،ط ٧، مزيدة ومنقحة١٤٠٣هـ-١٩٨٣م،ص٥٥،عسير: ترفع ذنبها في عدوها، أدماء: خالصة البياض، حادرة العين: صلبة العين، خنوف: نشيطة تخنف برأسها وعنقها من النشاط، عيرانة: تشبه العير وهو حمار الوحش، شملال: سريعة، سراة الهجان: سراة كل شي أعلاه وخياره، الهجان من الإبل البيض الكرام، العض: العلف، الحيال :غير حامل. انظر، ابن سيدة، أبس الحسم علي بن اسماعيل الأندلسي (ث ٤٥٨) (المخصص)، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، السفر السابع، ص٢١٩.

بمزيد من عنايته فعلفها وأراحها ومنع عنها الفحل"[١]. لتكون قوية، مستعدة للرحلة في أي وقت، وتعين صاحبها على قطع الصحراء القاسية، التي لايجد الرجل العربي في الجاهلية بداً من مواجهة مخاطرها،كما نجد أن الناقة لازمت الشاعر في رحلته، حيث إنه لا يستطيع السفر بدونها، لذلك وصفها بأوصاف تزيدها قوة وهيبة، تخفف عنه عناء الصحراء وأهوالها.

ويقول أيضاً:

وعــــسيرٍ مــــن النَّـــواعِجِ أدمَـــــا ء مـــروحٍ بعـد الكـلال رجـوفِ[٢](خفيـف)

قـــد تعاللتُهـــا علـــى نكـــظِ الميـــطِ فتأتـــي علـــى المكـــان المخـــوفِ

هذه الناقة السريعة التي ترفع ذنبها أثناء السير، وكأنها مستعدة لتتحدى مصاعب الطريق، شديدة البياض مما يجعلها تبعث الراحة والاطمئنان والأمل لدى الشاعر بالتغلب على هذه الرحلة وعلى هذا المكان المخيف، فكأنها تؤنسه وتبدل خوفه إلى اطمئنان، "حيث كانت صحبة الجاهلي للناقة طويلة، وكانت حياته قائمة عليها"[٣].

فالمكان في مخيلة الشاعر ذو وجهين حسي، وذهني كلاهما يبعث على الخوف والارتياب، لكن هذه الناقة البيضاء السريعة تعينه على تحديه وقهره والتغلب على ما يخافه الشاعر، حتى إنها تقبل على هذا المكان المخيف وكأنها مستعدة لقطعه والتغلب عليه.

---

(١) حسين، محمد محمد، "أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة بين الأعشى والجاهليين" الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٠، ص٥٣.

(٢) ديوان الاعشى،٣٦٥، الناعج: السريعة التي تدرك نعاج الوحش لسرعتها، أدماء: بيضاء، مروح :المرح النشاط، رجوف: يهتز الرحل فوقها لنشاطها.

(٣) حسين، محمد محمد، "أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة بين الأعشى والجاهليين".

وبما أن الشاعر قد عشق السفر واعتاد عليه فهو يجد فيه ما يؤنسه فلم يكن يخلد للراحة، يقول:

ولمَّـا رأيــتُ الرَّحــل قــد طــال وضــعُه   **وأَصَبحَ من طول الثّوايـةِ هامـداً**[١]**(الطويل)**

كـسوتُ قُتــودَ الرَّحــلَ عنــساً تخالُهــا   **مهـــاةً بدكـــداك الـــصُّفيَّين فاقِـــدَا**

هنا نجد الشاعر قد نفض عن ناقته الراحة، فلما رآها قد تغيرت، وبدأت عليها ملامح الكسل، بدأ يعدها للرحلة ويجهزها للسفر،ولعل إحساس الشاعر بضعف البصر جعله يستخدم كلمة "رأى" بكثافة شديدة"[٢].

ثم يحاول الشاعر تغيير الصورة التي أصبحت عليها ناقته بعد الجمود والسكون، فهذه الناقة كأنها المهاة البيضاء، فهي توحي للناظر بلونها البراق بالقوة والنشاط، مما يجعلها تتغلب على قسوة الصحراء، وتبعث في النفس الارتياح والنشاط "فمن أجل أن تكون الناقة نشطة وسريعة جعلها بقرة هلعة تبحث عن ولدها غير عابئة بكبير تعب أو طويل درب"[٣]، مما يدل على قوتها وصلابتها.

ويستطرد الشاعر في وصف ناقته ذات اللون الأبيض، وقطعها الصحراء. يقول:

وخــرقٍ مخــوفٍ قــد قطعــتُ بجــسرةٍ   **إِذَا الجبسُ أعيَـى أن يـرومَ المَسَالكِا**[٤] (طويل)

قطعــتُ إذا مَــا اللَّيــلُ كانــت نُجُومُــهُ   **بَـــوَانِيَ فِـــي جَـــوِّ الـــسَّمَاءِ سَوَامِكَـــا**

بأَدمـــاءَ حرجـــوجٍ بريـــت سنامهـــا   **بـــسيري عليهـــا بعـــد مـــا كـــان تَامِكَـــا**

---

(١) ديوان الأعشى، ص١١٧، الثواية :الاقامة، القتد: خشب الرحل والجمع قتود، العنس :الناقة الصلبة القوية، المهاة: بقر الوحش، الدكداك: من الرمل ماتلبد بالأرض ولم يرتفع، فاقد: فقدت ولدها.

(٢) انظر، الفريح، سهام عبد الوهاب، "الأعشى ومعجمه اللغوي" مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ص١١٠-١١٣.

(٣) الصائغ، عبد الإله، "الصورة الفنية معيارا نقديا، منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ط١، ص١٩٨

(٤) ديوان الأعشى ص١٣٩، خرق :صحراء واسعة ينخرق فيها الريح، جسرة :ناقة ضخمة، الجبس: الجبان، بواني: تامة لاتكاد تتحرك، سوامك :مرتفعة، أدماء :ناقة بيضاء، حرجوج: طويلة، تامك: مرتفع ضخم مكتنز.

نجد الشاعر في هذه الأبيات يحاول التغلب على هذه الصحراء القاحلة التي لا يستطيع الجبان السير فيها، إذ يعاني صعوبة السيرفي الليل المظلم الذي لا يرى فيه سوى النجوم الراكدة، وكأنها قد توقفت عن السير، لشدة ظلام الليل، مستعيناً بناقته البيضاء الصلبة، يجعلها معواناً له على التغلب على رحلة السفر.

"وقد يسبغ الأعشى عناءه على الناقة أو الظبي أو الحشرة أو الحيوانات الصحراوية الأخرى، رغبة منه في إشراك الطبيعة لمتاعبه وهواجسه أولاً، وفي الوقوف بعيداً عن ذاته لرؤيتها في الطرف الآخر ثانياً، وفي المبالغة في رسم اللوحة المؤثرة ثالثاً، وفي تضخيم سلطان الأعشى وجبروته قبالة العنائين الجسدي والنفسي"[1]، فالصحراء القاحلة، والليل البهيم الموحش، لا يخلوان من الهم النفسي والتعب الجسدي، بينما النجوم المضيئة والناقة البيضاء القوية قد تكون في نظر الشاعر عاملاً لتهدئة النفس وإعطائها جرعة من الحماس والثقة والصبر للتغلب على ما يواجه الشاعر، لاسيما وأن الشاعر الجاهلي قد عشق الصحراء، حتى أنها أصبحت له بمثابة المنافس الذي لابد أن يتغلب عليه "وقد كان اقتحام الصحراء والصبر على مكارهها، والجرأة على مخاطرها، ضرباً من المغامرة التي يطيب للشاعر أن يفخر بها في شعره، ويقرنها بذكر الخمر والنساء. يقول :

ذلِكَ مِنْ أشْبَاهِ قَتْلَةَ أَوْ قتلَةُ مِنهُ سافِراً أجمَلْ[2] (سريع)

بيضاءُ جمَّاءُ العظامِ لَها فرعٌ أثيثٌ كالحِبَالِ رَجِلْ

فعند رؤية الشاعر لهذه الظبية الناعمة فإنها تعكس في مخيلته صورة محبوبته، ليكون اللون الأبيض قاسماً مشتركاً، إلا أن المحبوبة تتفوق على هذه الظبية؛ فهي بيضاء كثيرة اللحم.

مما يجعل الناظر يستمتع برؤية جسمها- لاسيما إذا كانت سافرة- ويستمتع بهذا المنظر الذي يدل على أن المحبوبة ذات جمال ودلال، وتتمتع بالرعاية والاهتمام، فهو يحاول جمع

---

(١) الصائغ، عبدالاله، "الصورة الفنية معيارا نقديا، منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ط١، ص٢٩٦.

(٢) ديوان الأعشى، ص٣٢٥، سافر: سفرت المرأة كشفت عن وجهها.

الصفات التي تزيد المحبوبة جمالاً وإبهاراً. "والصفة الغالبة على غزله الكلف بالصورة البادية من المرأة، والهيام بالشكل الخارجي لها"[١]. الممتع للنظر الباعث للراحة والسرور، حيث إن الظبية "أكثر الحيوانات حسناً وشبهاً بالحسناوات"[٢].

ولعل اختيار الشاعر لهذا التشبيه يعود إلى صورة عبادة المرأة في العصر الجاهلي، ويقرن عبادة المرأة بوظيفة الأمومة، والإخصاب يفسر الصورة النمطية التي ترسم للمرأة بما لهامن عناصر الجمال الأنثوي الذي يبعث الراحة والسرور في النفس، ويهيج العواطف تجاه هذا الجمال. وبالرجوع إلى أقدم صور العبادات الوثنية إلى الرحلة الطوطمية" يمكن تفسير الحرص على اختيار الغزالة والمهاة، والنخلة والظبية للمرأة شبيهاً[٣]".

ويستمر الشاعر في وصفه للمحبوبة دون ذكر اسمها بذكر صفاتها يقول:

غَـــرّاءُ تَـــبهَجُ زولَـــهُ	**والكـفُّ زيَّنَهـا خِـضَابُـهْ**[٤](كامـل مجـزوء)
ولـــو أنّ دون لقائهـــا الـــ	**قـــرُّونُ دافِعَـــةً شَـــعابه**
لعبرتـــه ســـبحاً ولـــو	**غمـــرت مـــع الطرفـــاء غابُـــهْ**
ولـــو أنَّ دون لقائِهـــا	**جـــبلاً مُزَلّقَـــةً هِـــضَابُـهْ**
لنظـــرتُ أنّـــي مُرتَقَـــا	**هـ وخيـــرُ مـــسلَكِهِ عِقَابُـــهْ**
وَلَـــو أنَّ دُونَ لِقَائـهَـــا	**ذَا لبـــدَةٍ كالـــزُّجِّ نَابُـــهْ**
لأَتَيَتُـــهُ بالـــسَّيـفِ أمـــ	**شـــي لا أُهَـــدُّ ولا أهابُـــهْ**

---

(١) حمود، محمد، "سلسلة شعراء العرب الأعشى شاعر الحب والخمر"، دارا لفكر اللبناني، بيروت، ص٦٧.

(٢) الصائغ، عبد الإله، "الصورة الفنية معيارا نقديا منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ص٢١٠.

(٣) الخطيب، عماد علي، "الصورة الفنية أسطوريا، دراسة في نقد وتحليل الشعر الجاهلي"، تقديم، عبد القادر الرباعي، جهينة للنشر والتوزيع، ص٦٧.

(٤) ديوان الأعشى، ص٣٣٧، غراء: بيضاء، ذا لبدة: الأسد.

فالمحبوبة في هذه الصورة شديدة البياض، مما يجعل الصدر ينشرح لرؤيتها موحياً بالجمال وعذوبة الروح، ليزيد من هذا الجمال ذلك الخضاب الذي خضبت به كفيها، لتكون هذه الصورة دافعاً للمغامرة، وكأن الشاعر ليصارع المصاعب التي تواجهه للوصول إليها، فهو لا يعبأ بهذه المخاطر ولو نزل أخطر الأودية المتدافعة بالسيول، أو حال بينه وبين محبوبته الجبال العالية التي لا تستطيع الأقدام السير فيها، أو تعرض لسبٍ من الناس ومعايبته، ولو وقف دونه أسد يحيط برقبته شعر كثيف ،وكأن نابه نصل السهم، وكأن الشاعر يرسم الأسد ويصوره بالفارس المقدام ليواجهه الأعشى بالسيف للتغلب عليه لا يهابه ولا يخافه ،مقابل الوصول إلى محبوبته، وكأنه يرى لونها الأبيض البراق وقد حالت هذه المخاطر دونه. وفي وصف مفاتن المحبوبة مستغنياً عن ذكر اسمها بذكر أوصافها، يقول:

وَتَفتَــــرُّ عَـــــنْ مُـــــشرِقٍ بَــــــارِدٍ كَـشَوكِ الـسَّيَالِ أُسِـفَّ النَّــؤورا[1](متقارب)

كـــــأن جنيــــاً مـــــن الزَّنجبيـــــــــلِ خَـــالَط فَاهَـــا وَأَرْيـــاً مَـــشُورَا

وإســــــفِنطَ عانَـــــةَ بَعْـــدَ الرُّقـــــادِ وسَــــاقَ الرِّصَـــافُ إلَيْهَـــا غَدِيـــرا

هذه المحبوبة عندما تكشف عن ثناياها البراقة وريقها البراق فكان الشاعر يتذرف ريق المحبوبة بالبصر، وهذا ما يسمى تراسل الحواس إلا أن أسنانها التي يشبهها بشوك السيال بين هاتين الشفتين الداكنين يزيد من إعجاب الشاعر بالمحبوبة، وكان الشاعر يستوحي الطبيعة للمقارنة بين المرأة والشجرة، من حيث الاعتناء بهما وأنها مصدر للعطاء.

---

[1] ديوان الأعشى، ص١٤٣، تفتر: تبتسم، مشرق بارد: ثغر براق، السيال: نبات له شوك شديد البياض، النؤورا: شجر يحرق ويستعمل في الوشم، اسفنط عانة: شراب يعمل في الشام ويسمونه هناك الرساطون وهو من عصير العنب، الرصاف: حجارة متراصفة.

ففمها مشرق، وريقها بارد "وأسنانها كشوك السيال" وهو شجر له شوك أبيض دقيق"[1].

وربما اختار الشاعر هذا النوع من الشجر لعلوه وطول قامته، ليبعث إلينا صورة محبوبته بأنها طويلة القامة، وقد ورد ذلك في كثير من أبياته كما ورد في هذا البحث،مما يزيد من الإغراء والتلذذ بهذا الريق، لأن في طعمه نكهة الزنجبيل، وهذا مما يدل على لذة الطعم ونشوته، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم قال تعالى "ويسقون فها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً"[2]. كما أن ريق المحبوبة يشبه طعم الخمر، ولعل الشاعر ذهب للطعم ولم يقصد اللون، فالخمرة قد غلبت على شهوة الشاعر ولذته ليربطها بالمرأة، مما يدل على أن الشاعر كان ماجناً شهوانياً.

ولا تزال هذه الصورة تملك خيال الشاعر وتصوره، ليربطها بأوصاف المرأة الجسدية، يقول:

تُجْرِي السِّوَاكَ بالبَنَانِ عَلَى ... ألمَى كأطرافِ السِّيال رَتِلْ[3](سريع)

تَرُدُّ معطُوفَ الضَّجِيع عَلَى ... غَيْلٍ كَأَنَّ الوَشْمَ فِيهِ خِلّلْ

كَأَنَّ طَعَمَ الزَّنْجَبِيلِ وتفـ ... ـاحاً عَلَى أَرْيِ الدُّبُورِ نَزَلْ

يصف الشاعر محبوبته قبل النوم، وكيف تهتم بتنظيف أسنانها وكأنها تريد مضاجعته؛ فهي تمسك السواك بأناملها، لتجريه على أسنان براقة كأنها شوك السيال، فيتخيل مضاجعتها وقد ظهر ساعدها الممتلئ باللحم، وقد زينته بالخضاب، وكأنه جلد منقوش مزخرف، فهو مغرم بأوصافها وجمالها "إذ كان جمال المرأة متأثراً بالجوانب التي تثير الإعجاب والراحة " فإن الأعشى

---

(1) العمري، زينب عبد العزيز، "السمات الحضارية في شعر الأعشى، دراسة لغوية وحضارية"، الرياض ١٤٠٣-١٩٨٣، ص٣٦٩ .

(2) سورة الإنسان، آية، ١٧٠.

(3) ديوان الأعشى، ص٣٢٧، البنان: أطراف الأصابع، اللمى: سمرة في باطن اللثة، رتل: مفلج حسن الاستواء، غيل: ساعد مملوء، أري: عسل النحل، الدبور: جمع دبر وهو جماعة النحل.

وجد في المرأة السمينة في غير ترهل الطويلة في غير إفراط نموذج الجمال الذي يعجبه ويدهشه ويرتاح إليه"[1].

حيث يحاول العبور من الخيال إلى ما يشبه الحقيقة، فكأنه يذوق هذا الريق، وكأنه مزج بالزنجبيل والتفاح وعسل النحل.إن اللون الأبيض في هذه الصورة كان عاملاً أساسياً لجمع أوصاف الجمال المتخيل الذي يبعث في النفس آفاق المتعة واللذة المسيطرة على مشاعر الشاعر، وأحاسيسه الملازمة للمرأة العربية التي سيطرت على قلب المحب ومشاعره، ويقرن الأعشى هذا التغزل بالمحبوبة بساعات اللهو والمجون. يقول:

فَقَد أَشرَبُ الرَّاح قَد تعلميـن يـومَ المُقَامِ وَيَومَ الظَّعَنْ[2] (متقارب)

وأَشَربُ بالريق حتى يقال قَدْ طَال بِالرِّيفِ مَا قَد دَجَنْ

وَأَقرَرْتُ عَينِي مِنَ الغَانِيَاتِ إمَّا نِكَاحاً وإمَّا أُزَنْ

مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ مَمْكُورَةٍ لهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَن

فهو يستمتع بالشرب في جميع أحواله في السفر والإقامة ممتعاً نفسه برؤية النساء، أما الخمرة فقد كان يبذل لها المال "، مستلذاً بطعمها وأماكن الشرب، متخذاً من المرأة لذةً لشهوته دون أي اعتبار أخلاقي، لتكون إسقاطاً رمزياً على حب الحياة والشغف بها، حيث يمتع نظره برؤية النساء، ولعل في ذلك محاولة للتغلب على ضعف البصر من خلال إثبات الرؤية والاهتمام بالعناصر اللونية، إلا أن الشاعر يتبع شهوته ومجونه "فهذه الأبيات تثبت بما لا يدع مجالاً للشك في أن الأعشى قد ذهب بعيداً مع شهواته التي جعلته يتململ من القيم الأخلاقية والسلوكية"[1]،حيث

---

(١) الصائغ، عبد الإله، "الصورة الفنية معيارا نقديا، منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير" دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ط١، ص٢٨٤.

(٢) ديوان الأعشى، ص٦٧، الراح: الخمر، الظعن: الرحيل والسفر، الريف: أرض فيها زرع وخصب، دجن: ثبت وأقام، أزن: من الزنى، ممكورة : الممتلئة الأعضاء من اللحم مع دقة العظام.

يؤثر عليه اللون الأبيض ليجعل من المرأة ناصعة البياض، وكأن لونها لون اللبن الصافي مثاراً للشهوة والمتعة، ليصف جمال بشرتها وما يراه من جمالها فشبهه "وتحدث عنه في أسباب ما بين حديث عام مجمل إلى قول مفصل فيه التحديد والدقة فمن الأوصاف العامة بياض البشرة"[٢]. مما يجعل هذا اللون للمرأة مميزاً لها، مما يدل على أنها مترفة "ومثل هذا اللون نادر في الجزيرة العربية ذات الصيف الطويل المحرق، إلا أن بياض المرأة العربية من نعمتها التي لا تدع بشرتها تمس شمساً ولا زمهريراً، أما غير العربية فهي بيضاء بطبيعتها"[٣].

وينتقل الأعشى ليصف محبوبته بمزيد من الأوصاف الجذابة، قارناً ذلك باللون الأبيض، مستوياً من الطبيعة تشبيهاته، يقول:

فَبَـــــانَ بِحَـــــسنَـاءَ برّاقَـــــــةٍ عَلَى أنَّ فِي الطَّرْفِ مِنْهَا فُتُوراً[٤] (متقارب)

مُبَتَّلَـــةِ الخَلْـــقِ مِثْـــلِ المَهَـــا ةِ لَـــمْ تَـــرَ شَمْـــساً وَلاَ زَمْهَرِيـــراَ

يتحسر الشاعر على ذهاب محبوبته مع زوجها، رغم أنها مولعة به، ولعل ما يزيد إعجابه بها أنها حسناء ذات بريق لشدة بياضها وحسنها، يزيد من ذلك الإعجاب طرفها الفاتر، وكأنها تنظر إليه وهي ترحل مع زوجها، تشبه المهاة في مشيتها وبياضها، لم تتعرض لقسوة البيئة الصحراوية العربية، فلم تتعرض للشمس لتؤثر على بشرتها، لتسلبها هذا اللون البراق، وكما أنها في خدرها لم يصل إليها البرد، مما يدل على أنها مترفة تتمتع بالعناية وحسن الرعاية مهتمة بجمالها،

---

(١) قميحة، مفيد محمد، "الأعشى الكبير ميمون بن قيس شاعر اللذة والحياة، دراسة وتحليل"، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ص٧١.

(٢) عجلان، عباس، "عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى"، دار المعارف، ص٨٤.

(٣) الصائغ، عبد الإله، "الصورة الفنية معيارا نقديا، منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ط١، ص١٨٦.

(٤) ديوان الأعشى، ص١٤٥، فبان :ذهب وبعد، مبتلة الخلق: متناسقة الأعضاء بالغة الحسن، المهاة :بقر الوحش، الزمهرير: البرد.

مما جعلها تأسر قلبه وتملك جوارحه، لكن الشاعر لم يجد إليها طريقاً حيث تقف غيرة زوجها حائلاً بينه وبينها.

وقد يظهر اهتمام الشاعر مرة أخرى في اختيار الصديق ،ليصفه بأوصاف متعددة، يقول:

وَقَـدْ غَـدَوتُ إلـى الحَـانُوتِ يَتْبُعـنِي شَاوٍمـشَلٌّ شَـلُولٌ شُلْـشُلٌ شَـوِلُ[1](بسيط)

فـي فِتيَـةٍ كَـسُيُوفِ الهنـدِ قـد عَلِمُـوا أَنْ لَـيْسَ يَـدْفَعُ عـن ذِي الحِيلَـةِ الحِيَـلُ

يظهر لنا من خلال النص مدى التزام الشاعر بالصورة الحضارية للرجل العربي التي تتصل بالقبيلة، كما يظهر مدى تأثره بالبيئة الفارسية المترفة، فهو يصطحب صاحبه إلى الحانوت ليشرب الخمر فهذا الرجل يتصف بالخفة والنشاط لينظم إلى فتية كالسيوف الهندية البراقة، مما يبعث الارتياح والأمان "فلم يكن الأعشى على ما يبدو يشرب الخمر منفرداً بل مع ثلة من "مصابيح الدجى" يشاركونه ما يجد من لذة وما يستذ من متعة"[٢].

"والبيت الثاني صورة من تفكير الرجل الذي يصدر في لهوه عن عقيدة، فهو وصحبه يأخذونه بنصيبيهم من ملاذ الدنيا مادامت الحيلة لا تنجيهم مما كتب عليهم بزعمهم ولا تدفع عنهم ما قدر لهم"[٣] فنجد الشاعر يقرن بين البياض والعبثية واللامبالاة.

وقد ينتقل الشاعر من الألفاظ الدالة على البياض المباشر إلى ألفاظ تحمل هذا المعنى في طياتها، وما تحمله من إيحاءات ودلالات، فهذه صورة أخرى من الصور التي تستهوي الشاعر لتؤثر على نفسيته، وتبين مدى تعلقه بجمال اللون الأبيض، مستوحياً ذلك من الطبيعة، وخاصة

---

(١) ديوان الأعشى، ص١٠٩، شاو: يشوي اللحم، مشل: طرد وساق، شلشل: خفيف في العمل، شول: يحمل الشيء.

(٢) حمود، محمد، "سلسلة شعراء العرب الأعشى شاعر الحب والخمر"، دار الفكر اللبناني، بيروت، ص٩٠.

(٣) حسين، محمد محمد، "أساليب الصناعية في شعر الخمر والناقة بين الأعشى والجاهليين"، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٠، ص٣٧.

بيئته الصحراوية، التي مازالت تداعب الشاعر وتدغدغ مشاعره، وتأخذه في جو شاعري، ليرسم لنا صوراً غاية في الروعة، فهو يقول:

بَـــلْ هَـــلْ تَـــرَى بَرْقَـــاً عَلَـــى الْـــ جَبَلَـــيْنِ يُعجِبُنَـــي انْجِيَابُـــهْ[1] (كامـل مجـزوء)

مِـــــنْ سَـــــاقِطِ الأَكْنَـــــافِ ذِي زَجَـــــــلٍ أَرَبَّ بِـــــــهِ سَحَابُـــــــهْ

مِثْـــــــلِ النَّعَـــــــامِ مُعَلَّقَـــــــاً لَمَّـــــــا دَنَـــــــا قَـــــــرِداً رَبَابُـــــــهْ

يخاطب الشاعر صاحبه محاولاً لفت انتباهه بسؤاله الذي بداه بـ "بل هل ترى" ليشاركه في هذا المنظر الجميل، حيث يستخدم كلمة ترى والتي تكررت كثيراً في شعر الأعشى، ولعل ضوء البرق في هذا الليل المظلم الذي يزيد من وحشته التي سدت الأفق وحجبت الرؤية ليدخل عامل البصر في التأثير النفسي وكثافة السحب المظلمة، إلا أن هذا البرق بلمعانه وبريقه اللماع بدد ظلمة الجبال المرتفعة، والسحب المتراكمة الكثيفة، وقد أظلم بها الأفق، وكأنها قطيع النعام، ليظهر هذا البرق بلمعانه وبريقه اللماع ليكشف الطريق، وينير الفضاء، ولعل ضعف البصر لدى الشاعر كان عاملاً نفسياً زاد من وحشة الليل وظلمة السحاب، إلا أن البرق أدخل في قلب الشاعر البهجة والسرور، وكأن لونه الأبيض البراق قد فرق الظلام والسحب ، فقد فرق الخوف والوحشة من داخل الشاعر، و يفخر بنفسه ،ناسباً هذا الفخر لنسبه العريق وأصله الرفيع، يقول:

إنِّـــي امـــرُؤُ مِـــن عُـــصبةٍ قَيـــسَّيةٍ شُـمِّ الأنـوفِ غَرَانِـق أحـشَادِ[2](الكامل)

---

[1] ديوان الأعشى، ص٣٣٩، إنجاب الثوب: انشق، وانجابت السحاب: انكشفت وانقطعت، الأكناف: النواحي، الزجل: الصوت الحاد المرتفع، أرب بالمكان: أقام، قرداً: مجتمعاً، الرباب :السحاب الأبيض.

[2] ديوان الأعشى، ص١٨١، غرانق :جمع غرنوق الشاب الأبيض الجميل، أحشاد: الرجل الذي لايدع عند نفسه شيئاً من النصرة والجهد والمال. ومنه قول حسان بن ثابت:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

ديوان "حسان بن ثابت الأنصاري" شرحه الأستاذ عبد أمهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤، ط٢، ص١٨٤.

تمثل القبيلة في نظر الشاعر مرتكز العز والفخر، وكأنه يعرفنا على صفات رجالها بما يمتازون به من صفات الهيبة والأنفة، ليعبر بشم الأنوف عن القوة والكبرياء، رابطاً ذلك باللون الأبيض ليجمع بين هذه الصفات وجمال المنظر، فهم قوم أقوياء متحدون ضد خصومهم ؛حيث يظهر ذلك من قوله (عصبة)، لما تدل عليه من التفافهم حول بعضهم وتعاونهم، لا يستطيع عدوهم على تفرقتهم والدخول بينهم فهم أعزاء أصحاب كرامة ورفعة، ينتسبون إلى (قيس بن ثعلبة) فزادهم بياضهم هيبة ورفعة، لا يقبلون الدنس ومساوئ الأخلاق ،ليوظف اللون الأبيض بدلالته الحسية مستغنياً عن ذكره مباشرة، ومما يزيد جمالهم وهيبتهم غير أنهم بيض الوجوه طول قاماتهم واتساقها، يقول:

حَكَّمتُمُونـــــي فَقَــــضَى بيــــنَكُم　　أبلـــجُ مِثـــلُ القَمَـــرِ البَاهِـــرِ[1] (ســريع)

لا يأخَـــذُ الرُّشْـــوةَ فـــي حُكمِـــهِ　　ولا يُبَالِـــــي غَـــــبَنَ الخَاسِـــــرِ

لا يَرْهَـــبُ المُنكِـــرَ مِـــنكُم ولا　　يرجُـــوكُم إلا نَقَـــى الآصِـــرِ

يربط الشاعر في وصفه لنفسه بين العدل والحكمة واللون الأبيض، حيث يعبر عن النقاء والوضوح، فهو في معاملته وحكمته لا يأبه بقول العذال وسبهم، فلا تهمه خسارة الخاسر، مقابل أن يعود الحق لأصحابه، وكأن الشاعر في وصفه لنفسه بالقمر، يشير إلى الخلود الذي يكمن في نفسه "وهذا الحلول الحسي يدنيه من استعارة فعل الزمن وأية ذلك هيمنته في الغياب والحضور وامتناعه بالخلود"[2]، ومن ذلك ربطه برفعة النفس، وعدم التحايل، وأخذ الرشوة، فالممدوح عند الأعشى قد ارتبط بأوصاف كثيرة، منها الشمس والقمر والهلال، كذلك القوة والهيبة، ليجمع هذه الأوصاف في نفسه متباهياً بها. بما يجب أن يكون عليه الرجل الشهم.

---

(١) ديوان الأعشى،ص١٩١، أبلج :واضح مشرق الوجه، الباهر: الذي يبهر النجوم فيقطع ضوءها، غبن: النقص، نقى: عظم العضد، الآصر: أصر الشيء أصراً كسره.

(٢) الصائغ، عبد الإله، "الصورة الفنية معيارا نقديا منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ط١، ص١٩٢.

ولاشك أن القبيلة هي مصدر العزة والأنفة للرجل العربي، ومن أهم ما يزيد من هيبة الشاعر وقوته الصديق الذي يصطحبه في سفره وينادمه، يقول:

وأَبـــــيَضَ مُخـــــتَلطٍ بالكـــــرا ... مِ لا يَتغَطَـــى لإنَفادِهـــا[(1)](متقـارب)

أَتـــانى يُـــؤامِرنُي فِـــي الـــشَّمُو ... لِ لـــيلاً فقلـــتُ لـــهُ غَادِهَـــا

أرَحْنَـــا نُبَـــاكِرُ جِـــدَّ الـــصَّبُو ... حِ قَبـــلَ النُّفُـــوسِ وحَـــسَّادِها

عشق الشاعر اللون الأبيض لما يدل عليه من صفات النقاء والقوة، وكان ذلك عاملاً من عوامل السرور وإضفاء أجواء المتعة والارتياح، مما يجعله يصطحب الرجل صاحب النسب الرفيع، مبيناً أنه من علية القوم كريم، فهو لا يبخل على صاحبه، بل يبذل من المال في سبيله، مهتماً بإرضائه، ليبدأ معه الحوار، واستشارته في شرب الخمر ليلاً في خفية عن أعين الحساد، وقبل أن يفيقوا من نومهم، متخذاً من هذا الوقت أفضل الأوقات للشرب والمنادمة. "والتبكير ينم عن الاهتمام والكلف، فالأعشى ورفاقه يبتغي الخمر مبكراً حتى يفرغ لمعاقرة لذته، بعيداً عن الرقيب الذي يفسد عليه المتعة [(2)]. ليكتمل للشاعر ما يريده من الجو الممتع بعيداً عن أسباب الإزعاج والحسد.

ولا يزال ارتباط الشاعر بصاحبه وثيقاً، فحاجته إليه في سفره لا تقل أهمية عن ناقته، التي تتحمل معه أعباء السفر، فالشاعر لم يعتد على الوحدة، بل عشق المنادمة، والرفقة التي من شأنها إدخال السرور والراحة إلى قلب الشاعر، والذي يبدو أنه كان يعاني الاكتئاب والقلق النفسي الذي كان مسيطراً على أحاسيسه.

---

(1) ديوان الأعشى، ص١١٩، لا يتغطى :لا يتساكر، يؤامرني: يشاوره، غادها :غدا مع الشيء بكر إليه، أرحنا: أراح الرجل رجعت إليه نفسه بعد الإعياء، جد :العجلة، الصبوح: خمر الصباح.

(2) عجلان، عباس، "عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى "، دار المعارف، ص٦٦

يقول:

وأبيضَ كالنَّجمِ آخيتُهُ وبيداءَ مُطّردٍ آلها[1](المتقارب)
قَطَعتُ إذَا خَبَّ ريعَانُها وَنُطِّقَ بِالهولِ أَغفَالُهَا
بناجيةٍ من سَرَاةِ الهجا ن تَأتِي الفِجَاجَ وتَغتَالُها
تَرَاهَا كَأَحقَبَ ذِي جُدّتَيـ ـن يَجَمعُ عُوناً ويجتالُهَا

لقد اعتاد الشاعر حب السفر والمغامرة، فهو لا يجد بداً من السفر وتحدي الصحراء وظروفها القاسية، فهو ابن البادية منذ نعومة أظفاره، عشق السفر والترحال، تعلق قلبه بالنديم وصحبته، مما يجعله يتحرى اختيار هذا الصديق، فهو لا يقبل أي شخص أن يصاحبه في سفره، بل يصطحب الرجل رفيع النسب، ويشبهه بالنجم، ولعل تأثر الشاعر بالنجوم التي كانت تؤنسه في رحلته جعل جعله يختار هذا التشبيه مما يعطي الموصوف صورة الحسن والوضوح، كما أن هذه الناقة البيضاء من خيرة الهجان، وكأن الشاعر قصد هذا الاختيار، ليستطيع مواجهة قسوة الصحراء وظلمة الليل، فكأنه يختار اللون الأبيض المتصف به صديقه وناقته، لدفع ظلمة الليل، وقوة الناقة لتحدي قسوة البيداء المقفرة الموحشة التي تعزف فيها الجن.ثم ينتقل الشاعر ليصف الممدوح بصفة تدل على القوة والهيبة.

---

(1) ديوان الأعشى، ٢١٣-٢١٥، مطرداً: اطرد الأمر تبع بعضه بعضاًواستقام، خب: طال وارتفع، ريعانها: الريعان السراب، أغفالها :جمع غفل وهي الأرض التي لاعلم بها، ناجية: سريعة، سراة كل شيء خياره وأحسنه، الهجان: الهجين الكريم من كل شيء، الفجاج: جمع فج وهو الطريق والناحية، تغتالها: تقطع الطريق، أحقب :حمار الوحش الأبيض الخصر، جدتين: الجدة الطريقة والعلامة، عون :جمع عانة وهي القطعة من الحمير، اجتال: حوله عن قصد وكذلك اختاره. ومن ذلك قول طرفة بن العبد:

نداماي بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين بردٍ ومجسد.

*انظر، ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتميري، ت درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، ط٢، ص٤٣.

يقول:

يَـــدَاكَ يَـــدَا صِـــدقٍ فكـــفٌّ مِقْيـــدَةٌ   وَأُخرى إذَا ما ضُنَّ بـالزَّادِ تُنفِقُ[1] (طويل)

تَـرى الجُـودَ يَجـرِي ظَـاهِراً فَـوقَ وَجْهِـهِ   كَمَـــا زَانَ مَـــتْنَ الهِنـــدُوَانِّي رَوْنَـــقُ

يستغني الشاعر عن ذكر اللون الأبيض، إلا أنه يستخدم دلالة على هذا اللون مما يزيد الصورة روعة وجمالاً، ويعطي الممدوح نوعاً مميزاً من الفخر، ليبدأ هذه الصورة معبراً عن الكرم.

يستخدم لفظة – يد– لأن اليد هي التي تبذل الجود حتى في ساعات الفقر والشدة، يصاحبها نضارة الوجه، وكأن الجود ماءُ منسكب على الوجه، وكأنه سيف لماع من شدة الصقل، ليدل هذا البريق على ما اعتاده الرجل الكريم من العطاء والكرم والبذل، فالسيف يزيده الصقل والاهتمام به لمعاناً ووضوحاً يتباهى به الفارس، مما يبعث للناظر أنه من أجود السيوف وأقواها حديداً، ونضارة . الرجل الكريم ولمعان وجهه الوضاح دلالة قاطعة على طيب أصله ونقاء معدنه، وكأنه سيف ادخر لوقت الشدائد والمصاعب، ولا تزال صورة الرجل العربي تداعب خيال الشاعر، ليكون اللون الأبيض رمزاً لهذه الصورة، ودالاً عليها. يقول:

إلـــى مَلـــكٍ كَهِـــلالِ الـــسّما   ءِ أزكـى وَفَـاءً وَمَجـداً وَخَيـرًا[2] (متقارب)

طَويـــلِ النِّجـــادِ رَفِيـــعِ العِمَـــا   دِ يَحمِـــي المُـــضَافَ ويُعطِـــي الفَقِيـــرَا

استغنى الشاعر في هذه الأبيات عن ذكر الموصوف، بذكر صفاته التي تزيده قوة وهيبة، مشبهه بالهلال، دالاً على وضوحه وانتشار صيته، متميزاً بالوفاء والمجد والخير، يتمتع هذا

---

(1) ديوان الأعشى، ص٢٧٥، الهندواني :السيف، رونق: أي رونق السيف :طلاوته وماؤه وبريقه.

(2) ديوان الأعشى، ص١٤٧، أزكى :من الزكاة وهو النمو والزيادة، النجاد: حمائل السيف يكنى بطولها عن طول القامة، العماد :عمود الخباء يكنى بارتفاعه عن شرف صاحبه لأن خيام الأشراف ضخمة عالية، المضاف: المستجير اللاجىء.

الممدوح بطول القامة، يسكن أعلى القصور، يكرم الضيف، ويعطي الفقير، ولعل تمتع الشاعر بإجادته للشعر وأوزانه جعله يختار هذا النوع من الوزن ليحسن الغناء به مما يذيع شهرة الممدوح.

فهذه القصيدة ذات إيقاع غنائي "وغير هذه القصائد كثير، فالظاهرة تنتشر في قصائد الديوان، وتتراوح في إيقاعها ما بين الطول والقصر بنسب متفاوته، ولكنها أي حالة الإيقاع البطيئة في حالة حضور دائم"[1]، ومما يزيد هذا الإيقاع جمالاً اختياره للكلمات المتقاربة في النطق – ملك كهلال– والأحرف المتجانسة كما نلاحظ أن أكثر حروف المد تردداً في ديوان الأعشى هو حرف الألف"[2].

فلا غرو بعد ذلك أن يتغنى بشعر الأعشى وأن يسمى من أجل هذا (صناجة العرب)، ثم قبل هذا و ذاك، أن تلحظ هذه الرقة في شعره فتنسبه إلى تحضره وكثرة أسفاره.

ولا يزال اللون الأبيض يلازم الشاعر، فبعد أن استخدمه صفة للجمال في المرأة، فقد استخدمه في وصف الرجل الكريم من خلال التشبيه الموحي بالقوة والتميز، يقول:

وَلَـو أنَّ عِـزَّ النَّـاسِ فِـي رَأسِ صَـخْرَةٍ مُلَمْلَمَـةٍ تُعْـيِي الأَرَحَّ المُخَدَّمَـا[3](طويل)

لأعطـاكَ ربُّ النَّـاسِ مِفتَـاحَ بَابِهَـا وَلَـو لَـمْ يَكُـن بَـابٌ لَأَعطَـاكَ سُـلَّمَا

هنا نجد الشاعر متعلقاً بالطبيعة (الأرض– الحيوان) وما تحويه هذه الطبيعة من المصاعب والجمال ومظاهر القوة، وما يواجهه الرجل الشجاع من العوائق التي تقف حيال وصوله لغايته وهدفه، إلا أنه قادر على التغلب عليها بما وهبه الله من مقومات الصبر والقوة، حيث إن

---

[1] عبد الرحمن، إبراهيم، "الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية"، مكتبة الشباب ١٩٧٩، ص٢٨٣.

[2] العمري، زينب عبد العزيز، "السمات الحضارية في شعر الأعشى، دراسة لغوية وحضارية"، الرياض ١٤٠٣– ١٩٨٣، ص١٠٢.

[3] ديوان الأعشى، ص٣٤٧، ململمة :مدورة مجتمعة، الأرح: الوعل المنبسط الظلف، المخدما:المحجل الذي يستدير التحجيل بأرساغ رجليه دون يديه، والتحجيل: بياض يحيط بالأرجل.

العز الذي يطلبه القائد الشجاع ويسعى إليه حتى لو كان هذا العز في صخرة ملساء لا يستطيع أن يرقى فيها الوعل ذو الأرجل المحجله بالبياض، والتي قد اعتاد على رقيها وعشقها فكما أن الرجل يعشق العز، فان الوعل قد عشق الحياة والسير إلى أعلى الصخور الملساء، إلا أن الأخير قد يعجز عن وصول غايته، بينما نجدأن الممدوح قد يهيئ الله له سبل الوصول إلى غايته، وذلك لحسن نيته وحبه للخير، فصفاء النية وطهر السريرة وقوة العزيمة واضحة وضوح التحمل الذي يحيط برجلي هذا الوعل الجميل، والتي تعكس للرائي عن جمال هذا الحيوان ولطفه، بقدر ما تعبر عن قوته ومعاناته بسبب قسوة الطبيعة التي يعيش فيها.

ثم ينتقل الشاعر إلى دلالة من دلالات اللون الأبيض، فهو رمز للقوة والجبروت وشدة البأس. يقول:

فِدىً لِبنَـي ذُهلِ بنِ شَيبَانَ نَاقَتِي	**وَرَاكِبُهَا يَوْمَ الَّلقَاءِ وَقَلَّتِ**[1] (طويل)
هُمُو ضَرَبُوا بِالحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ	**مُقَدِّمَةَ الهَامَرْزِ حَتَّى تَوَلَّتِ**
فَلِلَّهِ عَينَا مَنْ رَأَى مِن عِصَابةٍ	**أشدَّ عَلَى أَيدِي السُّعاة مِنَ الَّتي**
أَتَتهُمْ مِنْ البَطْحَاءِ يَبرُقُ بَيْضُهَا	**وَقَدْ رُفِعَتْ رَايَاتُهَا فَاستَقَلَّتِ**

يقدم الشاعر أنفس ما عنده لبني ذهل؛ لما قدموه من بلاء و شجاعة، مقابل هزيمة العدو المغرور. الذي كان اللون الأبيض باعثاً على الغرور ودليلاً على الهيبة والقوة، فقد أتوا بكتيبة ضخمة تبرق لكثرة الأسلحة عليها، وجودة صقلها مما يدل على الاستعداد، وكأنهم يريدون إفناء- بني ذهل – لكن هذا المشهد قد انعكست نتائجه، فقد تغلب بنو ذهل على خصمهم ؛مما يجعل المنظر أمتع وأعجب، فهذا اللون الأبيض اللماع الذي كان يعكس ضوء الشمس ويعلو على

(1) ديوان الأعشى، ص٣٠٩، حنو وقراقر: مواضع قرب الكوفة، الهامرز: أحد قادة كسرى في هذا اليوم، عصابة: أي بني ذهل ابن شيبان، السعاة :الذين يسعون للحرب ويهيجونها.

الكتيبة، أصبح عبئاً على أصحابه، فكأنه تجرد من القوة والجبروت، وكأنه جلباب خارجي، يفتقد إلى القوة الداخلية التي يجب أن يكون عليها الجيش. والحق أن الأعشى لم يقصر في مدحه لقبائل- بكر- التي شاركت في هذا النصر الكبير، كما لم يقصر في هجاء من تقاعس عن المشاركة في القتال، وقد خص بني شيبان بن ثعلبه بالمدح والثناء لبلائهم في يوم ذي قار"[1]، الذي كان نموذجاً ومثلاً للبلاء والحرب الطاحنة، ليقدم كلا الطرفين ما يملك من القوة والنضال.

ويرتبط اللون الأبيض بأداة الحرب (الخوذة) التي توضع على الرأس لحمايته من ضرب السيوف، مشيراً إلى الاستعداد وإخافة العدو.

إن اهتمام الشاعر بأدوات الحرب، جعله يعطيها أوصافاً أكثر هيبة، محاولاً استيعابها في شعره. يقول:

أذَاقُوهُمُو كأساً مِنَ المَوتِ مُرَّةً ... وَقَدْ بَذِخَتْ فُرْسَانُهُم وَأَدَلّتِ[2](طويل)

سَوَابِغُهم بِيضُ خِفَافُ وَفَوقَهُم ... مِنَ البَيضِ أَمثَالُ النُجُومِ استَقَلّتِ

إن هذه الدروع البيضاء خفيفة الوزن، وكأنها صنعت من أجود الحديد ليستغنى عن وزنها الثقيل، إلا أنها تتمتع بالجودة والقوة، لتساعد الفارس على التحرك بسهولة، إضافة إلى ما يلبسونه فوق رؤوسهم وكأنها النجوم، مما يعطي الفارس علواً وهيبة ينشغل به الخصم عند القتال، ليجعله في حيرة، فالدروع منحها اللون الأبيض هيبة يعوضها عن ثقلها، ولون الخوذة البراق زاد من قامة الفارس واستحالة الوصول إليه، وكأن الخصم ينظر إلى هذا الفارس، بمثابة النجم الذي يراه قريباً، ولكنه يكون عاجزاً عن الوصول إليه.

---

(1) العمري، زينب عبد العزيز، "السمات الحضارية في شعر الأعشى، دراسة لغوية وحضارية"، الرياض ١٤٠٣-١٩٨٣، ص٤١.

(2) ديوان الأعشى، ص٣٠٩-٣١١،بذخ : أي تكبر وعلا ،أدلت :أدل تاه وارتفع.

وقد يستخدم الأعشى ألفاظاً تدل دلالة مباشرة على اللون الأبيض، لوصف أدوات الحرب، يقول:

وَبِيضٌ كَأَمْثَالِ العَقِيقِ صَوَارِمُ تُصَانُ لِيَومِ الدَّوخِ فِينَا وَتُخْشَبُ[1] (طويل)

وَكُلُّ دِلَاصٍ كَالأَضَاةِ حَصِينَةٍ تَرى فَضْلَهَا عَنْ رَبِّهَا يَتَذَبْذَبُ

بدأ الشاعر بذكر اللون كبديل عن ذكر اسم السيف، وفي ذلك من دلالة توحي بالقوة وسرعة الضرب، إضافة إلى حدها المرهف القاطع، ومما يزيد الصورة هيبة استخدام الشاعر للفظة – صوارم– فهي سيوف شديدة البياض كأنها البرق ،تقسم الشيء إلى نصفين، لم يثلم حدها، فهي مصونة بالصقل، مدخرة ليوم البذل، ومواجهة الأعداء، كما يتحد لون السيوف، ولون الدروع، إضافة إلى القوة والصلابة، فهنا يربط الشاعر بين اللون والقوة ويجعلها عاملاً، وصفة من صفات الفروسية، التي تلازم الفارس في مواجهة الأعداء والاستعداد لهم، ولاشك في أن توهج اللون الأبيض ولمعانه سواءٌ للسيف أو للدرع، يمثل عاملاً نفسياً للمحارب للإحساس بالنصر والثقة عند المواجهة. كما يمثل عامل إحباط وانهزام نفسي في قلوب الخصوم. ويقول:

وَذَاهِبَّةٍ غَامِضاً كَلمُهِ وَأَجْرَدَ مُطَّرِداً كَالشَّطَنْ[2] (متقارب)

وَبَيْضَاءَ كَالنَّهْي مَوضُونَةً لَهَا قَوْنَسُ فَوْقَ جَيْبِ البَدَنْ

قد يستغني الشاعر عن ذكر اسم الموصوف بذكر دلالة تدل عليه، مما يجعل الصورة تظهر أروع وأجمل، فنجده هنا قد استغنى عن ذكر اسم السيف بذكر أوصافه، ومدى تأثيره في الخصوم،

---

[1] ديوان الأعشى، ص٢٥٥،العقيق :البرق الذي يستطيل في السحاب ،الدخ : من داخ الرجل أي ذل وخضع.

[2] ديوان الأعشى،ص٧٥، ذاهبة يريد السيف كأنه يهب ويستيقظ إذا هز، مطرد متتابع ليس بعضه غليظاً وبعضه دقيق، الشطن الحبل، وبيضاء الدرع، النهي الغدير، موضونو منسوجة حلقتين، قونس البيضة أو المغفر وهو زرد ينسج على قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة، جيب فتحة الرأس، البدن الدرع القصير.

فهو "سيف ذو هبة وذلك من الاهتزاز، وقد تكون من الاستيقاظ بعد النبؤ"[١]، ليؤجل ذكر اللون إلى الأداة التي قد لا تفارق الفارس في المعركة وهي الدرع ،وهذه الدروع من شدة بياضها ولمعانها كأنها ماء الغدير، وكأن لونها الشديد يقف حائلاً دون ضرب السيوف، مما يهيج النظر، ليدخل الرعب والحيلولة والخوف في قلوب المقاتلين.

ويصف الأعشى طعام أهل البيئة البدوية، والذي قد يكون من نتاج أرضهم ومزارعهم، مما يدل على نقائه، يقول:

دَرْمَــــكٌ لَنَــــا غُــــدْوَةً وَنَــــشِيلٌ وَصبُــــوحٌ مُبَــاكِرٌ وَاغْتِبَــاقُ[٢] (خفيـف)

وَنَدامَـــى بِـــيضُ الوُجُـــوِهِ كَـــأَنَّ الـــــــشَّرْبَ مِـــنْهُمْ مَـــصَاعِبٌ أَفْنَـــاقُ

تتجلى لنا بيئة الشاعر التي ترعرع فيها من خلال ذكره لنوع طعامه الذي يراه من خيرة الطعام، وفي هذا التصوير "ربما عكس صور المزارعين والري والشجرة والزهر والثمر والحصاد والقطاف بيئة اليمامة وخبرة ابنها الجواب في البيئات البعيدة الغربية.

وربما صنع الأعشى عالمه الجميل من مفردات نباته"[٣]. فطعامه من الدقيق الأبيض مما يدل على جودته، ويزيده لذة، وذلك اللحم الذي طبخ في القدور وتناوله الرجل بيده، فهذا الطعام بلونه الأبيض واللحم الكثير يتبعه بالخمر في أول النهار وآخره، ومما يزيد هذا الجو متعة وأنساً ندماه بيض الوجوه، ولعل ما تعودوا عليه من طعامٍ زرعوه في أرضهم صنع في نفوسهم الأنفة، والآباء والقوة، حتى أصبحوا كالجمال قوة وكبرياء لا يقبلون الأوامر والهيمنة والجبروت بل عاشوا أحراراً.

---

(١) ابن سيدة، "المخصص"، السفر السادس، ص٢٦.

(٢) ديوان الأعشى، ص٢٦٥، الدرمك: الدقيق الأبيض، النشيل: اللحم ،الصبوح: خمر الصباح، اغتباق :خمر المساء، الشرب :جماعة الشاربين، مصاعب: الفحل الذي لا يركب ولايمس، أفناق: الصعب.

(٣) الصائغ، عبد الإله، "الصورة الفنية معيارا نقديا، منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ط١، ص٢٢٣.

دلالة اللون الأبيض السلبية:

ويستمر الأعشى في هذه الدلالة السلبية للون الأبيض والمتمثلة في الشيب، يقول:

وَرَأَتْ بـــأَنَّ الـــشَّيْبَ جَـــا نَبَـهْ البَـشَاشَةُ وَالبَـشَارَهْ[1] (مجزوء كامل)

فَاصْبِـــرْ فَإِنَّـــكَ طَالَمَـــا أَعْمَلْـــتَ نَفْـــسَكَ فِـــي الخَـــسَارَهْ

ينتقد الشاعر حكم المحبوبة والتي أصبحت زاهدة فيه بمجرد أنها رأت هذا الشيب قد كسا شعر رأسه، وأنه لم يعد قادراً على العشق ومغازلة النساء، وكأنه يتهمها بالحمق والجهل، حيث إنها ترى أن الشيب علامة على الشيخوخة والهرم، كما أنها تلومه على الأيام الخوالي التي قضاها بالولع بالنساء والتغزل بهن ومصاحبتهن، وأنه لم يعد يغريهن، ولا يلفت انتباههن.

ويقول:

كَفَـــى بِالَّـــذِي تُولِينَـــهُ لَـــوْ تَجَنَّبَـــا شِفَاءً لِسُقْمٍ بَعْدَ مَا عَادَ أَشْيَبَا[2] (الطويل)

لا يزال الشاعر يعاتب المحبوبة على الاهتمام بالهجر والصدود، متخذة ما تراه من ملامح الشيخوخة ذريعةً للهجر وكأنها تحطمه من الداخل، وتؤثر على نفسيته بهذا الضعف الذي يحاول إنكاره والتغلب عليه، ألا وهو الشيب ليصبح من هذا اللون عاملاً نفسياً وشبحاً قاتلاً.

لذلك "لقد لخصت الشيخوخة كل أسباب الحرمان بالنسبة إليه، وبخاصة حرمانه من المنع المتمثلة بوصال الحسناء وشرب الخمره والسفر ونيل الهدايا فضلاً عن النضارة وخيالاتها"[3]. فبعدما كان الشاعر يتخذ من اللون الأبيض الذي يظهر على وجه الرجل الكريم دلالة باعثة

---

(١) ديوان الأعشى، ص٢٠٥.

(٢) ديوان الأعشى،ص١٦٣.

(٣) الصائغ، عبد الإله، "الصورة الفنية معيارا نقديا، منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ط١، ص٣١٤.

للسرور والانشراح، إلا أن ظهوره على الرجل الكبير سبب نفور النساء وابتعادهن عنه، وزهدهن فيه.

وفي صورة أخرى لهذا الشبح الذي يطارد الشاعر، يقول:

فَإِنْ يُمْسِ عِنْدِي الشَّيْبُ وَالهَمُّ وَالعَشَى	فَقَدْ بِنَّ مِنِّي وَالسِّلَامُ تُفَلَّقُ[1] (طويل)
بِأَشْجَعَ أَخَّاذٍ عَلَى الدَّهْرِ حُكْمَهُ	فَمِنْ أَيِّ مَا تَجْنِي الْحَوَادِثُ أَفْرَقُ
فَمَا أَنْتَ إِنْ دَامَتْ عَلَيْكَ بِخَالِدٍ	كَمَا لَمْ يُخَلَّدْ قَبْلُ سَاسَا وَمَورَقُ
وَكِسْرَى شَهنْشَاهْ الَّذِي سَارَ مُلْكُهُ	لَهُ مَا اشْتَهَى رَاحٌ عَتِيقٌ وَزَنْبَقُ

يظهر لنا من الأبيات السابقة مدى تأثير اللون الأبيض على الشاعر، خصوصاً وقد اجتمع مع الهم والضعف، حيث بدأ الكلام – تمس– وهنا إشارة إلى الليل، وكأن هذه الأمور اتحدت لتذكره بالليل وهمومه والذي كان الشاعر يكابده في شبابه، فهذا اللون الأبيض قد تجرد عن دلالته العامة، ليصبح عاملاً مؤثراً في نفسية الشاعر مشعراً بالضعف، فكأنه يريد أن يظفر بشيء من صفاته التي كان ومازال يتحلى بها "والشاعر على الرغم مما أصابه من شيب وهم وضعف بصر فإن ذلك لم يترك فيه إلا شجاعاً جلداً"[2]. لكن هذه الأمور قد تجلب إليه المخاوف والقلق النفسي، "وقد يعبد الإنسان مخاوفه ولنا أن نتذكر كيف جعل النفور من الشيخوخة شاعرنا حكيماً يذكر الناس بما آل إليه الأوائل فليس ثمة خلود للشباب أو الحياة[3].

---

(١) ديوان الأعشى،ص٢٦٧، ساسان:ملك الفرس، مورق :قالوا إنه ملك الروم، شهنشاه: كلمة فارسية معناها ملك الملوك، راح: خمر، الزنبق: نبات له زهر طيب الرائحة طويل يغلب عليه اللون الخمري.

(٢) العمري، زينب عبد العزيز، "السمات الحضارية في شعر الأعشى ، دراسة لغوية وحضارية"، الرياض ١٤٠٣–١٩٨٣، ص١٤٠.

(٣) الصائغ، عبد الإله، "الصورة الفنية معياراً نقديا، منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ط١، ص٣٢٠.

فمصيره مصير من سبقه من الرجال الأبطال والملوك الذين كان مصيرهم الموت والفناء، ويظهر الأعشى شجاعة كبرى في مواجهة هذه الحقيقة معزياً نفسه بأن كل نفس ذائقة الموت، يستوي في ذلك الملوك والسوقة، ويضرب الأمثال على ذلك خاصة وأن من نظر إلى مصائب غيره هانت عليه مصائبه "محاولاً التخلص من شبح هذه الأمور (الهم، والشيب، والعشى) يتذكر الأوائل الماضون معوضاً عنها بالشجاعة والحكمة، كما أن الشيب دالُ على الحكمة وانتهاء زمن الجهل والطيش فهذه المراحل لابد للإنسان أن يمر بها"[١].

ويتكلم الأعشى عن معاناته مع الشيب ونظرة النساء إليه يقول:

بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انقَطَعَا واحْتَلَّت الغَمْرَ فالجُدَّيْنِ فَالفَرَعَا[٢] (بسيط)

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ مِنَ الحَوَادِثِ إلاَّ الشَّيْبَ والصَّلَعَا

قَدْ يَتْرَكُ الَّدْهرُ فِي خَلْقَاءَ رَاسِيَةٍ وَهْياً وَيُنْزِلُ مِنْهَا الأعْصَمَ الصَّدَعَا

يربط الشاعر بين صفتين، وهما الشيب والصلع، فبما أن رأسه قد شاب، وقد تساقط شعر رأسه إلا أنه لا يراه مبرراً للهجر والصدود، وقد ذكر اسم المحبوبة (سعاد) مما يشعر أن هذا كان رأيها دون غيرها، فيرجع هذه النظرة المتشائمة للشيب والصلع لنفسية المحبوبة فهي تعرفه في شبابه، و أنكرته عندما تغير لون شعره، وكأنها تتجاهل أن هذا لا يعيبه ولا ينقص من رجولته، فهو رجل يصارع الدهر "وهذا الصراع الدائر والحرب الطاحنة التي تكون الغلبة فيها للدهر دائماً وأبداً أمر شاهد وقانون طبيعي ثابت ومكين في كل نفس"[٣].

---

(١) حمود، محمد، "سلسلة شعراء العرب الأعشى شاعر الحب والخمر" دار الفكر اللبناني، بيروت، ص١١٨.

(٢) ديوان الأعشى ص١٥١، بانت: بعدت، خلقاء: صخرة صلبة ملساء، الأعصم :من الظباء والوعول مافي ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر، الصدع :الفتي الشاب القوي.

(٣) حمود، محمد، "سلسلة شعراء العرب الأعشى شاعر الحب والخمر" دار الفكر اللبناني، بيروت، ص١١٨.

فلماذا تخصه المحبوبة بهذه النظرة، وهذا الصد والفراق ، مع إيمانه بأن الحياة محدودة والآجال مكتوبة "والمتصفح للديوان يدرك منذ البداية أن الشاعر كان يلح على مفهوم (بعينه) وهو "الرحيل" ولم يكن الرحيل عنده غاية في حد ذاته، بل كان وسيلة لأشياء أخرى تجد لها صدى في نفسه... كان يستعين بالرحيل على قتل الوقت. متخذاً من المكابرة سبيلاً للتغلب على هذه المعاناة والهم"[١].

ثم ينتقل الشاعر ليصف حال النساء العوانس اللواتي لم يحظين بعاشق يبادلهن المشاعر والمحبة، يقول:

وَلَقَدْ أُرَجِّلُ جُمَّتِي بِعَشِيَّةٍ ... لِلشَّرْبِ قَبلَ سَنَابِكِ المُرتَادِ[٢] (كامل)

والبيضِ قَدْ عَنَستْ وَطالَ جِرَاؤهَا ... وَنَشْأنَ فِي قِنٍّ وَفِي أَذْوَادِ

يتعلق الشاعر بالحياة في هذا الوصف، فهو مهتم بنفسه سباق إلى لذته، فهو محب للخمر شروب لها، ولاسيما عند الغروب فهو وقت التسابق للحانات واللهو، والشاعر يستعد في هذا الوقت بالتزين وتسريح شعره، فإذا دنا الليل وطلع ظلامه نرى الفتيان الثملين الذين أتلفوا أموالهم (للغناء والعب)[٣].

---

(١) العمري، زينب عبد العزيز، "السمات الحضارية في شعر الأعشى ، دراسة لغوية وحضارية"، الرياض ١٤٠٣-١٩٨٣، ص٢١٨.

(٢) ديوان الأعشى، ص١٨١، يرجل: يمشط ،القن :العبد الذي ملك، أذواد :القطيع من ثلاثة إلى أربعة.

(٣) الصائغ، عبد الإله، "الصورة الفنية معيارا نقديا منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ط١، ص٢٢٤.

ويقول:

فبِــــتُّ بِلَيلَـــــةٍ لا نَـــــــوَم فِيهَــــا   أُكَابِـــدُها وأَصـــحابي رُقُـــودُ[1](وافـــر)

كَـــأَن نُجُومَهَـــا رُبِطَـــتْ بِـــصَخرٍ   وَأَمـــــــرَاس تَـــــــدُورُ وَتَـــــــستَرِيدُ

إذَا مَـــا قُلـــتُ حـــانَ لهـــا أُفـــولٌ   تَـــــــصعَّدت الثُّريَّـــــا والـــــسُّعُوُد

يكابد الشاعر سهر هذا الليل، ويعاتبه بمفرده، ينام أصحابه لا يحسون بما يحس، ولا يعانون بما يعاني، حتى أن نجوم هذا الليل والتي تتمتع بلونها البراق وضوئها الوضاء لم تكن تؤنسه بل أصبحت مصدراً للهم والحزن، "ذلك أن تمييزاً بين واقع هذه الصور ومجازها لتصل إلى شغف الأعشى بالطبيعة، فهو يرى الثور كوكباً، وإذا نظر إلى السماء وخال غيومها المتكاثفة قطيعاً من النعام"[2] ليصف معاناته وهمه ،ويشبه إحساس المحب ووطأة الزمن وثقله عليه بهذه الصورة العامة أيضاً والتي لا تنتمي إلى حضارة معينة غير الحضارة الإنسانية"[3]، فأصحابه الذين كان يتوقع منهم المواساة ومشاركتهم له في همه وحزنه، تناسوه وتركوه لهمه ومعاناته، وهذه النجوم البراقة التي كان يراها عاملاً من عوامل البهجة والسرور هي أيضاً لم تعد تحمل هذا المعنى، بل أصبحت هاجس كآبة وحزن، واتحدت مع الليل مما زاد عناء الشاعر وإحساسه بالوحدة والهموم، وبما أن الشاعر عاشق مغرم بالطبيعة ومؤثراتها من جانب إلا أنه لا يزال يعانيها ويصارعها محاولاً التغلب عليها من الجانب الآخر.

---

(1) ديوان الأعشى، ص٣٧١، أمراس :حبال، تستريد: استرادت الدابة رعت ، أفول: غروب، الثريا: مجموعة من النجوم ومن الكواكب، السعود :مجموعة أخرى من النجوم تتكون من عشرة كواكب.

(2) الصائغ، عبد الإله، "الصورة الفنية معيارا نقديا، منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ط١، ص٢٣٤.

(3) العمري، زينب عبد العزيز، "السمات الحضارية في شعر الأعشى، دراسة لغوية وحضارية"، الرياض ١٤٠٣-١٩٨٣، ص٤٠٧.

ويقول:

وَيَهمـــاءَ قفــرٍ تَحــرَجُ العَــينُ وســطَها   وَتَلقَـى بِهَـا بَـيضَ النَّعَـامِ تَرَائِكَـا[1] (طويـل)

يعاني الشاعر مكابدة الصحراء، حيث يصفها بأنها يهماء، مقفرة خالية، مما يزيد من وحشتها وعنائها ".

حتى أن الحيوانات التي اعتادت على العيش فيها والتأقلم مع ظروفها القاسية قد تفر منها "فهي تصدم الحواس والمشاعر معاً خلال مشاهدها المخيفة التي تجلوها، واسعة مقفرة تخرج العين وسطها" فلا تجد فيها سوى البيض الذي تركته النعام فيذعر قائد القافلة"[2]. ولعل عتمة الصحراء جعلت من بيض النعام علامة واضحة، باعتباره جزءاً من هذه الصحراء "فبعض أجزاء هذه البيئة الصحراوية، يظهر لامعاً وبعضها يبقى مستوراً في الظل"[3]، كما أن هذه الأرض المستوية، جعلت الشاعر يلاحظ هذا البيض، مما يدل على أنها صحراء مقفرة، وكأنها خصم لدود يصارعه الأعشى ليتغلب عليه، بينما يندهش من بيض النعام، وكأن هذا البيض ولونه الناصع يحتاج إلى من يرعاه ويحتضنه، لتظهر لنا صورة القسوة التي يصورها لنا الشاعر، فاللون الأبيض يدل على اللطف والحسن والرقة، بينما الصحراء تسلبه هذه الصفات. ويقول :

يَـــسُوقُ لَنَـــا قِلاَبَـــةَ عَبـــدُ عَمـــرو   لِيَرمِيَنَـــا بِهِـــم فـــيمن رَمَانَـــا[4] (وافـر)

وَلَـــو نَظَـــرُوا الـــصَّبَاحَ إذاً لَذَاقُـــوا   بِـــأَطرَافِ الأَسِـــنَّةِ مَـــا قِرَانَـــا

يستنكر الشاعر إغارة الحارث بن علة على إبل عمرو بن تميم، وإشعال الفتنة والاستهانة بهم، رغم أنهم ليسوا ضعفاء، فلو انتظروا الصباح لتكشف كل شيء على حقيقته، وكأن هذا الوقت

---

(١) ديوان الأعشى، ص١٣٩، يهماء: صحراء واسعة ينخرق فيها الريح.

(٢) الصائغ، عبد الاله، "الصورة الفنية معياراً نقدياً"، ص٢٣٠.

(٣) صالح، قاسم حسن، "سيكولوجيا إدراك اللون والشكل"، دار الرشيد، بغداد، العراق، ١٩٨٢، ص٣٥.

(٤) ديوان الأعشى، ص٢٣٧ .

وهو الصباح وأول النهار يكشف وجه الحقيقة، مقابل أن الغدر الذي حصل من خصمهم بمثابة الليل، فالليل محل الغدر والخيانة والخوف، لكن الصباح ينبئ عن الوضوح ومعيناً للمظلوم ليأخذ حقه أمام الناس، وميداناً للشجاعة والبسالة والمواجهة "ففيه تشن الغارات المفزعة"[1]. ويتجرد اللون الأبيض من دلالته أمام الخوف، وأمام ما يلاقيه العدو من الشدائد والأحوال. يقول الشاعر:

سَائِل تَميماً بِهِ أَيَّامَ صَفَقَتِهِم ... لَمَّا رَآهُمْ أسَارَى كَلُّهُم ضَرَعَا[2](بسيط)

وسَط المُشقَّرِ في عيطَاءَ مظلِمَةٍ ... لاَ يَستَطِيعُونَ فِيهَا ثَمَّ مُمتَنَعَا

لو أُطعِمُوا المنَّ والسَّلْوَى مَكَانَهُمُ ... مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْماً فِيهِمُ نَجَعَا

إن العدو وهم – بنو تميم، وقت الحرب في هذه الهضبة المظلمة، ولشدة ما يلاقونه من البطش والخوف–لا ينفعهم النعيم ولو أكلوا من ألذ الطعام حتى لو كان هذا الطعام هو المن والسلوى ذلك الطائر الأبيض فقد جمع هذا الطائر اللون الأبيض الجميل إضافة إلى لذة الطعم وحلو مذاق لحمه، إلا أن الهزيمة وشدة أهوال هذا اليوم لم تجعل المهزوم – بني تميم– يحسون بها، وكأن الشاعر يربط بين اللون الأبيض والطمأنينة والراحة، فهو لون يبعث في النفس هذه الطمأنينة والارتياح، إلا أن الموقف يسلبه هذه الصفة، "ولعل عامل تراسل الحواس كان له الدور في هذه الصورة الفنية فالجنود لما رأوامن رعب الحرب وشدتها جعل ذلك يؤثر على ذائقة الطعام، فلم يجدوا له لذة ولا نفعاً، وكأنهم يذوقون الطعام بأعينهم"[3].

---

(1) الصائغ، عبد الإله، "الصورة الفنية معيارا نقديا منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ط١، ص٢٢٣.

(2) ديوان الأعشى، ص١٥٩، يوم صفقتهم: يوم من أيام العرب بين كسرى وتميم،صرع ذل ، المشقر: حصن قتل فيه كسرى بني تميم، عيطاء :هضبة شامخة، المن :طل ينزل من السماء كالندى يتجمع على الأشجار والأحجار وينعقد عسلاً فيؤكل، السلوى: طائر أبيض مثل السمان .

(3) انظر: الصائغ، عبد الإله، "الصورة الفنية معيارا نقديا، منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ط١، ص٢٢٩ .

وفـي وصـفه لنفسه وبيـان قيمتـه الاجتماعيـة، ينفـي الـشاعر عـن نفسه صـفات الـضعف والوضاعة. ويقول:

أتَانِــى وعيــدُ الحُــوصِ مِــن آلِ جعفــرٍ فَيا عبدَ عمرٍو لَو نَهَيتَ الأَحَاوِصَا[1](طويل)

فقلــتُ وَلَــم أَملِــك أبكــرَ بــنَ وائِــلٍ مَتَــى كُنــتُ فَقعــاً نابِتــاً بِقَصَائِــصَا

وَقَــد مَــلأَتْ بَكــرٌ وَمَــن لَــفَّ لَفَهَــا نُبَاكــاً فَــأَحَواضَ الرَّجَــا فَالنَّوَاعِــصَا

يستخدم الشاعر اللون في هذه الأبيات ليوظفه وظيفة تختلف عن دلالته العامة ليكون محل احتقار وضعف، فبحسب بيئة الشاعر التي تربى فيها وبين قبيلة –بكر بن وائل– يرى في نفسه الهيبة والعظمة، لا يرضى اتهام خصومه له بالضعف والوضاعة، فهو رجل من علية القوم ومن أشرف القبائل، مقارنة بخصومه الأذلاء الضعفاء، لقبولهم الذل، فهم مثل نبت الفقع الذي ينبت في الأرض، تدوسه الأقدام، ويسهل اجتثاثه ،ينبت بأطراف الشجر الباسق، ليكشف لنا الشاعر عن مقارنة بين قومه، وبين قوم علقمة ،مستخدماً اللون الأبيض للدلالة على الضعف وحقارة المنشأ والبيئة، التي تربى فيه قوم علقمة.

ثم ينتقل الشاعر إلى دلالة من دلالات اللون الأبيض للدلالة على الفتنة، يقول:

وفــي كــلِّ عــامٍ بيــضةٌ تَفقَهونهــا فتَغْنَــى وتَبقَــى بيــضةٌ لا أَخَالَهــا[2] **(الطويــل)**

وصف الشاعر اللون الأبيض هنا مستخدماً البيضة لما فيها من دلالة الحياة والاستمرارية، إلا أنهم قتلوا هذه الحياة في أطوارها الأولى، معبراً بهذا اللون عن السلم والتصافي، إلا أن الخصم قلبها إلى فتنة تشعل الأحقاد والكره في النفوس والقطيعة كما أن هذه البيضة التي فقؤها أصبحت مؤشراً على الفراق والتشتت.

---

(١) ديوان الأعشى، ص١٩٩،،الحوص: ضيق العينين، الأحاوص: قوم علقمة ،الفقع :الأبيض الرخو من الكمأة والكمأة نبات يقال له شحمة الأرض وهو أصل مستدير كالقلقاص لاساق له ولاعرق لونه يميل إلى الغبرة يضرب به المثل في الذل، قصائص: جمع قصيصة وهي شجرة تنبت في أصل الكمأة.

(٢) ديوان الأعشى، ص٣٩٣ .

دلالات اللون الأسود

"السواد: نقيض البياض."وسواد الناس:عوامهم وكل عدد كثير".

"ويقال: أتاني القوم أسودهم وأحمرهم أي عربهم وعجمهم. ويقال :كلمته فما رد علي سوداء ولا بيضاء أي كلمة قبيحة ولا حسنة أي ما رد علي شيئاً".

"والسواد: جماعة النخل والشجر لخضرته واسوداده".

"والأسودان: الحرة والليل لاسودادهما".

"ويقال للأعداء صهب السبال وسود الأكباد، وإن لم يكونوا كذلك فكذلك يقال لهم".

مما تقدم يظهر لنا أن اللون الأسود له عدة دلالات، وإيحاءات، وذلك من خلال وجوده في السياق[١].

ولعل قابلية الأجسام للضوء من عدمها، يتحكم في إعطائها اللون المناسب" كما يقال لسطح ما أنه أسود إذا ما امتص تماماً كل الإشعاعات التي يستقبلها"[٢].

وبما أن اللون الأسود له دلالات متنوعة، فهو لون الليل، الموحي بالخوف والوحشة والهم والكآبة والإبادة والموت.

فقد استتخدم الأعشى اللون الأسود بألفاظه المعجمية، وبدلالاته وإيحاءاته المختلفة.

وقد صاحب هذا اللون الأعشى في كثير من قصائده، وخاصة، في وصف الرحلة والسفر وخصوصاً معاناته مع الليل الذي مثل الهم الأكبر والوحشة والخوف عند الشاعر، حتى أصبح يراه مصدراً للتشاؤم، والهم النفسي، فصور لنا صراعه المرير مع هذا الهاجس المخيف، محاولاً التغلب عليه، وبالرغم من هذه الدلالات السلبية التي يوحي بها هذا اللون، فإن الشاعر لم يقتصر على هذه

---

(١) ابن منظور "لسان العرب"، مادة الأسود، ج٦ ص٤٢٠.

(٢) حمودة، يحيى، "نظرية اللون"، ص١٣.

الدلالات، بل وظفه توظيفاً مغايراً، ليجعله دلالة من الدلالات الإيجابية، فهو يراه زمناً مناسباً للهو والفرح، وطريقاً آمناً للوصول إلى المحبوبة، ساتراً عن أعين الناس، ومتابعة الرقيب، كما استخدمه رمزاً من رموز الجمال، وسمة للمحبوبة، من خلال وصفه لعينها ،تشبيهها بعين الغزال، وصفة لشعرها الأسود.

مما تقدم نستطيع القول أن اللون الأسود عند الأعشى تمثل في مستويين:

١. المستوى الأول: من حيث دلالته الإيجابية، والتي كانت تعبر عن نفسية الشاعر؛ حيث استخدم اللون الأسود استخداماً مغايراً، حيث لم يجد بداً للهروب من هذا اللون، والذي يعتبر وصفاً ملازماً للأشياء التي يكسبها هذا اللون جمالاً وروعة.

٢. المستوى الثاني: من حيث دلالته السلبية التي يدل عليها هذا اللون بصفة عامة، متحكماً في ذلك بصفته التي يحملها هذا اللون، ومايثيره في النفس من الإحساس بالخوف والفناء والكآبة.

إلا أن الشاعر كان له دور كبير في التفنن في توظيفه لهذا اللون، وإعطائه الصورة الفنية، مما يدل على عبقريته، وإجادته للوصف، ومعرفته بأهمية اللون، وما يبعثه في النفس من التأثير، ورسم الصورة الشعرية لدى المتلقي، ولعل العامل النفسي وما تفرضه الطبيعة على الشاعر بجميع مكوناتها وعناصرها، إضافة إلى ثقافة الشاعر واختلاطه بكثير من الثقافات وترحاله من بلد إلى آخر جعله يبدع في التصوير، ويأتي بما هو جديد وجذاب.

الدلالات الإيجابية للون الأسود:

ولقد لا زم حضور اللون الأسود عند الاعشى بصورة واضحة مواطن القوة والقسوة، ومواجهة الأعداء، ليتخذ منه عاملاً من عوامل النصر وإخافة الخصوم، وخصوصاً في ميادين الحروب، وإظهار الأنفة والكبرياء، والاستعداد لهذه المواجهة، ليبعث الرعب في قلوب أعدائه، ويدخل الهزيمة في نفوسهم، متخذاً من اللون الأسود طريقاً للعبور، كما كان اللون الأسود مثاراً للإعجاب بالنفس، من خلال تمثله في لون الشعر، دالاً على سن الشباب. يقول:

فَكَيــــفَ بِدَهـــــرٍ خَـــــلاَ ذِكــــــرُهُ   وَكَيْـــفَ لِـــنَفسٍ بِأَعجَابِهَـــا[1] (متقــارب)

وَإِذْ لِمَّتِـــــــى كَجنَـــــاحِ الغُــــدَا   ف تَرْنُــــــو الكَعَــــابُ لإعجَابِهــــــا

ولعل من أهم الدلالات للون الأسود خاصة الدلالة الإيجابية في نظر الشاعر عندما يكون صبغة تعلو شعر رأسه موحية بالشباب والفتوة والقوة وزمن اللهو والمتعة والإعجاب بالنفس، وكأن الشاعر لم يكن يتوقع تغير هذا الحال لكن ظهور الشيب والإحساس بالضعف، وزهد النساء فيه يجعله يتمنى الرجوع إليه فهويختار كلمة الدهر لما لها من معانٍ حسية توحي بالتعلق بالحياة والنفور من هذا التغير.

إن التعلق بالحياة والإعجاب بالنفس جعل الأعشى يستخدم اللون الأسود، الذي طالما نفر منه، واشتكى من مصارعته، يتمنى عودته وان يصبح هذا اللون مصاحباً له باعثاً الأمل والعزيمة في نفسية الشاعر، جذاباً للنساء فقد كن معجبات بشبابه وجماله إذ كان يهتم بلمته، ليغري بها الحسناوات.

---

[1] ديوان الأعشى،ص٢٢١، بأعجابها :جمع عجب وهو الاستحسان والروعة،الغداف :الغراب، الكعاب :جمع كاعب وهي التامة الحسن أو اللتي نهد ثديها.

يقول أيضاً:

إنَّ الغَوَانِـــــيَ لاَ يُوَاصِـــلْنَ امـــرَءًا فَقَـدَ الـشَّبَابَ وقَـدْ يَـصِلنَ الأَمـرَدَا[1] (كامل)

بَـلْ لَيـتَ شـعرِي هَـل أَعُـودَنْ نَاشِـئاً مِثِلـــي زُمَـــيْنَ أَحُـــلُّ بُرقَـــةَ أَنقَـــدَا

إذْ لِمَّتـــى سَـــوداءُ أَتبـــعُ ظِلَّهَـــا دَدَنـــاً قُعُـــودَ غَوَايَـــةٍ أجـــرِى دَدَا

يَلوِينَنـــي دَيْنِـــي النَّهَـــارَ وأَجتَـــزِي دَيْنِـــي إذَا وقَـــذَ النُّعَـــاسُ الرُّقَّـــدَا

ويستطرد الشاعر في دلالة اللون الأسود الإيجابية، متأسفاً على هذا الفراق حيث يتمنى العودة إليه؛ للتمتع باللهو مع النساء، يساعده في ذلك الليل المظلم الذي يستتر بظلامه عن أعين الناس للوصول إلى محبوبته وقضاء الليل معها.

يرى الأعشى أن من فقد الشباب –بتغير لون شعر رأسه الذي أصبح أبيض –فقد صار أبشع من الأمرد الذي لا شعر له ، وكأن وجود هذا الشعربما يحمله من اللون– شباباً أو شيخوخة– عامل جذب في الرجل أو نفور منه.

وبما أن الليل بلونه الأسود والذي يعد باعثاً للهم وزيادة المشقة فإن الممدوح في نظر الأعشى كفيل بأن يتغلب على هذا الليل. يقول:

إليـــكَ أبيـــتَ اللّعـــنَ كـــانَ كَلاَلُهَـــا إلى المَاجِدِ الفَرعِ الجَوَادِ المُحَّمد[2] (طويل)

إلَـــى مَلِـــكٍ لاَ يَقطَـــعُ اللَّيْـــلُ هَمَّـــهُ خَـــرَوجٍ تَـــرُوكٍ لِلفِـــرَاشِ المُمَهَّـــدِ

طَويـــل نِجَـــادِ الـــسَّيفِ يَبْعَـــثُ هَمُّـــهُ نِيَـــامَ القَطَـــا باللَّيـــلِ فـــي كُـــلِّ مَهْجَـــد

يجمع الشاعر في هذه الأبيات بين اللون الأسود لون الليل والهم الزماني في مقابل ما يتحلى به الممدوح من الصبر وتحمل المسؤولية، وما يتصف به من صفات الرجل المهيب ذب القامة الطويلة الباعثة للهيبة، إلا أنه لا يستريح ولا ينام الليل. مما يزيد معاناة القائد في سبيل راحة قومه،

---

(1) ديوان الأعشى، ص٢٧٧، برقة :الأرض الغليضة، ددنا: للهو واللعب ،قعود غواية: أي قاعداً في الغواية، يلوينني: يمطلنني، أجتزي: أتقاضى، وقذ: صرع.

(2) ديوان الأعشى، ص٢٣٩،نجاد :السيف حمائله ،القطا: طائر: في حجم الحمام.

فقد هجر الفراش الممهد الناعم، يقطع طول هذا الليل بالتنقل وتلمس حاجات قومه ليجمع بين الحلول الحسي وهو الليل وطوله بما يبعثه من الأرق والخوف "وهذا الحلول الحسي يدنيه من استعارة فعل الزمن وآية ذلك هيمنته في الغياب والحضور"[1].

وينتقل الأعشى إلى دلالة من دلالات اللون الأسود الموحية بالكرم، يقول:

نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ	كَجَابِيَةِ السَّيحِ العِراقِيِّ تفهقُ[2] (طويل)
يَرُوحُ فَتَى صِدقٍ ويَغدُو عَلَيهِمُ	بِمِلءِ جِفَانٍ مِنْ سَدِيفٍ يُدَفَّقُ
وَعَادَ فَتَى صِدْقٍ عَلَيْهِم بِجَفْنَةٍ	وَسَوداءَ لأَيَاً بِالمزَادَةِ تُمَرَقُ
تَرَى القَوْمَ فِيَها شَارِعِينَ وَدُوَنهُمْ	مِنَ القَوْمِ ولِدَانٌ مِنَ النَّسْلِ دَرْدَقُ

وتظهر دلالة من دلالات اللون الأسود، ولكنها دلالة إيجابية اجتمعت مع عدة صفات تدل على الكرم والجود، ذات دلالة تنفي البخل والذم، وهي تلك الجفنة التي اكتسبت باللون الأسود بسبب كثرة إشعال النار تحتها، لطبخ الطعام وإقراء الضيوف، وقد عرف عند العرب قولهم:" كثير رماد القدر"، وذلك كناية عن الكرم، فهذا الممدوح، متفان في إكرام ضيوفه، حتى أن الأطفال ينالون من هذا الكرم مايجعلهم ينغمسون فيه وكأنهم يسبحون في غدير الماء، وذلك دلالة على ضخامة هذه الجفنة، وفي صورة أخرى يشبه الشاعر الجيش بالليل، لكثافة ذلك الجيش. يقول:

كُن كَالسَّمَوءَلِ إذِ سَارَ الهُمَامُ لَهُ	فِي جَحفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيلِ جَرّار[3] (البسيط)

---

(1) الصائغ ،عبد الإله " الصورة الفنية معياراً نقدياً"،ص١٩٢ .

(2) ديوان الاعشى، ص٢٧٥، السيح :النهر، تفهق: فهق الإناء امتلأ حتى صار يتصبب، سوداء: يقصد القدر، لأيا: الشدة والبطء والمشقة، المزادة :الراوية، تمرق :مرق القدر أكثر مرقها، الدردق: الأطفال والصغير من كل شيء.

(3) ديوان الأعشى، ص٢٢٩، الهمام :هو الحارث بن أبي شمر الغساني أو الحارث بن ظالم على خلاف بين الرواة.

إن هاجس الحرب واهتمام الشاعر بإظهار الممدوح في أقوى صورة ترهب الخصوم جعله يستخدم اللون الأسود للدلالة على القوة والهيبة من ناحية مستخدماً كلمة– الليل– والتي احتلت مساحة واسعة في شعره، وخاصة وصف الجيش بهذه الصفة، بعيداً عن العامل الزمني الذي كان يعاني منه مع المحبوبة إلا أنه استخدمه هنا – بصفته لوناً– لما يثيره في نفوس الأعداء من الخوف والرهبة، ومدى كثافة هذا الجيش ،وكأنه يصل إلى حدود لا نهاية لها متخذاًالليل عامل حصار للأعداء متخذه كعامل حصار للأعداء، لا يستطيعون الفرار منه، ولما يحمله من دلالة سلبية بالنسبة للأعداء فيشعرهم بالإبادة والموت والفناء،فنجد هنا استخدام الليل للدلالة على اللون الأسود وإيحاءاته الإيجابية، إلى جانب دلالته الزمانية الموحية بطول هذه المعاناة. ويقول أيضاً:

فَلَـــئِن رَبُّـــكَ مِـــنْ رَحمَتِـــهِ كَـشَفَ الـضيِّقَةَ عَنَّـا وَفَـسَحْ[1] (رمل)
أَوْ لَـــئِن كُنَّـــا كَقَـــومٍ هَلَكُـــوا مِـا لحـيٍّ يـا لقَـومي مِـنَ فَلَـح
لَيَعُـــودَن لمَعَـــدِّ عَكْرهَـــا دَلَـجُ اللَّيـل وَتَأخـاذُ المِنَـح

ويحاول الشاعر التغلب على الذل، مستخدماً أداة الشرط – لئن– فإن أراد الله لهم العزة، وكشف ما بهم من الضيق ليعودن لقوتهم وجبروتهم حتى أنهم يستطيعون السير في شدة ظلام الليل تغمرهم النعم والعطايا، وهنا مواجهة بين الفارس والليل وكأن هذا الليل خصم، يقف ضد القوم، لا يعرف لهم عزاً ومجداً حتى يسيروا فيه بلا خوف يستطيعون حماية نسائهم وأولادهم مما قد يصادفهم في الليل شديد الظلمة.

من هنا تظهر شدة معاناة الشاعر مع الليل، ولعله استعاد تلك الصور التي كان يكابدها أثناء أسفاره وترحاله، وما يواجهه في هذا الليل حتى أصبح هاجس خوف ووحشه تطارده في أغلب تخيلاته، لتحرمه الإحساس بالراحة والطمأنينة.

---

(١) ديوان الأعشى، ص٢٨٧، فلح: الفلح البقاء والنجاة والفوز، عكرها :العكر (بفتح فسكون) والعكر (بفتحتين) ما فوق خمسمائة من الإبل.

الدلالات السلبية للون الأسود:

يقول الأعشى:

فَقَـــــرِّب لِـــــــرَحلِكَ جُلذِيَّـــــــةً هَبُـوبَ الـسُّرَى لاَ تَمَـلُّ النَّصِيـصَا[1] (متقارب)
يُـــشَبِّهُهَا صُحْبَتِــــي مَوهِنـــــاً إذَا مَـــــا اســـــتَتَبَّت أتَانـــاً نَحُوصَـــــا

وقد يستغنى الشاعر عن ذكر اللون الأسود المتمثل في الليل بذكر دلالة تدل على الفعل الذي يقوم به من يقطع هذا الليل، حيث يجهر رحلة (جلذية) تلك الحفارش التي توضع تحت السرج"[2]، مما يدل على أن الدرب طويل وشاق، وهو السرى فالسير في هذا الليل المظلم لا يخلو من مواجهة المخاطر. إلا أن الاستعداد له بناقة سريعة وكأنها الريح يجعل منها عاملاً ساعداً للتغلب على هذا الهاجس. وفي عمق هذا الليل وخصوصاً منتصفه يتمثل استحثات كل القوى التي تملكها الناقة لمحاولة العبور إلى النصف التالي من الليل. إضافة إلى ضخامة هذه الناقة التي منعها السمن من الحمل، وكأنها مجهزة لمواجهة هذه المخاطر. يقول:

وَلَقَـــــد أُحـــــزِمُ اللُّبَانَــــةَ أَهلِـــــي وَأُعِّـــديهمُ لأَمــــرٍ قَـــذِيفِ[3] (خفيــف)
بِـــــشُجَاعِ الجَنَـــانِ يَحتَفِـــرُ الظَّلْــــ ـــمَاءَ مَـــاضٍ عَلَـــى الـــبلاَدِ خَـــشُوفِ

ويظهر تجسيد الشاعر للون الأسود من خلال تشبيهه بكومة الرمل، هذا الليل يواجهه الأعشى بجمل شعاع لا يخاف الظلماءبل يواجهها مثل العامل الذي يحفر الرمل، أو ينحت الصخر. مما يجعل الصورة أقسى لهذا الليل المتكتل لشدة ظلامه، إلا أنه يواجهه بالعزيمة مستعيناً

---

(١) ديوان الأعشى، ص٢٥٧، جلذية: سريعة شديدة نشيطة، السرى :سير الليل، النصيصا: مصدر نص ونص ناقته استحثها ليستخرج آخر ماعندها، موهن: نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه، استتبت: أقامت في السير، وستتب الأمر اطرد واستقام، أتان: أنثى الحمار، النحوص: أي لاولد لها ولا لبن.

(٢) انظر "ابن سيدة، "المخصص"، ج٦، ص١٩١-١٩٢.

(٣) ديوان الأعشى، ص٣٦٥، أحزم: حزم المتاع شده وربطه ،قذيف: بعيد ،الجنان: القلب ،خشوف :خشف ذهب في الأرض ومشى في الليل.

بهذا الجمل،ليظهر لنا صورة لهذا الظلام من خلال تجسيده وجعله كائناً محسوساً، يحتاج إلى جهدٍ أقوى وصبر لا يكل صاحبه من مواصلته، ويقول أيضاً:

وَبَلـــدَةٍ يَرهَـــبُ الجَـــوَّابُ دُلجَتَهَـــا حَتَّـى تَـرَاهُ عَلَيهَـا يَبتَغِـي الـشِّيَعَا[1] (بسيط)

لاَ يَـسمَعُ المَـرءُ فِيهَـا مَـا يُؤنِّـسُهُ بِاللَّيـــلِ إلاَّ نَئِـــيَم البُـــوم وَالــــضُّوَعَا

ويستطرد الشاعر في وصف معاناته مع الليل، وربطه بالطبيعة الصحراوية إلا أنه استغنى عن لفظة الليل بدلالة تدل على وحشته (دلجة) وهي آخر الليل، لا يجد ما يؤنسه سوى صوت البوم وذلك الطائر الأسود الذي ينفر من لونه وصوته الموحي بالخوف والرهبة، فالطير له دلالاته النفسية والأسطورية عند الشاعر[2]. إن محاولة الشاعر رسم الصورة المخيفة التي رسمتها الطبيعة في نفسيته تدل دلالة على مصارعته لهذه الأسباب محاولاً الجمع بينها "فهو يطيل الوقوف أمام الحقائق الحسية ليجمع أطرافها ويلملم جزئياتها، ويصنع منها بالتالي صورة متعددة الظلال والألوان"[3]. هنا يكشف الشاعر عن دلالة اللون الأسود وأنه عاملاً نفسياً مخيفاً مما يجعله في موقف الصراع الداخلي في نفسه، والخارجي أمام هذا السواد المخيف الذي لازم الشاعر في أغلب رحلاته وأسفاره. وفي صورة أخرى يستخدم الأعشى دلالة من دلالات اللون الأسود السلبية.

يقول:

إنِّـــــي أخَـــــافُ الـــــصُّرمَ مِنــــــهَا أوَ شَــحِيجَ غُرَابِهَـــا[4] (مجـزوء كامـل)

---

(١) ديوان الأعشى، ص ١٥٣، الجواب: المتجول أو المسافر، الدلجة :السير آخر الليل، الشيع: الذي يشايعه، الضوع: طائر من طيور الليل أسود.

(٢) الخطيب، عماد علي " الصورة الفنية أسطورياً" ص٢٤٦.

(٣) قميحة، مفيد محمد " الأعشى شاعر اللذة والحياة " ص١٣٧.

(٤) ديوان الأعشى، ص٣٠٣، الصرم :القطيعة، شحيج :نعيق الغراب.

وقد يستخدم الشاعر المعنى المجازي للدلالة على اللون الأسود، بذكر كلمة تدل على هذا اللون وهي الغراب، ذلك الطائر الأسود، الذي يدل دلالة مجازية على الشؤم والفراق، وكما يقال غراب البين أي المنذر بالفراق والقطيعة، حيث يقف الشاعر حائراً بين القطيعة المقصودة من المحبوبة، أو سماع ما يدل على الفراق والهجر معبراً بكلمة قد تكون أكثر دلالة على هذا الفراق وهي (شحيج) ، وكأن الأعشى يتعمد جمع الصورة الدال دلالة غير مباشرة على ما يخاف منه ويؤرقه وهو فراق من اعتاد على وصالها والتمتع بها وهي محبوبته. ويقول أيضاً:

أَتَصرِمُ رَيَّا أَمْ تُدِيمُ وِصَالَهَا بَلْ الصَّرْمَ إذ زَمَّتْ بِلَيلٍ جِمَالَهَا[1] (طويل)

وبقدر ما يعاني الشاعر من الفراق إلا أن اللون الأسود أصبح موحياً بهذا الفراق وزمناً تستعد فيه المحبوبة للرحيل وهجر المحبوب، فهو بين الحيرة والتساؤل، ومجادلة النفس والتعلق بالأمل لمعرفة رأي المحبوبة تجاه قرار الرحيل، ويكون اللون الأسود المتمثل في لون الليل دليلاً على نية المحبوبة على الرحيل، فهذا الليل أصبح بمثابة بداية لنهاية العلاقة بين الأعشى ومحبوبته، فبعد أن كان هذا الليل محلاً للقاء والتعلل مع هذه المحبوبة، إلا أنه أصبح ذا دلالة سلبية، أفزعت الشاعر وجعلته في حيرة، "وهذه المنطقة من الزمان – أعني الليل – هي منطقة تكثيف شعري كالأطلال، فالزمانية في الليل، باعتبارها موطناً للكشف الشعري أيضاًوعند ذهاب العشاء والدخول في الليل يواصل الشاعر الكشف"[2]. ليحاول الشاعر الاستعانة بالليل للكشف عن المصير، ونتيجة هذه الحيرة، والتساؤل.

---

(1) ديوان الأعشى،ص٣٩٣ ، أتصرم :أي هل تهجرك وصرم الحبل صرماً قطعة، زم البعير خطامه، والخطام سير عريض يوضع فوق الأنف ويشد إليه الرسن وهو الحبل الذي يقاد به البعير.

(2) الديلمي، سمير " الصورة في التشكيل الشعري " دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٩٠، ص ١٣٣.

ويقول أيضاً:

فَيَـــــا لَدَنِيَّـــــةٍ سَـــــتَعُودُ شَـــــزراً	**وَعَمـــداً دَارَ غَيـــرِكِ مَـــا تُرِيـــدُ**[1] (وافــر)
فَمَـــا أُجـــشِمتِ مِـــن إتيَـــانِ قَـــومٍ	**هُـــــمُ الأَعـــــدَاءُ وَالأَكبَـــــادُ سُـــــودُ**

ويستخدم الأعشى اللون الأسود ضمن دلالاته السلبية، وذلك من خلال ما يسببه الحقد وتخلقه الإضغان في تحويل أعضاء الإنسان وسلبها دلالاتها الايجابية إلى الدلالة السلبية فالكبد التي تكون محل التأثر والرحمة أصبحت سوداء لا تعرف الرحمة والرأفة، في مقابل ما يبذله الأعشى من الجهد والعناء، وإضفاء ناقته في السفر للوصول إلى الحبيبة من خلال هذه الصورة "رأينا أن نفور الأعشى من الناس مبني على كونهم يمثلون حاجزاً بينه وبين ما يتمناه[2].

ويستخدم الأعشى اللون الأسود بدلالته السلبية، وهي الدلالة الحقيقية لهذا اللون، فاللون الأسود يوحي بالوحشة، والكآبة، والحزن، والفراق، والهلاك. يقول:

وَأَعـــــدَدتَ لِلحَـــــربِ أَوزَارَهَـــــا	**رِمَاحـــاً طِـــوَالاً وَخَـــيلاً ذُكُـــورا**[3] (متقـارب)
وَمِـــــن نَـــــسجِ دَاوُودَ مَوضُونَـــــةً	**تُـــــسَاقُ مَـــــعَ الحَـــــيِّ عِيـــــراً فَعِيـــــرَا**
إذَا ازدَحَمَـــت فِـــي المَكَـــانِ المَـــضِيـ	**ـقِ حَـــــتَّ التَّـــــزَاحُمُ مَنَهَـــــا القَتِيـــــرَا**
لَهَـــا جَـــرَسٌ كَحَفِيـــفِ الحَـــصَا	**دِ صَـــــادَفَ بِاللَّيـــــلِ رِيحـــــاً دَبُـــــورا**

هنا تظهر لنا معالم البيئة التي عاش فيها الشاعر والتأثر بالزرع؛ فاليمامة كانت منطقة زراعة وحصاد، ليشبه الشاعر صوت الخيل في سيرها بصوت الزرع وذلك لكثرة الحديد وأدوات

---

(١) ديوان الأعشى، ص٣٧٣، دنية: قد يكون المقصود بها الناقة أو صاحبته، أجشمت: من أجشمه الأمر إذا كلفه إياه فتحمله بمشقه، الأكباد سود: عدو أسود الكبد أحرقت كبده العداوة.

(٢) الصائغ، عبد الإله، "الصورة الفنية معيارا نقديا منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧، ط١، ص٣٢٦.

(٣) ديوان الاعشى، ص١٤٩، أوزار الحرب: عدتها، موضونة: دروع منسوجة بعضها على بعض،تساق: تحمل ويرسل بها، القتير: رؤس المسامير التي تربط أجزاء الدرع وحلقاته، جرس صوتها: حين يختنق بعضها ببعض، الحصاد: النبات الذي جف على سوقه ونضج، دبورا: الريح الغربية.

الحرب، فكأنها حفيف الزرع عند الحصاد، إلا أنه مما يزيد هيبة هذا الصوت أنه لا يمكن للعين رؤية الخيل لشدة الظلام، مما يزيد الرهبة والخوف في قلوب الأعداء، ولعل صورة حصاد الزرع تقرب في ذهن السامع إلى النهاية التي ينتظرها العدو، ومما يزيد ذلك عزفاً وإمتاعاً صوت الرياح المخيف الذي يزيد من الهيبة والشعور بالوحشة والخوف. وماتثيره من الرعب في نفوس الأعداء، مما يهيىء النصر، والهزيمة الساحقة ضد العدو، غير الهزيمة النفسية، التي أثارتها حركة الجيش، المتلبد بالسيوف اللماعة، والدروع الفضفاضة،ليبقى اللون الأسود مرتبطاً بالهلاك والخراب . يقول:

وَأَيَّــــام حُجْــــرٍ إذ يُحَــــرَّقُ نَخلُــــهُ   ثَأَرْنــاكُمُ يَومــاً بِتَحرِيــقِ أَرقَــمِ[1] (طويـل)

كــأَنَّ نَخِيــلَ الــشَّطِّ غِــبَّ حَرِيقِــهِ   مَــآتِمُ سُــودٌ سَــلَّبَت عِنْــدَ مَأْتَــمِ

يظهر في هذه الأبيات أن اللون الأسود نتاج للقسوة والجبروت ونهاية رسمتها الأحقاد والحرب، حيث ارتباط الزمن الماضي – أيام – بهذه النتائج المأساوية المرعبة، ولعل إحراق النخيل يعبر عن الهزيمة النفسية عند العرب إشعاراً بالسيطرة والأنفة، ولم تسلم حنيفة في جاهليتها من الداء الذي يصيب القبائل والأمم وهو التناحر والتنافر، فشبت فتنة بين بني حنيفة جردوا لها السلاح، وشبت لها نار العداء، ولما أخذت حصونهم تحميهم من التفاني صبوا وبالهم على النخيل يحرقونها فحرق أرقم بن عبيد بن ثعلبة الحنفي ورهطه نخيل منفوحة بلاد بني قيس بن ثعلبة الوائلين رهط الأعشى، فبادلهم هؤلاء بمثل عملهم فحرقوا الشط والبادية إحدى قرى حجر، ومن ثم سميت محرقة"[2] فالحروب دائماً مثار للأحقاد والهلاك، وعادة مايحاول الخصم، إلحاق الضرر بعدوه بأي صورة كانت "كما كان من عادتهم إحراق النخيل في الحروب"[3]، ولعل إحراق النخيل

---

(1) ديوان لأعشى،١٧٧، ثأرناكم: غلبناكم وتركنا فيكم الثأر،أرقم :موضع كثير النخل، الشط :شاطىء النهر والبحروهو كذلك قرية باليمامة ولعله هو المقصود، مآتم: جمع مأتم وهو جماعة النساءفي الحزن ،سلبت: المرأة على زوجها لبست السواد.

(2) العمري، زينب عبد العزيز، "السمات الحضارية في شعر الأعشى، دراسة لغوية وحضارية"، الرياض ١٤٠٣-١٩٨٣، ص ٣٥-٣٦ .

(3) العمري، زينب عبد العزيز،" السمات الحضارية في شعر الأعشى "، ص ١٥.

كان نوعاً من الحصار، وثمة صورة مرعبة للنخيل في معركة يوم حجر يحترق فيها فيتراءى النخل كأنه نساء بملابس الحداد، فإذا اختبأ المقاتلون خلفها افتضح أمرهم فليس ثمة ما يحجبهم في النخل المحترق الأجرد. وينتقل الأعشى، لدلالة أخرى من دلالات اللون الأسود السلبية. يقول:

إنّـــي رَأَيــتُ الحَـــرْبَ إنْ شَـــمَّرَت ... دَارَت بِـكَ الحَـربُ مَـعَ الدَّائِـرِ[1] (سـريع)

كَاللَّيْـــلِ مِـــن وَائِـــلٍ ... حَولِـــي ذَوُو الآكَــالِ مِـــن بَـــادٍ وَمِـــنْ حَاضِـــرِ

لم يقتصر استخدام اللون الأسود عند الشاعر على الدلالة السلبية، بل نجده قد استخدم هذا اللون للدلالة على القوة والخوف؛ إذ جعله سبباً للانتصار على الخصم، وذلك من خلال تشبيهه الجيش بالليل، فإلى جانب الوحشة والخوف اللذين يوحي بهما الليل إلا أنه لا حدود له، كما أن المرء لا يستطيع الهرب منه، فالليل يحيط بالناس من كل الجهات، إضافة إلى ما يدخله من الرعب في النفوس فهو محل الوحشة والخوف، إلا أننا نجده يحمل دلالة إيجابية في نفس الأعشى، حيث يفخر بقبيلته من بدو وحاضرة. ويقول أيضاً:

لِيَلتَمِســـسَنَ بِلادَكُـــمُ بِمَجـــرٍ ... يُثِيـــرُ بِكُـــلِّ بَلقَعَـــةٍ قَتَامَـــا[2] (الـوافر)

عَـــرِيضٍ تَعجِـــزُ الـــصَّحَرَاءُ عَنْـــهُ ... وَيَـــشْرَبُ قَبْـــلَ آخِـــرِهِ الجِمَامَـــا

يَقُـــودُ المَـــوتَ يَهدِيـــهِ إيَـــاسٌ ... عَلَـــى جَـــردَاءَ تَـــستَوفِي الحِزَامَـــا

وهنا يذهب الشاعر إلى دلالة من دلالات اللون الأسود بذكر كلمة (قتاما) معبراً عن الغبار الذي يثيره الجيش، وبالرغم أن لون الغبار لا يصل إلى السواد إلا أنه لكثرة الجيش يثير الخوف والهلع حيث إن الصحراء تضيق به.

لذلك استغنى الشاعر عن ذكر اللون الأسود بدلالته المعجمية بذكر دلالة تدل عليه من خلال ما يثيره هذا الجيش، كما أنه استخدم هذه الدلالة نفسها ليعبر عن صورة هذا الجيش وكثرته

---

(1) ديوان الأعشى،ص١٩٥، شمرت الحرب: اشتدت ،الآكال: قطائع كانت الملوك تطعمها للأشراف، باد: أهل البادية، حاضر :أهل الحاضرة.

(2) ديوان الأعشى، ص٢٤٩، مجر: الجيش العظيم ،البلقعة :الأرض القفر، القتام :الغبارالأسود،الجمام :جمع جم وهو الكثير من كل شيء، يهديه: يرشده ويقوده.

وانتشاره في الصحراء الواسعة ولشربه ماء (المواك) الغزيرة، لتتضح لدينا دلالة من دلالات اللون الأسود في مخيلة الشاعر ترسمها الكثرة. مما يجعل هذا الجيش يظهر وكأنه الليل، مما يوحي بالخوف والموت "واعياً كره العرب للون الأسود وتشاؤمهم منه"[١].

ثنائية اللونين الأبيض والأسود:

لقد مثلت ثنائية اللونين- الأبيض والأسود- حضوراً كبيراً في شعر الأعشى، حيث احتلت المرتبة الثانية بعد اللون الأبيض، مما يدل على وعي الشاعر وإحساسه بأهمية هذه الثنائية، وذلك من خلال رسم الصورة في طيات النص الشعري، وإعطائها أبعاداً جمالية وإيحاءات دلالية، من خلال ما تبعثه في النفس، وإثارة للمشاعر والأحاسيس عند المتلقي، وذلك أن "ازدواجهما في صورة فنية فهو ما يبين عن فهم الشاعر لرموز الكلمات ومحاورته الأشياء"[٢].

لذلك فقد استخدم الأعشى هذه الثنائية لرسم الصور الفنية من خلال الألفاظ المعجمية المباشرة تارة، أو باستخدام الألفاظ الدلالية والإيحاءات النفسية لهذه الثنائية تارة أخرى، كما وظف هذين اللونين بدلالتيهما الإيجابية والسلبية، إلا أن الأعشى لم يكن ملتزماً في توظيفه لهذه الثنائية الدلالة الأساسية للونين. فاللون الأسود والذي يوحي بالكآبة والحزن والموت قد جعل منه الأعشى دلالة على الجمال والحسن، وخاصة من خلال وصفه للمرأة، فاللون الأسود المتمثل في الشعر، والعينين، يعتبر رمزاً من رموز الجمال الأنثوي، كما جعل الليل محلاً لمقابلة المحبوبة، وزمناً للهو والعبثية وإشباع الرغبات النفسية، كما أن اللون الأبيض، الدال على الفرح، والسرور، والانشراح، يمثل في كثير من الأحيان نظرة تشاؤم، وكبتاً نفسياً، وإحساساً بالضعف، واحتقاراً وعناء ومكابدة،

(١) عجينة، محمد. "موسوعة"، أساطير العرب"، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ج٢، ص٢٠١.

(٢) نوفل، يوسف حسين، "الصورة الشعرية والرمز اللوني"، ص١١٩.

وذلك من خلال لون شعر الرأس –الشيب–، كما أن الصباح كان محلاً للمعاناة ومكابدة الرحلة الشاقة، وحرارة الشمس.

وقد مثلت هذه الثنائية عنصراً هاماً في تكوين المشهد الدرامي المتمثل في الصراع الذي ترسمه الطبيعة بكل مكوناتها، وخصوصا البيئة الصحراوية، فيما يدور بين كلاب الصيد وثور الوحش، وبين الشاعر ومعاناته مع الليل والنهار وتكبده عناء السفر، ليعبر الشاعر من خلال هذه الثنائية عن قسوة الطبيعة.

من هنا نستطيع القول بأن البيئة التي عاش فيها الشاعر كان لها حضور ملحوظ في تشكيل الصورة الفنية عنده، لرسم معاناته من خلال عناصر الطبيعة: الليل والنهار و الصحراء وبقر الوحش، والنبات "فقد امتدت الألوان البيضاء والسوداء في مساحة واسعة في السياق الشعري، وقد تجاوزت كونها مدركات حسية تصور العالم الخارجي إلى رموز نفسية تنبئ عن العالم الداخلي وتجتلي الثبات والتحول في دنيا الباطن، وما يستكن فيها ويضطرم من مشاعر وأحاسيس وانفعالات"[١]، مما يعبر عن المكنونات الداخلية، والإحساس بجمال الألوان المتناسقة لرسم الصورة الجذابة، وخصوصاً في المرأة وما تتحلى به من صفات الجمال المرتسم في كثير من المخلوقات، كالظبية، وحمار الوحش ،مما يجعلها موطن إعجاب للشاعر. وذلك من خلال اجتماع الألوان المتنافرة أيضاً (الأبيض والأسود) "ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا جُمعت كانت في النظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة"[٢].

---

(١) شنوان، يونس، "اللون في شعر ابن زيدون"، منشورات جامعة اليرموك، اربد، الأردن، ص٧٤.

(٢) الخفاجي، أبو عبد الله محمد بن سعيد بن سنان، (ت ٤٦٦هـ)، سر الفصاحة، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٦٩، ص٥٤.

وفي صورة يجمع الشاعر بين الجدية واللهو، يقول:

فَإمَّــــا تَرَينـــــي عَلَــــى آلَـــــةٍ   قَلَيتُ الصَّبا وَهَجَرتُ التِّجَارَا[1] (متقارب)
فَقَــــدْ أُخْـــرجَ الكَـــاعِبَ المُــستَرَا   ةَ مِـــن خِـــدْرهَا، وأُشِـــيعُ القِمَـــارَا
وَذَاتِ نَـــوَافٍ كَلَـــونِ الفُـــصُو   صِ بَاكَرتُهَـــا فَادَّمَجــتُ ابتِكَـــارَا
غَـــدَوتُ عَلَيهَـــا قُبَيـــل الـــشُّرُو   قِ إمَّـــا نِقَـــالاً وإمَّـــا اغتِمَـــارَا

ومن خلال ثنائية اللونين الأبيض والأسود و التأثير النفسي لهما يحاول الأعشى استعادة الماضي ووقت الصبا، و اللهو من خلال هذين اللونين، ويظهر الشاعر براعته في الجمع بين اللونين المتنافرين، الأبيض والأسود، لرسم صورة جمالية رائعة، تدل على اللهو والراحة و"لأنها لصنعة تستدعي جودة القريحة والحذق، الذي يلطف ويدق، في أن يجمع أعناق المتنافرات المتباينة في ربقة، ويعقد بين الأجنبيات معاقد نسب وشبكة"[2]، يتذكر الخمرة التي كان يشربها و كأنها عين الديك تجتمع فيها الألوان ومنها الأسود الصافي، كما كان الليل زمناً مناسباً لشرب الخمر مع الندماء، خاصة آخر الليل لما بينهما في هذا الوقت من الهدوء و الاستمتاع بالشرب وتبادل الأحاديث قبل أن تطلع الشمس، فإذا بدا النهار ذهب لقضاء حاجاته .

مما تقدم نلاحظ كيف عاد الشاعر للماضي الذي فقده من خلال تقدمه في السن ليحاول استعادته من طيات الذاكرة، مستعينا بهذين اللونين (الأبيض والأسود) في رسم هذه الصورة، والتي لا تخلو من الإحساس بالضعف، واستحالة العودة للماضي، إلى جانب المكابرة ومحاولة الحفاظ على الثقة بالنفس، وعدم الاعتراف بأسباب هجران المحبوبة ومبررات هذا الهجران.

---

(1) ديوان الأعشى، ص٩٥، آلة شدة، قليت كرهت، الصبا الميل للهو، التجارا يقصد تجار الخمر،المستراة المختارة، ذات نواف خمر تنقي القذى من صفاتها، الفصوص جمع فص وهو حدقة العين، ادمج الشيء دخل فيه، نقالا النقال مناقلة الأقداح في مجلس الشرب، اغتمارا القليل دون الريء.

(2) الجرجاني، عبد القاهر، "أسرار البلاغة" تحقيق علي رمضان الجزي، منشورات شركة ELGA، مالطا، ط١، ٢٠٠١، ج١، ص٣٣٨.

ويقول أيضا:

وَدِّع هُرَيـــرَةَ إنَّ الرَّكـــبَ مُرتَحِـــلُ وَهَل تُطِيـقُ وَداعـاً أيُّها الرَّجُلُ[(١)] (بسيط)

غَـرَّاءُ فَرعَـاءُ مَـصقُولٌ عَوَارِضُـها تَمشِي الهُوَينَى كما يَمشِي الوَجي الوَحِل

كَـأَنَّ مِـشيَتَهَا مِـن بَيْـتِ جَارَتِـها مَـرُّ الـسَّحَابَةِ، لاَ ريــثٌ وَلاَ عَجَـلُ

تَسمَعُ للحَلـيِ وَسوَاسـاً إذَا انـصَرَفت كمـا اسـتَعَانَ بِـرِيحٍ عِـشرِقٌ زَجِـلٌ

ويجمع الأعشى بين اللونين (الأبيض والأسود) بذكر دلالة تدلّ عليهما – غرّاء فرعاء- وذلك من خلال تصويره لمحبوبته مبيّناً دلالة هذين اللونين الإيجابيّة، هذه المحبوبة شديدة بياض الوجه، محل الإعجاب؛ لأنه أول ما يُرى من المحبوبة، ليزيدها شعرها الأسود المسترسل جمالاً وبهاءً، وذات ثغر براق، تشبه السحابة في مشيتها، وأنها امرأة مكسال ليجمع الشاعر بين جمال المنظر وجاذبية الحركة، وفي وصفه هذا كأنه يريد قطع جميع التساؤلات النفسية والاستفهامات الوجدانية بعد رحيل – هريرة، "وخلاصة القول أن المرأة عند الأعشى تمثال للجمال يرسمه بشعره في إتقان وبراعة فهي طويلة في غير سرف، واضحة الجبين، مجلوته، ينسدل شعرها عليها، لم يكدّر جمالها طفح أو بقع أو بثور، وحين تسير فلا تسرع وإنما تمشي شبه من برجله ألم وهو يغوص في وحل"[(٢)].

---

(١) ديوان الأعشى، ص١٠٥، غراء: بيضاء، فرعاء: كثيرة الشعر طويلة، العوارض: مايبدو من الأسنان عند الابتسام،الوجي :الذي حفي قدمه أو حافره، ريث :بطء، الوسواس: صوت الحلي، العشرق :شجرة مقدار ذراع فيها حب صغير، زجل: الصوت الرفيع العالي.

(٢) حمود، محمد، "سلسلة شعراء العرب الأعشى شاعر الحب والخمر" دار الفكر اللبناني، بيروت، ص٧٢.

ويقول أيضاً:

مُبَتَّلَةٌ هيفَاءُ رَودٌ شَبَابُهَا لَهَا مُقلتَا رِئمٍ وَأَسَودُ فَاحِمُ[1] (طويل)

وَوَجهٌ نَقِيُّ اللَّونِ صَافِ يَزِينُهُ مَعَ الحَلي لَبَّاتٌ لَهَا وَمَعَاصِمُ

وَتَضحَكُ عَنْ غُرِّ الثنَايَا كَأَنَّهُ ذُرَى أُقحُوَانٍ نَبتُهُ مُتَنَاعِمُ

هِيَ الهَمُّ لاَ تَدنُو ولا يَستَطِيعُهَا مِنَ العِيسِ إلا النَّاجِيَاتُ الرُّوَاسِمُ

وفي صورة أخرى للمحبوبة يجمع الأعشى اللونين (الأبيض والأسود) بدلالتهما الإيجابية إلى جانب أوصاف المحبوبة الجسدية، وكأنه رسام يجمع بين الألوان والتجسيد، فالمحبوبة رائعة الحسن والقوام متناسقة الأعضاء، مترفة منعمة، وأسنانها كأنها ذرى الأقحوان، وهو نبات له زهر أبيض وأوراق أزهاره مفلجة، "ولذلك يشبهون به الأسنان؛ لأن الفلج مما يستحب في صفة الأسنان"[2] من خلال هذه الصورة يتضح لنا مدى اهتمام الأعشى بأوصاف المرأة الجسدية واللونية، ومدى هيامه بها، و مدى تأثره وما يصنعه اجتماع اللونين(الأبيض والأسود) في المرأة. يقول:

وَمِثلِك خَوْدٍ بَادِنٍ قَدْ طَلَبْتُهَا وَسَاعَيْتُ مَعْصِيّاً لَدَيْنا وُشَاتُهَا[3](طويل)

متى تُسقَ مِنْ أنْيابِها بَعدَ هَجعَةٍ من اللّيلِ شَرباً حينَ مالتْ طلاتها

تَخَلْهُ فِلَسْطِيّاً إذا ذُقْتَ طَعمَهُ على ربذاتِ النَّيِّ حمشٍ لثاتها

ويكشف الأعشى عن دلالة مغايرة من دلالات اللونين (الأبيض و الأسود) عند اجتماعهما، شريطة أن يأخذ كل لون مكانه المتعارف عليه ليكون عامل إغراء، ومؤشراً حسناً وإحساساً بالمتعة. ولكنّ بياض الأسنان يدل على اهتمام المرأة بأسنانها. وشعرها الأسود صفة

---

(1) ديوان الأعشى، ص١٢٧، مبتلة: جميلة ناعمة، هيفاء :خميصة البطن، رود: ناعمة، الرواسم :الناقة التي ترسم في الأرض عند مشيتها.

(2) العمري، زينب عبد العزيز "السمات الحضارية في شعر الأعشى "ص٣٧٠.

(3) ديوان الأعشى، ص١٣٣، خود: المرأة الشابة، ساعيت: الفجور وهو لا يستعمل إلا في الإماء خاصة، طلاتها: الطلي وهي الأعناق أي مالت للنوم، فلسطين: خمر من فلسطين، الربذة: الخفيفة، الني :الشحم، حمش: لطيفة.

لشعر المرأة العربية الجميلة – ومما يزيد هذا الإغراء ارتباطه بالزمان والمكان، حيث الليل و مكان النوم محلاً، للتمتع بهذا الجمال ومداعبة المحبوبة وعدم المبالاة بالآخرين.

وفي صورة من صور الترف والنعومة، يقول الأعشى:

تَجْلُـــو بِقَـــادِمَتَيْ حَمَامَـــة أيْكَـــة　　بـــرداً أســفّ لثاتــهُ بـــسواد[1] (كامـل)

عَـــذباً إذْا سُـــئِلَ الخـــلاسُ كَأَنّمَـــا　　شَـــرِبتْ عليـــهِ بعـــدَ كـــلِّ رقـــادِ

صَـــهْبَاءَ صَـــافِيَةً، إذا مـــا اســـتُودِفَتْ　　شُـــجّتْ غَوَارِبُهَـــا بِمَـــاءِ غَـــوَادِي

وقد يستخدم الشاعر اللونين (الأبيض والأسود) للدلالة على النظافة والمظهر الحسن إلى جانب الطعم اللذيذ، فلشدة اهتمام المحبوبة بنظافة أسنانها ولثتها فهي تقوم بتنظيفهما لتظهر على صورتها الناصعة المحببة لدى الشاعر، ولشدة اهتمام هذه المحبوبة بتنظيف أسنانها، فهي تختار ريش الحمام لتنظيفهما مما يدل على نظافتها ونعومتها ودلالها " فالحمام هو الطائر المقدس للربة أفروديت آلهة الجمال النسوي، وربة العلاقات الجسدية "[2]. هذا مما يدل على سبب اختيار المحبوبة لريش الحمام خاصة " إلا أن هذه الدلالات تقرب صورة المحبوبة في خيال الشاعر ليمزج هذين اللونين بلذة الطعم، لأن من المعروف " إذا علق بالأسنان شيء من كدر فسرعان مايعالج ذلك حتى يعود للفم البريق المحبب واللمعان الأخاذ "[3] مما يؤثر على طعم الريق فيجعله لذيذاً، "وأما ريقها فقد افتتن به الأعشى واتى فيه بالعجب، فليس في فمها لعاب، ولا ظلم، وإنما خمر لذة للشاربين ورحيق لا يشبع منه من يذوقه"[4].

---

(١) ديوان الأعشى، ص١٧٩، بقادمتي :الريشتان الطويلتان في أول الجناح، أسف: المسحوق الشيء ذره عليه كأنه جعله سفوفاله، الخلاس: والمخالسة الفرصة، استودفت: قطرت، شجت: شج الحُمر صب عليها الماء، غوارب: جمع غارب وغوارب الماء أعالي مرجه، الغادية: السحاب.

(٢) الخطيب، عماد علي " الصورة الفنية أسطورياً" ص٢٣٩-٢٣٨ .

(٣) عجلان، عباس "عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى"، ص٨٦.

(٤) عجلان، عباس "عناصر الإبداع في شعر الأعشى"، ص٨٦.

ويتفنن الأعشى في وصف جمال المحبوبة وتناسق أعضائها يقول :

وَقَدْ أرَاهَا وَسْطَ أتْرَابِهَا ... فـي الحيّ ذي البهجةِ والسّامرِ[1](سريع)
كَدُرةٍ صوّرَ مِحْرَابُهَا ... بمذهبٍ في مرمرٍ مائرِ
أو بيضةٍ في الدعصِ مكنونةٍ ... أوْ دُرّةٍ شِيفَتْ لَدى تَاجِرِ
يشفي غليلَ النّفسِ لاهٍ بها ... حَوْرَاءُ تَسْبي نَظَرَ النّاظرِ
لَيْسَتْ بِسَوْداءَ ولا عِنْفِصٍ ... داعرةٍ تدنو إلى الدّاعرِ
عَبَهْرة الخلق، بُلاخيّة ... تشوبه بالخلق الطاهر

وهنا يستخدم الأعشى ثنائية اللونين(الأبيض والأسود) ويبرز قدرته على التفريق بينهما، وربما كان يريد نفي ضعف البصر، الذي يعاني منه، وقد كرر ذكر كلمة – أرى – في أكثر من موضع.

فهو يترقب المحبوبة في الحي بين أهلها ليلاً ونهاراً، ليستطيع تمييز جسمها، وتقريب صورتها، وهي تجمع بين البياض والتذهيب، وكأنها دمية طليت بالمرمر، وهذا الوصف الدقيق قد يصعب على صاحب النظر السليم، فكيف برجل يعاني من ضعف البصر، لكن هذا الوصف – على مايبدو – مستمد من الخيال لا الحقيقة، إلا أن حضور: اللونين الأبيض، والأسود، كان عاملاً نفسياً، حاول من خلالهما الشاعر العبور لنفي الضعف عنه. كما أن "العرب حينما يصفون أقمشتهم يستخدمون تعابير تصويرية مشتقة من مفردات تذكرنا بأوراق الزهر، والحجارة الكريمة، ولمعة الحرير، وبريق السماء، وتمكنهم من بيان الفروق الضئيلة في مجموع الأصباغ"[2].

---

[1] ديوان الأعشى، ص١٨٩، الترب: من ولد معك، السامر: اسم فاعل من سمر أي لم ينم وتحدث معك، محرابها: الغرفة وصدر البيت، مائر :صفة للذهب والمرمر فالذهب مائر في المرمر أي غائر فيه، الدعص: الكثيب، مكنونة: مخبوءة، شيفت: جلبت، الغليل: حرارة العطش، عنفص: بذيئة قليلة الحياء، الداعر: الخبيث والفاسق.

[2] جبري، شفيق، "الفن والأدب"، (د.ن)، القاهرة، مصر، ط، (د.ت)، ص٢١٠.

وقد يجمع الأعشى بين اللونين الأبيض والأسود، فيقول :

لعمــري لــئنْ أمــسى مــن الحــيّ شاخــصاً لقدْ نـالَ خيصاً من عفيرةَ خائصا[1] (طويل)

إذا جــردتْ يومــاً حــسبتَ خميــصةً عليهــا وجريــالاً، يُــضيء دُلامــصا

تَقَمّرَهــا شَــيخٌ عــشَاءً، فأصــبحت قــضاعية تــأتي الكــواهن ناشــصا

ويقرن الأعشى بين اللونين (الأبيض والأسود) لإظهار دلالتهما الإيجابية ليصف شعر المحبوبة مشبهة بالخميصة، وجسماً يبرق مثل الذهب. إلا أن النصيب والحظ قد حال بينه ليصور لنا الشاعر تغير الأحوال وتقلبها، فأمور الناس تتغير عبر النهار والليل، كما أن البقاء والصحبة قد يعقبها الفراق، فالنهار وهو رمز الوضوح والانشراح باجتماع ع الزوجين والحياة السعيدة، أما الليل وهو رمز الهم والاكتئاب فقد اتخذه إيحاءاً للفراق الذي قد يحصل بين هذين الزوجين وكأن هذا الفراق الذي لا بد منه إلا أنه باعث للحسرة والندم، والاستحالة أن يفترق الليل والنهار قطعيا، فلا بد أن يعود كل منهما حسب الزمن، فكأنه يشير إلى أنه سيعود لهذه المرأة وربما بطريقة غير شرعية، في هذه الصورة نرى كيف استخدم الأعشى هذه الدلالات ، لما يوحي به هذان اللونان.

ويقول:

وَلَقَــدْ أَطَفــتُ بِحَاضِــرٍ حَتَّى إِذَا عَسَلَت ذِئَابُـهْ[2] **(كامل مجزوء)**

وَصَــغَا قُمَيْــرٌ كَــانَ يَمْــنَعُ بَعْــضَ بِغْيَــةٍ ارتِقَابُــهْ

أَقْبَلــتُ أَمــشِي مِــشيَةَ الــحَــشْيَانِ مُــزْوَرّاً جِنَابُــهْ

وَإِذَا غَــزَالٌ أَحــوَرُ الْــعَينَيْنِ يُعْجِبُنــي لِعَابُــهْ

---

(1) ديوان الأعشى، ص١٩٩، الخيص: القليل ،خميصة: كساء أسود مربع مخطط بخطين شبه بـه شعرها ،جردت: نزعت عنها ثيابها ،الجريال : الذهب ،دلامص لماع ،تقمر: الضباء تصيدها في القمراء وتقمر المرأة تزوجها، قضاعية :لأنها تزوجت رجلا من بني قضاعة، نشصت: المرأة على زوجها فهي ناشص كرهته وملت صحبته.

(2) ديوان الأعشى، ص٣٣٥، عسلت ذئابه: اضطربت، صغا: مال للغروب،الحشيان: الخائف، مزوراً: معوج الزور، لعابه :الملاعبة.

ويعود الأعشى لاستخدام ثنائية اللونين (الأبيض والأسود) بدلالتهما الإيجابية، فالليل هو الوقت المناسب للقاء المحبوبة، حيث يستتر عن أعين الناس، فهو الطريق الآمن للوصول إلى بغيته، ومما يزيد الشعور بهذا الأمن والاطمئنان اقتراب القمر من المغيب بعد أن كان ضوؤه الوضاء يحول بينه وبين الوصول إلى دار المحبوبة، ليسير إلى محبوبته سيراً هادئاً، فهذا الليل يستره عن أعين الناس "فشبه الليل باللباس، وذاك أنه يستر الناس بعضهم عن بعضٍ من أراد هرباً من عدو، أو ثابتاً بعدوٍّ، أو إخفاء ما لا يجب الإطلاع عليه من أمره"[١]، وكأننا عند تصوّر هذه المشية، تذكرنا بمشية الصياد الذي يخدع الصيد حتى يظفر به، والحقيقة أن المرأة عند الأعشى كانت بمثابة الصيدة، و يتخذها لإشباع متعته و رغباته، فهو يتسلل إليها ليلاً بعد أن اضطربت الذئاب في الصحراء، وقرب الصباح وهدأ الحي، وفي صورته التي رسمها نجد الشاعر يوحي بأن الليل بمثابة الحارس الذي يعينه ويستره للوصول لمحبوبته، أما ضوء القمر فهو يفضحه و ينبه عليه أهل الحي، حتى إذا أفل هذا القمر الوضاح، تقدّم إلى دار محبوبته للقائها.

ويقول الأعشى في وصف المحبوبة :

وَتَضحَكُ عَنْ غُرِّ الثَّنَايَا كَأَنَّهُ ... ذُرَى أُقحُوَانٍ نَبتُهُ لَم يُفَلَّلِ[٢] (طويل)

تَلأَلُؤهَا مِثْلُ اللُّجَينِ كَأَنَّمَا ... تَرَى مُقلَتَيْ رِئمٍ وَلَو لَمْ تَكَحَّلِ

سَجُوَّينِ بَرْجَاوَيْنِ فِي حُسْنِ حَاجِبٍ ... وَخَدٍّ أَسِيلٍ وَاضِحٍ مُتَهَلِّلِ

وتثير ثنائية اللونين (الأبيض والأسود) في قلب الأعشى الإعجاب والجاذبية؛ وذلك من خلال دلالتهما، فاللون الأبيض المتمثل في أسنان المرأة بلمعانها يذكره بزهر الأقحوان ليستمد الشاعر هذه الصورة من خلال الطبيعة، فهذا الزهر من أجمل الزهور. وذلك من خلال الفروق التي

---

[١] ابن الأثير، ضياء الدين، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، قدم وحققه وعلق عليه أحمد الحوفي، د. بدوي طبانه، دار النهضة، مصر، الفجالة، القاهرة، ص١٣١.

[٢] ديوان الأعشى، ص٤٠٣، اللجين: الفضة، سجوين: فاترتين، برجاوين: العالي.

توجد بين أوراقه، لتذكره بأسنان المحبوبة، حيث إن – الفلج – بين الأسنان يزيدها بهجة وجمالاً، وخصوصاً عندما تضحك لما في ذلك من مؤشر على أن الضحك علامة القبول والارتياح .يزيداد هذا الإعجاب بتلك العينين التي يحيط بهما السواد الرباني وكأنه الكحل ليعود الشاعر إلى الطبيعة مرة أخرى، من خلال هذا التشابه. يقول:

أَضَـــــــاءَ مِظَلَّتَـــــــه بالـــــــسِّرَا ج واللَّيـــلُ غَـــامِرُ جُدَّادِهَـــا[1] (متقـارب)

دَرَاهِمُنَـــــــا كُلُّهَـــــا جَيِّـــــدٌ فَـــــــلاَ تَحبِـــــــسَنَّا بِتَنقَادِهَـــــــا

كما يجمع الأعشى بين اللونين ليظهر مدى تغلب اللون الأبيض على اللون الأسود فالليل يمثل انعدام الرؤية، وبائع الخمر لا يرى الدراهم بسبب ظلمة الليل، إلا أن الضوء الذي سلطه على هذه الدراهم جعل منه يتفقد هذه الدراهم للتأكد من صلاحيتها وجودتها، فاللون البيض هو دلالة إيجابية للرؤية، وفي هذا المشهد يتقاسم اللونان الأبيض والأسود الصورة، فالليل عامل حجب للرؤية و الأبيض عامل أساسي للرؤية، فعند تسليط الضوء على الدراهم تبدو واضحة " ويعرف الضوء بأنه المؤثر الخارجي الذي يحدث الإحساس الضوئي وترى العين الضوء بسبب الإشعاعات القوية التي تصدر منه أو من الأجسام التي تنعكس عنها الإشعاعات الضوئية"[2] فلعل إحساس الأعشى بضعف البصر، جعله يلاحظ مدى أهمية استخدام الضوء للرؤية، ويقول في وصف الرجل الكريم:

وَإنْ فَحَــصَ النَّـــاسُ عَـــنْ سَيِّـــدٍ فَـــسَيِّدُكُم عَنـــــهُ لاَ يُفحَـــصُ[3](متقـارب)

فهـل تنكـر الـشمس فـي ضـوئها أو القمـــــر البـــــاهر المبـــــرص

---

(١) ديوان الأعشى، ص ١٢١، مظلته خباؤه، الجداد الهدب الذي يبقى في أسفل النسج.

(٢) طالو، محي الدين "الرسم واللون "ص٥٥.

(٣) ديوان الأعشى، ص٤١٩.

وفي أسلوب المدح يتخذ الشاعر سطوة اللون الأبيض ، لبريقه ولمعانه قوة ً متغلبة ً على مضادة اللون الأسود ، فالشمس والقمر بما يوحيان إليه من البريق والوضوح والإشراق جعلهما يتغلبان على عتمة الليل وظلامه، حيث لا يمكن إنكارهما أو حجبهما، ويقابلهما صفات الرجل الكريم الخالي من العيوب الذي لا يهمه من يفتش عن عيوبه أو يبحث عنها، فهو رجل معروف بصفاته الواضحة الجلية التي لم يدنسها شيء يذهب بريقها وأصالتها.

الدلالات السلبية لثنائية اللونين الأبيض والأسود:

ربّ خـرقٍ مـن دونهـا يخـرسُ الـسّفـ ـرَ، وَمِيـلٍ يُفْـضِي إلـى أمْيَـالِ[1] (خفيف)
وَسِقَـاءٍ يُـوكَى عَلـى تَـأَقِ المَـلْ ءِ، وَسَـيْرٍ وَمُـسْتَقًى أوْشَـالِ
وَإدّلاجٍ بَعْـدَ المَنَـامِ، وَتَهْجِيـ ـرٍ، وقـفٍّ وسبـسبٍ ورمـالِ
وقلـيبٍ أجـنٍ كـأنّ مـنَ الرّيـ ـشِ بأرْجَائِـهِ لُقُـوطَ نِـصالِ

لقد استخدم الشاعر ثنائية اللونين الأبيض والأسود، وذلك من خلال ارتباطهما بمكونات الطبيعة، لتصبح هذه العوامل المتحدة مصدر شؤم ومعاناة يتكبدها الشاعر، فإلى جانب هذا الليل المظلم الموحش الذي لا يكاد ينتهي لطوله ووحشته الصحراء المقفرة والتي لا يكاد يرى منها الساري شيئاً، لشدة ظلامها، فلا يستطيع رؤية الأشياء من حوله، بسبب ظلمة هذا الليل، ولربما كان هذا بسبب "أن السواد يسير فيزيائياً إلى فقدان اللون"[2] يطالعه الصباح وخاصة وقت الظهيرة ولطالما عد الصباح وضوءه، عامل انشراح ومحل ارتياح، إلا أنه أصبح محلاً للمعاناة والكيد ولعل مواصلة الشاعر السير أثناء الليل والنهار، جعل منهما عاملي هم ونكد، حيث إنه لم يجد مكاناً للراحة في هذين الوقتين، ليزيد من هذه المشاق ، وأنه لم يحظ بماء صالح للشرب، فحتى هذا الماء قد تعكر

---

(1) ديوان الأعشى، ص٥٣، الخرق: ماتسع من الأرض، الإدلاج :السير ليلاً، قف :أرض غليظه، سبسب: أرض مستوية، قليب: البئر، أجن :أسود راكد، نصال: أي نصال السيف والرمح.

(2) سيرنج، فيليب "الرموز في الفن والأديان والحياة" ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٢، ص٤٢٠.

وتغير لونه بأسباب هذه العوامل (الرياح، الغبار)، فلم ير فيه إلا بقايا ريش الطير، كأنها النصال، وكأن هذه الطيور قد تنازعت عليه لقتله. ثم تأتي ثنائية اللونين (الأبيض والأسود)، لرسم صورة أخرى من صور المعاناة وهي لحظة الفراق التي كثيراً ماعانى منها الشاعر. ويقول أيضاً:

رَحَلَــتْ سُــمَيَّةُ غُــدوَةً أَجمَالهَــا غَضبِى عَليك فَمَا تَقُولُ بَدَا لَها[1] (كامل)

هَـذَا النَّهَـارُ بَـدَا لَهَـا مِـن هَمِّهَـا مَـا بَالُهَـا بِاللَّيـلِ زَالَ زَوَالُهَـا

سَـفَهاً ومَـا تَـدري سُـمَيَّةُ وَيحَهَـا أَن رُبَّ غَانِيَـةٍ صَـرَمتُ وِصَـالَها

وَمَـصَاب غَادِيَـةٍ كَـأَنَّ تِجَارَهَـا نَـشَرَت عَلَيـهِ بُرُودَهَـا وَرِحَالَهَـا

فَظَلِلـتُ أرعَاهَـا وَظَـلَّ يَحُوطُهَـا حَتَّـى دَنَـوتُ إذَا الظَّـلاَمُ ونَالَهَـا

فَرَمَيـتُ غَفلَـةَ عَينِـهِ عَـن شَـاتِه فَأَصَـبْتُ حَبَّـةَ قَلبِهَـا وَطِحَالِهَـا

حَفِـظَ النَّهَـارَ وَبَـاتَ عَنْهَـا غَافِـلاً فَخَلَـت لِـصَاحِبِ لَـذَّةٍ وَخَلاَلَهَـا

وفي صورة مغايرة يصورها الأعشى من خلال ارتباط اللون الأبيض بالأسود متحكماً في ذلك الارتباط الدوران الزمني وذلك بدلالة تدل على هذين اللونين وهما الليل والنهار، فبعد أن كان الليل محلاً للقاء الحبيبة والسمر والمؤانسة، والرحيل إليها، جاءت الصورة مغايرة ، فقد بادرت الحبيبة بالرحيل نهاراً ليصبح هذا الوقت وخاصة – الضحى– مصدر إزعاج وهم بالنسبة للأعشى بالرغم من أن الشاعر لم يعد يكترث لهذا الرحيل فكم من مرأة قطع وصالها وهجرها، وعشق غيرها.

وفي صورة أخرى يقول:

وَلَقَـد سَاءَهَـا البَيَـاضُ، فَلَطَّـت بِحِجَـابٍ مِـن دُونِنَـا مَـسدُوفِ[2] (خفيـف)

فاعـرِفِي لِلمَـشيبِ إذ شَمِـلَ الـرَّأ سَ فَـإِنَّ الـشَّبَاب غَيـرُ حَلِيـفِ

---

[1] ديوان الأعشى ص٧٧، زوالها :استفزت من الفزع، مصاب: حيث أصابت أي أمطرت، غادية :سحابة باكرة.

[2] ديوان الأعشى، ص٣٦٣، لطت :سترت، مسدوف :سدفت المرأة القناع أرسلته.

وقد يصبح الجو النفسي متمثلاً في اللون الأبيض (المشيب) مصدرتشاؤم للشاعرونفور، فظهور الشيب يدل على التقدم في السن والضعف، وزهد النساء في الرجل بسبب ظهور هذا الشيب، موصياً بمفارقة الشيّاب، فنجد اختلاف الدلالة في هذين اللونين، حيث أصبح كل لون يحمل دلالة الآخر، فاللون الأبيض بدلالته الإيجابية: الوضوح والسرور والنشاط والانشراح أخذ دلالة اللون الأسود. وهي الهم النفسيو الخوف من الموت والهرم و الضعف.

وفي هذه الصورة نجد الأعشى يتخذ ثنائية اللونين (الأبيض والأسود) ليستخدم كل منهما بدلالة مغايرة، ليعبر من خلالهما من الحاضر المؤسف الكئيب إلى الماضي الذي كان يمثل في نظره زمن المتعة والإعجاب، فظهور الشيب في رأسه وتذكر أسنان المحبوبة ذات المبسم البراق البارد في مذاقه الحلو وكأنه طعم البلح اللذيذ جعل صواحبه يهجرنه ويزهدن فيه.

إلا أن الليل في هذه الصورة أعاد له اللهفة للمتعة والتلذذ بأيام العشق وتذكر الأيام الخوالي التي عاشها الشاعر. وفي هذه الصورة المغايرة والتي توحي بأن الشاعر كان في آخر أيامه وشيخوخته جعل يذكر صواحبه بأسمائهن،(سعاد، سعدى)، على غير ما اعتاد عليه ففي أغلب قصائده كان يشير إلى المحبوبة بأوصافها دون ذكر اسمها، إلا أن حنينه للماضي جعله يستخدم هذا الأسلوب. وفي صورة أخرى نلمس هذه الثنائية للونين الأبيض والأسود، يقول:

يـا جَـارَتِي بِينِـي فَإِنَّـكِ طَالِقَـه ... كَـذَاكِ أُمُـورُ النَّـاسِ غَـادٍ وَطَارِقَـةْ[1](طويل)

وبِينِـي فَـإِنَّ البَـينَ خَيـرٌ مِـنَ العَـصَا ... وَإِلاَّ تَـزَالُ فَـوقَ رَأسِـكِ بَارِقَـةْ

وبين خيار البقاء والفراق، اتخذت الثنائية تشكيلاً جديداً، ليعبر بهذه الثنائية عن تغير الأحوال وتقلبها، فأمور الناس تتغير عبر الليل والنهار، كما أن البقاء والصحبة قد يعقبها الفراق ،فالنهار رمز الوضوح والانشراح ،أما الليل فهو رمز للحزن والاكتئاب، لذلك اتخذ الشاعر الليل دلالة على الفراق الذي ينتظر زوجته، إلا أنه فراق صعب بالأبدان دون القلوب، فالليل، والنهار–

---

[1] ديوان الأعشى، ص٣١٣، بيني: أي فارقي.

مهما افترقا– إلا أنهما متلاحقان، يتبع أحدهما الآخر.ثم ينتقل إلى دلالة سلبية للونين الأبيض والأسود يقول:

وَخَــرقٍ مَخُــوفٍ قَــد قَطَعــتُ بِجَــسرَةٍ ... إذَا الجِبسُ أعيى أنْ يَرُومَ المَسَالِكَا[1] (طويل)
قَطَعـتُ إذَا مَـا اللَّيـلُ كَانَـت نُجُومُـهُ ... بَــوَانِيَ فِــي جَــوِّ الــسَّمَاءِ سَــوَامِكَا
بِأَدمَــاءِ حُرجُــوجٍ بَرَيــتُ سَــنَامَهَا ... بِــسَيرِي عَلَيهَــا بَعــدَها كَــانَ تَامِكَــا

ويعود الشاعر ليكشف عن دلالة من دلالات اجتماع اللونين (الأبيض والأسود) وذلك من خلال ارتباطهما بعامل الزمن (الليل) فهذا الليل الموحش –الذي لا يرى فيه إلا النجوم الراكدة، وكأنها لا تتحرك لشدّة ظلامة– أصبح محلاً للصراع و التحدي و مكابدة المشاق، ويختار الشاعر اللون الأبيض من خلال ناقته البيضاء الضامرة المتمتعة بسرعة الحركة، للتغلب على هذا الصراع، إن اجتماع اللونين كوّن صورة للركود والجمود، بينما ظهور اللون الأبيض منفرداً، مثل عامل الحركة و الإحساس بالاطمئنان والعبور من هذا الليل إلى ما بعده وهو النهار، وكثيراً ما نجد الأعشى يختار الناقة البيضاء، للتغلب على الليل وظلامه، فالليل مصدر الاكتئاب والوحشة والخوف، بينما يمثّل اللون الأبيض عامل الانشراح والشعور بالاطمئنان والتفاؤل بالحياة. ويقول أيضاً:

لَـدُن غُـدوَةً حَتَّـى أَتَـى اللَّيـلُ دُونَـهُ ... وَجَـشَّمَ صَـبراً رَوقَـهُ فَتَجَـشَّمَا [2] (طويـل)
وَأَنحَــى عَلَــى شُــؤمَى يَدَيــهِ فَــذَادَهَا ... بقَــرن بأَظمَــأ مِــن فَــرعِ الذُّوَابَــةِ أَسـحَمَا
وَأَنحـى لَهَـا إذ هَـزَّ فِـي الـصَّدرِ رَوقَـهُ ... كَمَــا شَــكَّ ذُو العُــودِ الجَــرَادَ المُخَزَّمَــا
فَـشَكَّ لَهَـا صَـفَحاتِهَا صَـدرُ رَوقِـهِ ... كَمَــا شَــكَّ ذُو العُــودِ الجَــرَادَ المُنَظَّمَــا
وَأَدبَــرَ كَالــشِّعرَى وضُــوحاً ونُقبَــةً ... يُــوَاعِن مِــنْ حَــرِّ الــصَّرِيمةِ مُعظَمَــا

---

[1] ديوان الأعشى، ص١٣٩، الخرق: ماتسع من الوادي، جسرة: ناقة ضخمة، الجبس: الجبان، بواني: ثابتة لا تكاد تتحرك، سوامكا :مرتفعة.

[2] ديوان الأعشى، ص٣٤٥–٣٤٧، لدن :تقدير الكلام لدن غاة غدوة، أنحى :البعير اعتمد في سيره على أيسره، شؤمى: أي اليسرى، أظمأ: أسمر ذابل، فرع :الشعر، الذؤابة :شعر الناصية، أسحم :أسود، المخزما: خزم اللؤلؤ شكه ونظمه، أدبر: أعرض، الشعرى: كوكب، ونقبة: اللون وهي كذلك الوجهه، الصريمة: الأرض السوداء لاشيء فيها، المعظمة: النازلة الشديدة ومعظم الشيء أكثره والجمع معاظم.

وهنا يستخدم الأعشى ثنائية اللونين (الأبيض والأسود) لتصوير مشهد درامي لفرسه، والتي شبهها بثور الوحش القوي فهذه الفرس ذات اللون الأسود، مما يدل على قوتها وتحملها، فقد عرف عند العرب "أن سود الجواد علامة أصالة وقوة" [1] فهذا الجواد، يقاوم الليل المظلم، والدرب الطويل، كما يقاوم ثور الوحش، كلاب الصيد، ليتغلب عليها، وكأنه فارس يقوم بمصارعة خصومه ليتحدّا في الدلالة رغم اختلاف هذين اللونين ،وتلازم الأعشى صورة الليل والنهار. يقول:

إلَـــى المَــرءِ قَـيسٍ أُطِيـلُ الـسّرَى ... وَآخُـذُ مِـن كُـلِّ حَـيٍّ عُـصُمْ[2] (متقارب)

وَكَـم دُونَ بَيتِـكَ مِـن مَعْـشَرٍ ... صُبَـاةِ الحُلُـوم عُـدَاةٍ غُـشُمْ

إذَا أَنَـا حَيَّيـتُ لَـم يَرجِعُـوا ... تَحِيَّـتَهُمُ وَهُـمُ غَيـرُ صُـمّْ

وإدلاَجِ لَيـلٍ عَلَـى خِيفَـةٍ ... وَهَـاجِرَةٍ حَرُّهَـا يَحتَـدِمْ

لا يزال الشاعر يكشف لنا عن معاناته مع هذين اللونين (الأبيض والأسود) باستخدام دلالات تدل على ذلك، فهو يطيل (السرى) في الليل، وكأن هذا الليل درب طويل فهو يجمع بين دلالة اللون الأسود ،وطول المسافة المنبعثة من الهم الليلي – الذي أصبح عاملاً نفسياً يعاني منه الشاعر إضافة إلى قوم المحبوبة – الذين يكنون له الشر والعداوة، لما بهم من الجهل، ثم يعود الأعشى ليصف معاناته مع الليل وطوله وشدة ظلامه، راجيا بالفرج مع طلوع النهار إلا أن هذا الرجاء قد بددته حرارة الشمس الملتهبة لتعيد الشاعر إلى معاناته ومقاساته مع هذا اليوم الشديد.

ويقول:

وَلَـن تَنتَهُـوا حَتَّـى تَكَـسَّرَ بَيْنَنَـا ... رِمَـاحٌ بِأَيـدِي شُـجعَة وَقَوَائِـمُ[3](طويـل)

وَحَتَّـى يَبِيـتَ القَـومُ فِـي الـصَّفِّ لَيلَـةً ... يَقُولُـونَ نَـوِّر صُـبحُ واللَّيـلُ عَـاتِمُ

وُقُوفـاً وَرَاءَ الطَّعـنِ وَالخَيـلُ تَحـتَهُم ... تُـشَدُّ عَلَـى أَكتَـافِهِنَّ القَـوَادِمُ

---

[1] حمزة، عبد الله "تاريخ الخيول العربية" شرح أحمد بن عبد الله بن حمزة، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ط١، ١٩٧٩م، ص١٣٩.

[2] ديوان الأعشى، ص٨٧، عصم: عهود، صباة الحلوم: خفاف الحلوم، غشم: الغشوم الظالم الغاصب.

[3] ديوان الاعشى، ص١٢٧، عاتم: أي محبتس، القوادم :جمع قادم وهو الرأس.

ويشير الأعشى إلى انعدام اللونين (الأبيض والأسود) وعدم التمييز بينهما، عندما يشتد الهول بالإنسان، فشدّة الوطيس وطول الليل و ضراوة المعركة وتكسّر الرماح و السيوف في أيدي الفرسان، وتهاوي الرؤوس تحت أقدام الخيول أدخل الذعر في قلوب الخصوم، مما جعل الليل والنهار يتساوى في نظرهم ،ولعلّ بريق السيوف والرّماح، جعلهم يستحضرون الصباح وينادون به؛ لما في إشعاعه وانبثاق نوره من الأمل والإحساس بانتهاء الحرب، ووقتاً للراحة والتقاط الأنفاس بعد هذا القتال العنيف.

الفصل الثاني

ثنائية الأبيض والأحمر

"الحمرة: من الألوان المتوسطة معروفة و الأحمر يكون في الحيوان و النياب وغير ذلك مما يقبله و يقال :أحمرّ الشيء احمراراً إذا لزم لونه فلم يتغير من حال إلى حال .

والأحمران من الأبدان ما كان لونه الحمرة،ويرى الأزهري في قولهم : أهلك النساء الأحمران يعنون الذهب و الزعفران، وفي الحديث أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض هي ما أفاء الله على أمته من كنوز الملوك والأحمر الذهب، والأبيض الفضة وقيل الحمر واللحم، فإذا قلت الاحامرة ففيها المخلوق، و قال الليث :هو اللحم والشراب والخلوف، قال الأعشى:

إن الاحامرة الثلاثة أهلكت ما لي وكنت بها قديما مولعا

وقال ابن الإعرابي : الأحمران النبيذ و اللحم و انشد الأحمرين الراح والمحبرا.

وقال ابن الأثير : وقيل كني بالأحمر عن المشقة والشدة أي من أراد الحسن صبر على أشياء يكرهها(١)". "ويستعمل رمزاً للخجل والحياة تارة وللغضب تارة أخرى"(٢)

و "هو يدل على النار ومن ثم على الحب الحارق"(٣).

و يعتبر فرانسوا رود :إن اللون الأحمر أحد الألوان الأساسية، كما أنه أحد الألوان التي يحدث عنها الضوء الأبيض(٤).

---

(١) ابن منظور، "لسان العرب"، (مادة حمر)، ج٣، ص٣١٦-٣١٧ .

(٢) انظر ،عمر ،احمد مختار "اللغة واللون "ص٢١٢ .

(٣) دملخي،إبراهيم " الألوان نظرياً وعملياً " ص٢٨ .

(٤) انظر طالو، محي الدين، "الرسم واللون"، ص١٦٥-١٦٦.

كما أنـه" رمز العواطف الثائرة والحب الملتهب والقوة والنشاط ، وهو رمز النار المشتعلة . ويستعمل في بعض الأحيان للدلالة على الغضب والقوة والخطر ويعتبر أول لون استعمله الإنسان الأول في زخارفه وقد استعمله الصينيون و اليابانيون في زخارفهم، ويوجد في أعلام كثير من الدول[1].

وقد استخدم الأعشى ثنائية اللونين (الأبيض والأحمر) في رسم صور مختلفة، وذلك من خلال وصف الرحلة، وجمله الذي يمتطيه وأنه أسفع الخدين ولون الفرس بأنه كميت ،وفي صورة أخرى استخدامه لهذه الثنائية في رسم صورة المرأة، ووصف مفاتنها، وحسنها وجَمَالها، مما يجعلها تبدو أكثر روعة وبهاءً، كما كان للخمرة نصيبها من هذا التوظيف ، من خلال وصف لونها الأحمر، الذي يتلذذ به شاربها ،مما يزيده نشوة وإمتاعاً، وتدخله في عالم اللذة والارتياح. يقول الأعشى:

كَـأَنِّي وَرَحلِـي وَالفِتَـانَ وَنُمرُقِـي عَلَى ظَهر ثِور طَاو أَسفَع الخَدِّ أخنَمَا[2] (الطويل)
عَليـهِ دَيَـابوذٌ تَـسَرَبَلَ تَحتَـه أَرَنـدَجَ إِسـكَافٍ يُخَـالِطُ عِظلِمَـا
فَبَـاتَ عَـذُوباً لِلـسَّمَاءِ كَأَنَّمَـا يُـوَائِمُ رَهطـاً للمعروبـةِ صُـيَّمَا
يَلُـوذُ إِلَـى أَرطَـاةِ حِقـفٍ تَلُفُّـهُ خَرِيـقُ شِـمَالٍ تَتـرُكُ الوَجـهَ أَقتَمَـا
مُكِبّـاً عَلَـى رَوقَيـهِ يَحفِـرُ عِرقَهَـا عَلَـى ظَهـرِ عُريَـانِ الطَّرِيقَـةِ أهيَمَـا
فَلَمَّـا أَضَـاءَ الـصُّبحُ قَـامَ مُبَـادِراً وَحَـانَ انطِـلاقُ الـشَّاةِ مِـن حَيـثُ خَيَّمـا
فَـصَبَّحَهُ عِنـدَ الـشَّروق غُدَيَّـةً كِـلاَبُ الفَتَـى البكـريِّ عـوفِ بـن أرقَمـا

وهنا يستخدم الأعشى اجتماع الألوان (الأبيض، والأحمر) لتصوير المشهد الدرامي الذي يعبر فيه عن قوته وتحديه للظروف، حيث يصف استعداده للرحلة وتجهيزه لراحلته وما يحتويه هذا

---

(1) المرجع نفسه، ص١٧٢.

(2) ديوان الاعشى ص ٣٤٥، الفتان :غشاء للرحل من الجلد، النمرق: وسادة صغيرة، الخنم :عرض الأنف، ديابوذ: ثوب ينسج على نيرين الارندج جلد اسود، العزوبة: الارض البعيدة، مكباً :مطأطئ رأسه، روقه: قرنه، الشاة: الثور، خيم: اقام، غدية: تصغير غدوة وهي البكرة ما بين الفجر وطلوع الشمس، البكري: نسبة الى بكر بن وائل.

الجهاز من السرج والفرش، الذي فوق ظهر راحلته، عند انطلاقه في الطريق مستعداً لما يواجهه ،فهذا الجمل أحمر الوجه يخالطه السواد (السفعة)، بما يوحي بالقوة والتحمل يغطيه ثوب أسود وكأنه مصبوغ بالعظلم ذو اللون لاسود، يعاني ذلك الليل المظلم جائعاً عطشان ينظر إلى السماء في حيرة وكأنه يترقب رهطاً بعدت أرضهم عن الكلأ والماء وفي هذه الصورة تتحد معاناة الشاعر ومعاناة هذا الثور، في أن كليهما قد يبتعد عن أرضه ورفاقه، وكأن القدر حتم عليهما هذه المعاناة، ولعل الشاعر عندما أحس بالموت، جعل هذا التشبيه مقدمةً لمرثيته، قد يصف فيها حالته، ومصيره "وهو عرف سار عليه شعراء العصر الجاهلي، نزوعاً إلى موروث ديني قديم، تحتزنه الذاكرة الجماعية بلا استثناء"[١] مما جعل الشاعر ينتظر الصباح لعلهما يستريحان من هذا العناء، إلا أن نور الصبح أتى حاملاً معه الخوف الشديد، والوحشة، ليباغته الصياد بكلابه، لتبدأ المعاناة،ويشتد الصراع من أجل البقاء. ويقول أيضاً:

أَريتُ القومَ نارَكِ لم أغمِّض بِوَاقِصةٍ وَمَشرَبُنا زَرُودَ [٢] (الوافر)

فَلَم أَرَ مِثلَ مَوقِدِهَا وَلَكِن لأيَّةِ نَظرَةٍ زَهَرَ الوَقُودُ

أضاءَت أحوَر العينينِ طفلاً يُكدّسُ فِي تَرائِبِهِ الفَرِيدُ

وَوَجهاً كالفِتَاقِ وَمُسبَكِرّاً عَلى مِثلِ اللُّجينِ وهُنَّ سُودُ

وتَبسِمُ عَن مَهاً شَبِمٍ غَرِيٍّ إذَا يُعطَي المُقبِّلَ يَستَزِيدُ

وقد يلعب الخيال دوراً مهماً في استخدام الشاعر للونين (الأبيض والأحمر) في رسم الصورة الجمالية التي تكشف عن أنماط الحياة البدوية العربية، فبالرغم من معاناة الأعشى لليل وطوله، وشدة ظلامه، إلا أنه كان سبباً يساعده في رؤية النار التي اشتعلت؛ مما جعله يتخيل ما يحيط بهذه النار من

---

[١] النعيمي، أحمد إسماعيل "الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام" دار سينا، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٥، ص١٨٥.

[٢] ديوان الأعشى، ص٣٧١، واقصه :ماء لبني كعب، الرخص: الناعم، الفريد :الدر المنظور، الفتاق :أصل الليف الأبيض، المسبكر: المسترسل، اللجين :الفضة، المها :البلور، شبم :بارد.

الناس، فهذه النار تختلف عن غيرها؛ لأنها تذكره بأحبابه وسماره في أيام لهوه، فأول ما يتبادر إلى ذهنه أن محبوبته هي التي توقد هذه النار، وكأن النار تحس بجمال من حولها ، عند إشعالها، مما يجعلها تكون أكثر اختلافاً ووضوحاً، لتخص هذا المحبوب – محبوبة الأعشى – بالإضاءة وإظهار محاسنها ، لتكشف عن جمال عينيها ،ووجهها البراق الذي يعكس ضوء النهار ليصفه بالليف الأبيض النقي وهذا الوصف "ما اشتقه الشاعر من صور نباتات البيئة في المعاني المختلفة، وصفة للرجل الأبيض النقي بالسيف الأبيض "[١]. فهذا الوصف رسم في خيال شاعرنا من خلال ما توحي به الطبيعة البدوية، وخاصة عمل النساء، وهن يغزلن الصوف، في ساعات السمر في الليل وهذه الصورة لم تتكرر عند الأعشى إلا مرة واحدة، ويزيد هذا البياض وضوحا شعرها الذي يحيط بوجهها وجيدها، فقد اهتم الأعشى بوصف أعضاء محبوبته.

ولشعر المرأة نصيب في شعر الأعشى فهو طويل حيث تهتم به المرأة وتخصه بالتهذيب والتمشيط، تتدلى خصلاته الطويلة بحنان على ظهرها، وتتهدل غدائره في اتساق على وجهها الأبيض فتبرز الفتنة في صورة بديعة"[٢] ولم يقتصر خيال الشاعر على وصف النار والوجه والشعر، بل وصل إلى وصف أسنانها وكأنها البلور، ناصعة البياض، لذيذة الريق، مما يغري المحب للتفصيل والتمتع بهذا الوصف الجميل ،نرى كيف استخدم الأعشى هذين اللونين (الأبيض والأحمر) في وصف محبوبته التي لم يكن يقربها، بل وصل إليها من خلال خياله وتصوره لها، وذلك عند رؤيته لضوء النار المشتعلة، مما جعله يتذكر المحبوبة، وليالي السمر واللهو.

---

(١) العمري، زينب عبد العزيز، "السمات الحضارية في شعر الأعشى "، ص٣٦٨.

(٢) حمود، محمد، "سلسلة شعراء العرب الأعشى، شاعر الحب والخمر"، دار الفكر اللبناني، بيروت، ص٧٠.

يقول:

أَلــمَّ خَيــالٌ مِــن قُتيلَــةَ بعِـد مَــا ... وَهى حَبْلهَا مِن حَبلِنَا فَتَصرَّمَا[1] (الطويل)

فَبِــتُّ كــأنِّي شَــارِبٌ بَعــدَ هَجعَــةٍ ... سُــخَامِيَّةً حَمــراءَ تُحــسَبُ عَنــدَمَا

إذَا بُزِلَــت مِــن دَنِّهــا فَــاحَ رِيحُهَــا ... وَقَد أُخرِجَت مِن أَسوَدِ الجَوفِ أدهَمَا

لَهَــا حَــارِسٌ مَــا يَبــرَحُ الــدَّهَرَ بَيتَهَــا ... إذَا ذُبِحَــت صَــلَّى عَلَيهَــا وَزَمزَمَــا

بِبَابِـلَ لَـم تُعـصَر فَجَـاءَت سُـلاَفَةً ... تُخَــالِط قِنديــداً ومِــسكاً مُخَتَّمــاً

يَطُـوفُ بِهَـا سَـاقٍ عَلَينَـا مُتَـوَّمٌ ... خَفِيــفٌ ذَفِيــفٌ مَــا يَــزَالُ مُفَــدَّمَا

بِكَــأسٍ وإبِريــقٍ كــأَنَّ شَــرَابَهُ ... إذَا صُـبَّ فـي المِصحَاةِ خَـالَطَ بَقَّمَـا

ولاجتماع اللونين (الأبيض والأحمر) حضوره في هذا النص، ورسم الصورة التي يرسمها خيال الشاعر من خلال تذكره لمحبوبته فقد عانى مرارة الفراق الذي حصل بينهما ؛حتى أصبح وكأنه شارب خمرة شديدة الاحمرار فقد أثرت عليه الذكرى، وسيطرت على مشاعره كما تسيطر الخمرة على شاربها، الذي يشربها ليلاً وهنا يأتي عامل الزمن، فالليل كما أنه زمن للشرب، فهو أيضاً زمن مناسب للتذكر والاسترسال في استرجاع الماضي ومعايشة أيامه التي كان يتمتع فيها باللهو ومغازلة النساء، ولعل شرب الخمرة اقرب الأشياء إلى نفس الشاعر ليعيش هذا الجو، خصوصاً إذا كانت هذه الخمرة، ذات رائحة فواحة وكأنها المسك لذيذ الطعم حمراء اللون وكأنها عصارة العندم "ولم يكن ليفوت الأعشى ، وهو الذي يستمتع بالخمر بكل حاسة له فهي تسحر العين، وشارب الخمر يطرب للونها في الكأس، وتثمل عيناه لرؤية لونها وهو يشرب مع الخمر لونها، ورائحتها، ويهيم بكل ما فيها، ويخلق منها عالماً

---

[1] ديوان الاعشى،ص٣٤٣ . الم: زار، تصرم: انقطع، السخام :الخمر السلسه، العندم :شجر احمر، بزر: الخمر ثقب انائها، زمزم: العلوج تراطنوا على اكلهم، بابل: المدينة قديمه كانت تبعد عن بغداد ٩٣ كيلو متراً ، السلافة: ماتحلب وسال قبل العصر، القند: عسل قصب السكر وهو كذلك العنبر والكافور، متوم: وضع في اذنيه تومتين والتوم اللؤلؤ، ذفيف :سريع، مفدم :قد شد على أنفه وفمه خرقة بيضاء، المصحاة :قدح من فضة يشرب به، البقم: شجر ساقه أحمر يصبغ به.

قد لا يكون هذا من فرط الحب وشدة الوجد"[١] ليصف مجلسها وساقي هذه الخمرة، الذي لف على أنفه، قطعة من القماش البيضاء، مما يدل على قوة رائحة هذه الخمرة، ثم ينتقل الأعشى إلى دلالة من دلالات هذه الثنائية، وما توحي به من الهم النفسي. وفي وصف المحبوبة يقول:

بَانَـتْ سُـعَادُ وَأَمـسَى حَبلُهَـا انقَطَعَـا — واحتَلَّت الغَمَر فالجُدَّينِ فَا لفَرَعَا[٢] (البسيط)

وأَنكرَتنِـي وَمَـا كَـانَ الَّـذِي نَكِـرَت — مِـنَ الحَـوَادِثِ إلاَّ الـشَّيبَ والـصَّلعَا

قَـد يتـرُكُ الـدَّهرُفي خلقَـاءِ رَاسِـيةٍ — وهيـاً ويُنـزِلُ مِنَهـا الأَعـصَمَ الـصَّدَعَا

لقد أصبح خبر الفراق مؤرقاً للأعشى فلم يعد يطيقه، بل تأخذه الندامة عند ذكره له مما يجعله يقرنه بالليل لأنهما -أي الفراق والليل– يمثلان العوامل السلبية في حياة الشاعر، من الهم والحزن والكآبة، ليذكر اسم المحبوبة (سعاد)، وبذكر اسمها وكأنه لم يعد يملك إلا هذه الذكرى التي تقربه للوصل ، ملقياً اللوم على تلك الصفات التي كانت سبباً في هذا الفراق، فالمحبوبة لم تجد ما تعيب به محبوبها، إلا ذلك الشيب الذي كسا شعر رأسه ليكون دالاً على شيخوخته وتقدمه في السن ، وقد صاحبه الصلع، فقد تساقط شعر رأسه وأصبح منظره لا يجذب النساء ولا يغريهن، إلا أن هذه الأمور لم تكن تعجبه من خلال نظرة الأعشى لنفسه، فقد كان قويا في شبابه مصارعا للظروف وقسوة الزمان الذي لا يسلم منه حتى الصخر، فان تعاقب الظروف والأيام بما تحمله من قوة وشدة قد تفتح الطريق، في الصخرة القوية الملساء، ليعبر منها الوعل بعدما كان عاجزاً كما أن هذه الظروف قد أظهرت فيه عيوبا جعلت من المحبوبة– سعاد -محبوبة الأعشى تزهد فيه وترحل عنه بعدما كانت معجبة بقوته ونشاطه، تظهر معاناة الشاعرمن للطبيعة، والزمن وكأنها خصم لا يرحم حتى مكوناته قد تغير حال

---

[١] محمود، محمد، "سلسلة شعراء العرب الأعشى ، شاعر الحب والخمر"، دار الفكر اللبناني، بيروت، ص٨٦.

[٢] ديوان الأعشى، ص١٥١، بانت: بعدت، نكره وانكره :جهله ولم يعرف، صخره خلقاء: صلبه ملساء، الاعصم من الضباء والوعول: مافي ذراعية أو احدهما بياض وسائره أسود أو أحمر، الصدى: الفتى الشاب القوي.

الإنسان من القوة إلى الضعف دون رفق بأحاسيسه ومشاعره، ليرجع هذا الضعف الذي حصل له إلى قسوة الأيام وطول الزمن الذي عاشه، حتى أن مرور الأيام قد تغير الصخر. ويقول أيضاً:

غـــرّاءُ تَـــبَهجُ زَولَـــهُ والكَفُّ زيَّنَها خِضَابُهْ[1] (كامل، مجزوء)

وفي إطار صورة المرأة عند الأعشى كان لهذه الثنائية حضورٌ بارزٌ، مما يدل على اهتمامه بصورة المرأة ،وتكلفه في وصفها، فهي بيضاء ينشرح الصدر لرؤيتها، زينت كفها بالخضاب مما يدل على تناسق هذين اللونين في زينة المرأة، ولعل الشاعر خص الوجه واليدين بالوصف؛ لأنهما أول ما يرى من المرأة، ولعل اهتمام المرأة بزينة الوجه واليدين، للفت نظر الرجال إليها فهي تدرك" ما يثيره خضابها في نفوس الرجال وبخاصة إذا كان الكلف رخصاً مخضياً والبشرة بيضاء ناصعة البياض، والخضاب أحمر زاهياً[2]"، لذلك تهتم المرأة بأن يكون لون الخضاب أحمر مما يبعث مشاعر الحب والارتياح، فهو لون الورد، وعادة ما يستخدم للتعبير عن هذه المشاعر. ويقول:

مِـنْ كُـرَاتٍ وَطَـرفُهُنَّ سُـجُوَ نَظَرَ الأُدمِ مِن ظِبَاءِ الخَرِيفِ[3] (الخفيف)
خاشِعاتٍ يُظهِرن أكسِيَةَ الخَـ ـزِّ ويُبطنَّ دُونَهَا بِشُفُوفِ
وَحَثَنَ الجمالَ يَسهَكنَ بالبَا غِزِ والأُرجُوَانِ خَملَ القَطِيفِ

وتكون هذه الثنائية (الأبيض والأحمر) صورة جمالية، وخصوصاً إذا ارتبطت بالمرأة و أوصاف جسدها، و ملابسها ، وقد جمع الشاعر بين أوصاف المرأة الجسدية وهذه الثنائية ، مما يزيدها جمالاً وحسناً تشبيهها بأوصاف الظبية ورقتها، وكثيراً ماتشبه المرأة الجميلة الظبية من خلال العديد

---

[1] ديوان الأعشى، ص٣٣٧،غراء :بيضاء، بهجه :سره وأفرحه، الزول: العجب، ويمكن انها المرأءة الخفيفة الفطنة.

[2] الهد روسي، محمد مرعي، تجليات اللون في شعر شعراء المعلقات، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠٠٢م، ص١٢٠.

[3] ديوان الاعشى، ص٣٦٣. كرات: ناعسات، سجوا: سكون وامرأءة ساجية الطرف فاترة، الادم: الظباء اللتي اشرب لونها البياض، الخريف :الرطب المخروف أي المجني، خاشعات: ساكنات خاضعات، الخز: الحرير، يبطلن دونها: يلبسن تحتها، الشفوف :الرقيق من الثياب، يسهكن: يسحقن، الباغزية :أي أنهن لحركتهن فوق الجمال يسحقن القطيفة حتى يذهب وبرها.

من الأوصاف والمحاسن، والشاعر يستخدم هذه التشبيهات" تشبيه الشيء بالشيء صورة ، ولوناً، وحركةً، وهيئة[1]"، فالمرأة تشبه الظبية في مشيتها، ونضرتها، وجمال عينيها، ومن ذلك فتور الطرف ورقته، إضافة إلى اللون الأبيض البراق، الذي زاده الخريف، حسناً وبهاءً كما تتمتع الأرض في هذا الفصل، إضافة إلى اعتدال الجو، وهطول الأمطار وقد تتخذ المرأة مع الظبية في هذه المعوقات الجمالية، فالمرأة التي تتمتع بالعناية، والرعاية، والدلال، وتوفر الراحة، يزيدها جمالاً وروعة تلبس أفضل الثياب وأجملها، ومما يزيدها جمالاً عند الرحيل ملابسها المزركشة، والمصبوغة باللون الأحمر، وربما كان عامل الضوء، وخصوصاً شمس النهار عاملاً مشتركاً يعكس جمال لون جلد الظبية وملابس المرأة في هذه الصورة ، هذه الثنائية بين اللونين الأبيض والأحمر، بما توحيه الطبيعة من جمال، وما يصنعه الإنسان لنفسه مما يزيده جمالاً وحسناً، فقد غلب على الأعشى في تشبيهاته الأمور الحسية، التي يستمدها من الطبيعة والتي رسمها في خياله، من خلال البيئة التي عاش فيها،وعشقها. وينتقل الأعشى لرسم صورة من صور الشجاعة والقوة من خلال ثنائية اللونين، الأبيض والأحمر. ويقول:

وَخَصمٍ تَمنَّى فاجتَنَيتُ بِهِ المُنى — وعَوجَاءَ حَرفٍ لَيِّنٍ عَذَباتُها[2] (الطويل)

تَعَالَلتُهَا بالسَّوطِ بَعدَ كَلاَلِهَا — عَلى صحصحٍ تَدمَى بِه بَخَصاتُها

وَكَأسٍ كَمَاءِ النَّيِّ بَاكَرتُ حَدَّها — بِغِرَّتِها إذ غَابَ عَنِّي بُغَاتُها

كُمَيتٍ عَلَيهَا حُمرَةٌ فَوقَ كُمتَة — يَكَادُ يُفَرِّى المَسكَ مِنهَا حَمَاتُها

---

[1] ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي (ت ٣٢٢هـ): "عيار الشعر"، تحقيق طه الحاجدي ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية، القاهرة، مصر، ١٩٥٦م، ص٢٧.

[2] ديوان الاعشى، ص١٣٣، عوجاء :ناقه ضامره، صرف: صلبه، عذباتها: قوائمها، لينه: مرنة، تعاللتها: ركبتها مرة بعد مرة مستخرجاً أقصى ما عندها من السير، صحصح :أرض مستوية، البخص: لحم القدم وفرس البعير، النـي: اللحم الذي لم يطبخ، الغرة :الغفلة، بغاتها :طلابها، الكمته: الحمرة تضرب بالسواد، يفري: يشق، المسك:الجلد.

و يستخدم الشاعر ثنائية اللونين (الأبيض والأحمر) للربط بين موقف الشجاعة واللهو، فبعد أن يصرع الخصم ويقضي عليه ينتقل لتفريغ هذه الطاقة المشحونة بها النفس ليفرغها فوق ناقته ،ليتعاللها بالسوط حتى تدمى قدماها" ولما كان اللون الأحمر من أشد الألوان قساوة وقوة"[١] فإنه يكشف لنا عن الصراع الداخلي في نفس الشاعر الذي لم يجد له بداً من تفريغه على ناقته أثناء هذه الرحلة الشاقة، وما يواجهه من مصاعب؛ ليعود بعد ذلك إلى أجواء الراحة واللهو، من خلال وصفه للخمرة متمتعاً بلونها، ووقت الشرب الذي يرى أنه من أجمل الأوقات، فهذه الخمرة الحمراء وكأنها الدم المختلط بماء اللحم الذي لم يطبخ بعد، لا يفوت الأعشى الاستمتاع بشربها وقت الصباح، فإدخال السرور والانشراح، من خلال هذه الخمرة يزيده البكور أنساً ومتعة، خصوصا في غياب من يكرر عليه مقاسمته إياها، فألوانها المتدرجة بين البياض الذي يخالطها واحمرارها في علو الكأس مما يدل على أنها معتقة " وشارب الخمر يطرب أيما طرب للونها في الكأس، وتثمل عيناه لرؤية لونها، ويروقه ما يبصره من لون، وما تجود به من أصباغ والمعاقر النهم يشرب مع الخمر لونها ورائحتها و يهيم بكل ما فيها"[٢] خاصة إذا كان ذلك بعد التعب والصراع وفي أوقات الهدوء والراحة، ليشرك النظر، ويمتع حواسه بلذتها ليطرد عن نفسه الكدر و التعب وليجلي الهموم. يقول :

وَصهباءَ صَرفٍ كلونِ الفُصو ص بَاكرتُ في الصُّبحِ سَوَّارَها[٣] (المتقارب)

فطوراً تَمِيلُ بنا مُرَّةً وَطَوراً نُعَالِجُ إمرارَهَا

تَكَادُ تُنَشِّى ولَمَّا تُذَق وَتُغشِى المَفَاصِلَ إفْتارَهَا

---

[١] طالوا، محي الدين، "الرسم واللون"، ص١٦٧.

[٢] عجلان، عباس، "عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى "، دار المعارف، ١٩٨١،ص٦٧.

[٣] ديوان الاعشى، ص٣٦٩، صهباء: حمراء أو شقراء ، صرف :خالصة لم تمزج بالماء ، الفصوص :جمع فص وهي حدقة العين تشبه الخمرة في صفائها، باكرها: بادرها في الصباح، سار الشراب في رأسه: دار وارتفع والسوار صفه للشراب نفسه لشارب الخمر .

وقد يستخدم الأعشى ألفاظاً تدل على ثنائية اللونين (الأبيض والأحمر)ليصور لنا الخمرة ومدى تأثيرها على العقل ، والخروج من دائرة العقل والدخول في جوا للاشعور ، فلونها الأحمر وكأنها عين الديك تجعل الناظر يستمتع برويتها قبل شربها لتشارك الحواس في هذه النشوة واللذة" فهي مثل لون الفصوص والفصوص جمع فص وهو حدقة عين الديك ففيها ألوان متألقة مختلفة مختلطة"[١] ولعل هذا اللون يدل على أن الخمرة مزيج من أنواع مختلفة من الثمار .

ولا يزال وقت الصباح يمثل الزمن المناسب للشرب والاستمتاع بعيداً عن علن الرقيب، والصخب، و الإزعاج، فجو الشرب يحتاج للهدوء، ليبدأ تأثيرها على عقل شاربها، ليفقد السيطرة على نفسه، مما يجعله يستمع بها، حتى إن رائحتها تكاد تسكر قبل شربها.

في هذه الصورة نجد مدى تأثير هذين اللونين على نفسية الشاعر فبالرغم من اختلاف دلالتهما الأساسية، إلا أن اتحادهما في مجلس الشرب قد كون صورة تبعث الارتياح والانشراح، ولعل الشاعر رأى فيها خروجاً من هموم الحياة، ومعاناتها لما يواجهه في الليل من متاعب السفر ومغازلة النساء في هذا الوقت لمعاقرة لذته ، ويقول الشاعر في وصف الخمرة، يقول:

وَصَهباءَ طافَ يَهوديُّها ... وَأبرزَهَا وَعَليهَا خُتُمْ[٢] (المتقارب)

وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دَنِّهَا ... وصلَّى عَلى دَنِّهَا وارتَسَمْ

تمزّزتُها غَيرَ مُستَدبِرٍ ... عَنِ الشَّربِ أَو مُنكِر مَا عُلِمْ

وَأَبيَضَ كالسَّيفِ يُعطي الجَزِيل ... يَجُودُ وَيغزُو إذَا مَا عَدِمْ

تَضَيَّفتُ يَوماً عَلَى نَارِهِ ... مِنَ الجُودِ فِي مَالِهِ أَحتَكِم

---

(١) عجلان، عباس، "عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى "، دار المعرف،١٩٨١، ص٦٨.

(٢) ديوان الاعشى، ص٨٥، الصهباء :الخمرة والصهبه الحمرة ، صلى: برك ودعا ، ارتسم الرجل لله: كبر ودعى وتعوذ ، تمزز: الشراب تمصصه قليلاً قليلاً ، تضيفت: نزلت ضيفاً.

يستخدم الشاعر هذه الثنائية للربط بين اللهو ومجالس الخمر وبين الرجل الكريم، فالخمرة ذات اللون الأحمر تدخله في عالم اللامبالاة والاستمتاع ، مما يجعله يتلذذ بطعمها عندما يتمززها جامعاً بين جمال اللون ولذة الطعم، والجو الذي يشربها فيه، مما يدل على اهتمام الساقي بالخمرة والمحافظة عليها ، فهي محفوظة في الدن مما يجعلها تحتفظ برائحتها عند فك الختم، لذلك استخدم بعضاً من الألفاظ الدالة على الاهتمام والتعلق بها" والمجموعة اللفظية التي ترد مع آنية الخمر هي دن أسود -مختومة -باطية كبيرة– قوارير كبيرة - كئوس كبيرة وصغيرة –أباريق– كئوس زجاج ومن فضة"[١] كل هذه الأوصاف المتعلقة بالخمرة حرص الأعشى على ذكرها ، سواءً في هذا النص أو غيره ، مما يدل على الا هتمام بوصف أجوائها وتأنقه في رسم الصورة الجذابة التي تقود السامع للدخول في جوها ولو لم يذقها، إلا أن هذه الصورة ترتبط في خيال الشاعر بما يزيد الراحة والانشراح في نفسيته بمصاحبة الرجل الكريم ،ليستخدم الوصف الذهني لهذا الرجل، وكأنه السيف لشدة لمعانه وبريقه، مما يدل على أنه ذو حسب ونسب وذو منظر جميل يتصف بصفات الرجولة الكاملة، والشجاعة، ومواجهة الخصوم، لا يخشى الفقر، بل يعطي ضيفه ما يعطيه. لقد مزج الشاعر هذه الثنائية في صورة أخرى. يقول:

وكأسٍ كَعَينِ الدِّيكِ باكرتُ حَدَّها بِفتيَان صِدقٍ والنَّواقِيصُ تُضربُ[٢] (الطويل)

سُلافٍ كأَنَّ الزعفَرَانَ وعنَدَمَا يُصفَّقُ في نَاجُودِهَا ثُمَّ تُقطَبُ

لَهَا أَرَجٌ فِي البيَتِ عالٍ كأَنما ألَمَّ بِهِ مِن تَجرِ دَارِينَ أركُبُ

---

[١] العمري، زينب عبد العزيز، "السمات الحضارية في شعر الأعشى، دراسة لغوية وحضارية"، الرياض ١٤٠٣،١٩٨٣م،٣٤ مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ص٢٣٤.

[٢] ديوان الاعشى ، ص٢٥٣، كعين الديك: لأن عين الديك صافية ، حد الخمر: سورتها وحدتها ، السلاف: ماتحلب وسال قبل عصر الخمر وهو أجودها ، العندم: شجر له عروق حمر يصبغ به ، صفق الخمر :روقها وصفائها ، ناجود الخمر: الأناء الفخاري الذي تحفظ فيه وهو الباطية ، قطب الخمر: مزجها ، الأرج :الرائحه القوية ، دارين: موضع بالبحرين مشهور بالمسك ، أركب: وهم جماعة المسافرين .

وقد يكون الوقت عاملاً مشتركاً بين في هذه الثنائية ليختار الشاعر أفضل الأوقات ليمارس هوايته، مستعينا بما توحيه الطبيعة من أوصاف لائقة بهذه الخمرة فلعله احتار تشبيه الخمرة بعين الديك في هذا الوقت البكور عند سماعه صياح الديك ليستوحي هذا التشبيه من لون عين الديك، فيرى أن الصباح، وقت الهدوء، أفضل الأوقات للذة والتمتع بها" فهو بشربها باكراً ليتمكن من معاقرة لذته بعيداً عن الرقيب الذي يفسد عليه المتعة وقد دار معنى البكور في طلب الخمر مراراً في شعره قبل صياح الديك، وقبل ضرب النواقيس مع الفجر "[١].كما أن اختلاط الشاعر بالثقافات الأخرى جعله يستخدم كلمات غير عربية في وصفه لبيئة الخمرة وأجوائها" والأبيات السابقة تظهر فيها التأثيرات المسيحية، بما يؤكد أن الأعشى كان على علم بأمر هذه الديانة ورهبانها وإن لم يؤمن بها"[٢] ، وذلك من خلال استخدامه لفظة(النواقيس)[٣]مما يدل على أن ثقافة الشاعر كان لها دور في توظيف بعض الألفاظ لتكوين الصورة الفنية. يقول الأعشى:

وتُولِّى الأَرضَ خُفاً مُجمرَاً فَإذَا مَا صادفَ المرَو رَضَح [٤] (الرمل)
فتراهُ فلِقاً فَراسِناً ذَا رنينٍ صَحِلَ الصَّوتِ أَبَح
وَشَمُول تَحسِبُ العينُ إذا صُفِّقَت وَردتُها نَورَ الذُّبَح
مِثلُ ذَكيِ المِسكِ ذاكٍ ريحُهَا صَبَّهَا السَّاقِي إِذَا قِيلَ تَوَحْ
مِن زِقاقِ التَّجرِ فِي بَاطِيَة جَونَةٍ حارِيَّةٍ ذَاتِ رَوَح

---

(١) حمود ، محمد "سلسلة شعراء العرب الأعشى "ص٥٨ .

(٢) العمري، زينب عبد العزيز، "السمات الحضارية في شعر الأعشى "، ص١١٣.

(٣) لم يقم بتعديلها محقق الديوان أو حتى التعليم عليها، وقد وردت في لسان العرب) بحرف السين (النواقيس) ولم ترد بحرف الصاد النواقيص) انظر الفريح، سهام عبد الوهاب، الأعشى ومعجمه اللغوي، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ص١٣.

(٤) ديوان الأعشى، ص٢٩١، مجمر: صلب مجتمع، رضح الحصى والنوى: كسره، صحي الصوت :اهتد في بحه، شمل الخمر: عرضها للشمال لتبرد، الذبح: نبت حلول يأكل له زهره حمراء، توح :فعل أمر من توح اسرع، زق التجر: أي أنها مستوردة من بعيد، الباطية: إناء واسع الأعلى ضيق الأسفل يوضع بين الشاربين يغترفوا منه وهي كلمة فارسية، جونة: سوداء ،روح ،سعة.

وقد يجمع الشاعر هذه الثنائية لرسم الصورة الحسية ليربطها بالأحاسيس والمشاعر التي تولدها الأنفة والحماس ، من خلال ما تثيره حوافر الخيل الصلبة عند مصادفتها لأحجار الصحراء (المرو) لتثير الشرر الموحي بالخطورة والقسوة، والمعنى هنا يوافق قوله تعالى"فالموريات قدحاً[(١)]" مما يدل على قوة هذه الخيل واستعدادها للعدو ، و يدل على السيادة والقوة والمروءة.

ثم ينتقل لوصف الخمرة ومجالسها ليجعلها رديفة لهذه الصفات، وأنها تعادل - في نظر الأعشى– أرفع المزايا التي حرض العرب على امتلاكها " فقد راح الشاعر يقرن فيها بين السؤدد والكرم والإقدام والتغني بالأمجاد والأحساب والأيام[(٢)]". فالإحساس بالنصر لابد أن يتبعه الاحتفال والفرح، وهذا لا يكون إلا بحضور الخمرة، ليستطرد الشاعر في وصف مجالسها واستخدام الأسماء الدالة عليها -شمول – التي عرضها الساقي لريح الشمال لتبريدها حتى طاب ريحها ليستعجل في صبها ، وكأن لونها لون الزهر الأحمر.

في هذه الأبيات نجد الشاعر قد جمع هذه الثنائية للتعبير عن موقفين متناقضين، وهما خوض المعارك للمحافظة على السؤدد والكرامة التي يبحث عنها كل رجل كريم، وبين اللهو واتباع الملذة والخروج عن جو الكآبة والهم، من خلال جمع الأوصاف وربطها، لتكوين الصورة التي تجمع بين المتناقضات، في إطار واحد، مما يدل على نفسية الشاعر واهتمامه بهاتين الصورتين. وفي وصف البرق يقول:

يا مَن يَرَى عَارِضاً قَد بِتُّ أرقُبُهُ كَأَنَّمَا البَرقُ في حَافَاتِهِ الشُّعُلُ [(٣)] (البسيط)
لَهُ رِدَافٌ وَجَوزٌ مُفأَمٌ عمِلٌ مُنطَّقٌ بِسِجَالِ الماءِ مُتَصلُ

[(١)] سورة العاديات، الآية ٢.

[(٢)] قمحية، مفيد محمد، "الأعشى الكبير ميمون بن قيس شاعر اللذة والحياة، دراسة تحليله"، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م،ص٥٨.

[(٣)] ديوان الاعشى، ص١٠٧. العارض: السحاب، رداف: ذيل، جوز: وسط، مفأم :ممتلئ بالماء، عمل :دائم متصل، السجال :جمع سجل (بفتح السين) وهو الدلو.

في هذه الأبيات يسيطر العامل النفسي في رسم الثنائية بين اللونين الأبيض والأحمر، فقد تكرر عند الشاعر استخدامه للفظة" رأى[1] "ولعل إحساسه بضعف البصر كان سبباً واضحاً في هذا التكرار، ولعل لمعان البرق وشدة وضوحه قد سهل على الشاعر الرؤية ، فهو يرى البرق ولمعانه يساعده على رؤية الطريق، فهذا البرق الذي يخترق السحاب المظلم يحتل القوة حتى تتمكن العين من رؤية الشعل التي يسببها هذا البرق، جراء اصطدامه بالسحب، وكأنها النار الموقدة ، لينتج عن هذا الاصطدام والخوف الخير الذي يهطل،وهو الغيث الكثيف الموحي بالخير والنماء. ويقول أيضاً:

والأرضُ حمَّالةٌ لِمَا حَمَّل الـ ـلّهُ ومَا إن تَرُدُّ مَا فَعَلا[2] (المنسرح)
يوماً تراهَا كشِبه أرديةِ الـ ـخِمسِ وَيوماً أديُمهَا نَغِلاَ
أنشَى لَهَا الخُفَّ والبَرَاثِنَ والـ ـحَافِرَ شَتَّى والأَعصَمَ الوَعِلاَ

وفي صورة مغايرة لدلالة اللونين (الأبيض والأحمر) يعبر بهما الشاعر على الصمود والبقاء، وكأن هذين اللونين إذا اجتمعا أصبحا مصدري قوة، وتحمل قسوة الطبيعة لما تريده الإرادة الإلهية، فهذه الأرض التي تحمل فوق ظهرها مخلوقات عديدة متنوعة تتلاءم مع ظروف الطبيعة المحيطة بها، فالأرض المجدبة القاسية ذات التضاريس الوعرة تختلف ألوان حيواناتها عن الأرض المنبسطة ذات الخضرة والمياه الجارية ، فالوعل ذو اللون الأحمر المختلط بالسواد، والمحاطة أقدامه بالبياض يتأقلم مع هذه الجبال الصعبة، وكأن هذه الألوان تدل على مدى ملاءمتها لظروف هذه الطبيعة القاسية ،بينما تعيش الظباء ذات اللون الأبيض في السهول الصحراوية ،وكأن اجتماع هذين اللونين الأبيض والأحمر يبعث في النفس مشاعر التحمل ومقاساة الطبيعة ، من هذا نجد كيف يصل الشاعر إلى

---

(1) الفريح، سهام عبد الوهاب، "الأعشى ومعجمه اللغوي"، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت تأسس سنة ١٩٨٦، ص١٠-١٣.

(2) ديوان الاعشى ، ص٢٨٣. الخمس (بكسر الخاء) : ضرب من ضروب اليمن ، نغل الاديم: فسد في الدباغ ، الأعصم من الظباء والوعول: مافي ذراعية أو أحدهما بياض وسائر جسمه أسود أو أحمر .

دلالات هذه الألوان وعلاقتها بمكونات الطبيعة، وإنها لم توجد عبثاً وأن –الله سبحانه -وتعالى قد أودع في مخلوقاته دلائل قدرته وعلمه، كما في قوله تعالى " وكل شيء عنده بمقدار "[١] مما جعل الأعشى يتدبر في عظيم صنع الله تعالى وحكمته، وأودع فيها سر عظمته وقدرته.

[١] سورة الرعد، الآية (٨).

ثنائية الأبيض والأصفر:

لقد لازم حضور اللون الأبيض جميع الألوان في شعر الأعشى ملازمة تثير الاستغراب، فقد كون ثنائية مع اللون الاسود، وثنائية مع اللون الأحمر، وثنائية مع اللون الأصفر وثنائية مع اللون الأخضر * وقبل البدء في دراسة ثنائية اللونين، الأبيض والأصفر، يجدر بالباحث أن يبين دلالات اللون الأصفر *، يقول ابن منظور "الصفرة من الألوان: معروفة تكون في الحيوان والنبات وغير ذلك مما يقبله، والأصفران الذهب والزعفران، ويقال أهلك النساء الأصفران: الذهب والزعفران "[١]

ومما تقدم يتضح للقارئ أن اللون الأصفر يدل على الحسن والإعجاب ، والبهور ، وقد ورد في القرآن الكريم الفاظاً دالة على اللون الاصفر قال تعالى : (قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ)[٢].

ففي هذه الآية، يدل اللون الأصفر على الجمال، والسرور والانشراح، أما في قوله تعالى: (إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ)[٣].فهو يدل على العذاب وشدة الهول كما ورد تفسير للون الأصفر بأنه "لون معروف، والصفرة هي السواد، والصفرة هي لون دون الحمرة "[٤] وقد يرد اللون الأصفر بدلالته السلبية الموحية بالضعف، ومن ذلك تغير لون بشرة المريض "وتغير اللون:

---

* تقدم الحديث عن دلالة اللون الأبيض في الفصل الاول

* وسيبين الباحث سبب تعلق الاعشى باللون الابيض في النتائج

(١) ابن منظور "لسان العرب " مادة "صفر "، مجلد ٤، ص ٥٣١- ٥٣٦.

(٢) القرآن الكريم سورة البقرة آية رقم ٦٩ .

(٣) القرآن الكريم سورة المرسلات ، الآيتين رقم ٣٢ – ٣٣ .

(٤) موسى، حسن يوسف، ورفيقه، "الافصاح في فقة اللغة"، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، الطبعة ٣، ج٢ ، ص١٣٣٢ .

إشارة يتوصل بواسطتها المعالج إلى معرفة طبيعة المرض"[١] ومن ذلك قولهم " أصفر الوجه، ويعنون من المرض والذبول، وضحكة صفراء : إذا كانت بمرارة أو منتزعة انتزاعاً ، وأرض صفراء إذا كان ترابها مختلطاً برمل ، وعين صفراء للعين الحقودة الحاسدة " [٢] .

وقد يرتبط اللون الأصفر بالمقدسات الدينية ، والشعائر "ولارتباط اللون الأصفر بالشمس والضوء استخدمه قدماء المصريين رمزاً لإله الشمس "[٣] وقد كان للون الأصفر ، حضور بارز في شعر الأعشى ، وذلك من خلال ارتباطه باللون الأبيض، فقد استخدم الأعشى ثنائية اللونين الأبيض والأصفر في شعره بدلالتيهما الإيجابية، ولم أجد لهذه الثنائية دلالة سلبية سوى هذا المقطع التالي، والذي يعبر عن القلة والاستكراه ودنو الشيء من الفناء، يقول الأعشى:

وَكَم دونَ لَيلى مِن عدُوٍّ وبلدةٍ وَسَهبٍ بِهِ مستوضِحُ الآلِ يبرُقُ[٤](الطويل)

وأصفَرَ كالحِنَّاءِ طَامٍ جِمَامُهُ إذَا ذَاقَهُ مُستعذِبُ الماءِ يبصقُ

وفي هذا المقطع تظهر ثنائية اللونين الأبيض والأصفر، بدلالتيهما السلبية، فبعد أن كان البريق مصدر فرح وسرور، وإحساس بالجمال والمتعة، إلا أنه أصبح مصدر شؤم، مما يزيد معاناة الشاعر، فهو لم ينته من معاناته مع أعدائه الذين يترصدون له في الطريق، حتى يظهر له بريق السراب، الموحي بشدة العطش، وجفاف الصحراء، وكأنه حليف وقف في صف أعدائه، ثم يتكرر المشهد، والمعاناة، فلم يكد يجد الماء، ليطفيء عطشه وظمأه، إلا أن هذا الماء قد تغير لونه،

---

[١] ابن وهب الكاتب، أبو حسين بن إبراهيم "البرهان في وجوه البيان" تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، منشورات جامعة بغداد، العراق، ط١، ١٩٦٧م، ص١٠١.

[٢] أمين، أحمد، "فيض الخاطر"دارالنهضة،القاهرة–مصر، ط١، ج١، ص٣٢٦، ابن منظور، لسان العرب، مادة صفر.

[٣] رياض، عبد الفتاح ، "التصوير الملون" مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط١، "د.ت" ص ٤٠٧ .

[٤] ديوان الاعشى، ص ٢٧٣، السلهب :الصحراء، الآل :السراب، أصفر: يقصد مورد ماء أصفر، طام:مطموس، الجماء :جمع جمه (بضم ثم تشديد)، وجم(بالفتح) وهو ما اجتمع من الماء.

وأصبح أصفر، مما يوحي بقذراته، وعدم صالحيته للشرب، حتى أن طعمه لم يعد يستساغ للشارب، مما يجعله يبصقه، يرضى هذا المسافر بالقدر، ويواجه التعب والعناء، وفي هذه الصورة التي رسمها لنا الشاعر يتكشف لنا مدى معاناته، والحالة النفسية التي يصارعها مع البشر، وكأنهم يقفون بينه وبين معاناته أيضاً مع الطبيعة وقسوة الصحراء، وكأنها هي أيضاً لا تتفهم مشاعره، ولا تترفق بحاله.ويقول في وصف المحبوبة:

بيـــــــضاءُ ضَــــــحوتُهَا وصَفــــــ ـــــراءُ العَــشِيَّةِ كـــالعَرَارة[1](مجـــزوء الكامـــل)

ويستخدم الأعشى ثنائية اللونين الأبيض والأصفر، بدلالتيهما الإيجابية لإظهار الجمال الذي تتحلى به هذه المرأة. فالبياض جمال رباني، إلى جانب ذلك الجمال الذي يتمثل في اللون الأصفر، والذي صنعته المرأة لنفسها من خلال إدهانها بالمسك، مما ينم عن امرأة مهتمة بجمالها مترفة، مدللة، تتوفر لها أسباب الجمال، مما يكسوها حلة زاهية، اهتم بها الشعراء وتفننوا في وصف هذه الصورة لذلك " يعد اللونان الأبيض والأصفر من ألصق السياقات اللونية بالمرأة"[2]. فاللون الأبيض يبعث في النفس الشعور بالارتياح، والإحساس بالأصالة والطهر، كما يوحي بالإشراق ونقاء العرض "ولربما كان مرجع ذلك أيضاً إلى ما يوحيه هذا اللون من خواص الإبهار عند الشعراء"[3]. فالشاعر لا يستطيع تجاهل الجمال، فهو مرهون بما يراه، ليعبر به في شعره، مترجماً به عن مكنوناته الداخلية، التي تعزف على أوتار هذا الجمال الجذاب، ومما يجذبه أكثر شعوره بأن هذه المرأة تحس بجمالها، مهتمة بمحاسنها، لتكسوها بما يتناسب معها، من الأطياب

---

[1] ديوان الاعشى، ص ٢٠٣، صفراء :العشية لأنها تتزين وتطلي جسمها بالزعفران والطيب، العرارة :شجر له نور أصفر قدر شبر .

[2] الهدروسي، محمد، مرعي،"تجليات اللون في شعر شعراء المعلقات"ص٨٣.

[3] عبد المطلب، محمد "قراءة ثانية في شعر امرئ القيس " (د.ن) القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨٦، ص٥١ .

والألوان الجذابة، من خلال اختيارها، وحبها للتطيب بالمسك، والإدهان به، حتى ظهر لونه على أجزائها التي تكون أقرب وأوضح عند رؤيتها، كالوجه، واليدين. ويقول أيضاً:

إِذَا لَبِـــسَت شـــيدارةً ثُـــمَّ أبرَقَـــت ... بِمعصَمِهَا وَالـشَّمسُ لَمَّا تَرَجَّـلِ [١](الطويـل)

وَألْـــوَتْ بكـــفٍ فـــي سِـــوَارٍ يَزِينُهـــا ... بَنَـــانٌ كهـــدَّابِ الـــدِّمقسِ المفتَّـــلِ

رأيـــتَ الكَـــرِيمَ ذا الجلالـــةِ رانيـــاً ... وقـــد طـــار قلـــب المـــستخفِ المعـــذِلِ

وهنا يجمع الشاعر بين ثنائية اللونين الأبيض و الأصفر، من خلال زينة المرأة بالملابس التي تلبسها، مما يزيدها جمالاً وبهاءً، ومما يعكس هذا الجمال الفتان تعرضها لأشعة الشمس التي تزيدها بريقاً ولمعاناً "فهي أكثر المصادر التي استمد منها الشاعر اللون الأصفر، ولعل ذلك راجع إلى أن الشمس هي أكثر مصدر يتجلى فيه هذا اللون في حياة الإنسان العربي، ويصدر منها بكثافة هائلة، إضافة إلى أن الشمس موجود بيئي مهم في حياته"[٢]. ويزيد هذا الجمال والبريق حركة الشيدارة، وهنا نجد اللونين الأبيض والأصفر، قد اتحدا مع عامل ثالث وهو الحركة، ليبدأ تأثير الشمس على إظهار هذا البريق واللمعان، مما ينبئ عن الجمال الذي تتصف به هذه المرأة، فالجمال جمال روحي من خلال اختيارها لهذه الملابس اللماعة، الجميلة، وحركة اليد اللطيفة، ذات اللون الأبيض، حتى أن المرأة أصبحت مثل المرآة التي تعكس الأضواء، وهذه الإنعكاسات قد تأثر على عقل من يراها، كما تؤثر الخمرة في شاربها، فلم تنته هذه الإنعكاسات على النظر، بل تعدته لتسيطر على عقل الرجل الكريم، المتزن، حتى أصبح لا يهتم بلوم اللائمين، وكلام الناس فيه.

---

[١] ديوان الأعشى،ص٤٠٥، الشيدارة :برد يشق ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير كمين ولا جيب وهو معرب عن الفارسية أصله هناك (شادريان) أبرقت بمعصمها :كشفت عنه ولوحت بـه، ترجلت الشمس ارتفعت، الوى بيده وبثوبه: أشار، الهداب: ماسترتسل من أطراف النسيج، الدمقس الحرير الأبيض، المفتل المفتول، رنا:أدام النظر في دهشة وقد غلبه الهوى، المستخف الذي استخفه الهوى فحمله على الهوى على الخلاعه، المعذل: الذي يكثر الناس من عذله ولومه.

[٢] الحموان، أحمد سلامة، "الأبعاد الدلالية والجمالية للون في شعر ابن المعتز". رسالة ماجستير، جامعة اليرموك – اربد – الأردن، ١٤٢٩، ٢٠٠٨ م.ص ٥٠.

وفي صورة أخرى، ودلالة سلبية من دلالات اللونين الأبيض والأصفر، يقول الأعشى:

تـــصابيتَ أم بَانـــت بعقلـــكَ زينـــبُ وَقَد جَعَلَ الودُّ الَّذِي كانَ يذهبُ[١] (الطويل)

وشـــاقتكَ أضـــعانٌ لزينـــبَ غُـــدوةً تحمَّلـــن حتَّـــى كـــادتِ الـــشّمسُ تغـــرُبُ

في هذه الأبيات تفرز ثنائية اللونين الأبيض و الأصفر، معنىً مؤلماً، موحياً بالفراق، وانقطاع الوصال، وتباعد الأحباب، واليأس من اللقا، فقد بدأت المحبوبة بتجهيز رحلها، تعتزم الرحيل، وقد امتد هذا التجهيز طوال النهار، حتى توارت الشمس بالحجاب، ولعل هذا التجهيز طوال النهار، لون الشمس الأصفر، مع الشفق وميلانه للحمرة يشعر بتغير الحال، من زمن الوصال إلى زمن الفراق، كما أن اقتراب هذه اللحظة بسويعات المغيب ودخولها في زمن الليل، يدل دلالة نفسية على أن الشاعر يحس بالغياب الأبدي، فقد لا تتهيأ لها الفرصة برؤية محبوبته مرة أخرى، كما أن هذه الليلة وهي ليلة الفراق، ستكون ذات وقع مؤلم، فكيف سيقضيها المحب، وهو لم يعتاد على هذا الفراق الطويل، بعد أن كان ممتعاً نفسه بالوصال مع أحبابه وسماره.

وينتقل الأعشى، في ربطه بين اللونين الأبيض والأصفر، وعادات الرجل العربي. يقول:

فتــىً لــو ينــادِي الــشَّمسَ أَلقَـت قِناعَهَـا أَو القَمَرَ السَّارِيَ لأَلقَى المقَالِدَا[٢](الطويل)

فهذا الرجل، صاحب نسب كريم، وحسب أصيل، لا يجهل بأوصافه حتى الجماد، فبالرغم من بعد الشمس والقمر عن طالبهما، وعلو منزلتهما، واستحالة تخاطبهما مع البشر، إلا أنهما أي الشمس والقمر، قد تتنازلا عن كل هذه الصفات، طاعة لهذا الرجل وهو "هوذة بن علي الحنفي" وفي هذا الوصف، أتى الأعشى بصورة مغايرة، فكأنه جعل هذين اللونين، يعينان على تخاطب الجماد مع البشر، مما يدل على أن إعجابه بهذين اللونين، واستخدامه لهما في شعره، وإحساسه بأنهما،

---

[١] ديوان الاعشى،ص٢٥١، تصابا الرجل: مال الى اللهو واللعب، شاقتك: هاضتك، أضعان: جمع ضعينه وهي الهودج، غدوة: صباحاً، تحملوا :وضعوا أحمالهم على الإبل يريدون الرحيل .

[٢] ديوان الأعشى، ص ١١٥، ألقت قناعها: أي كلمته وأسفرت عن وجهها له، ألقى المقالد: أطاع وانقاد.

يحسان بما يحس به، ويفهمان ما يقول، وكأنهما أي اللونين الأبيض و الأصفر، إذا اجتمعا، يمثلان الإحساس والشعور بالحياة.

وفي صورة، من صور الصراع، ومحاولة البقاء، والبحث عن الانتصار، يقول الأعشى:

حَتّـــى إذَا ذَرَّ قَـــرنُ الـــشَّمسِ صَـــبَّحها (ذُؤالُ) نبهانَ يَبغِي صَحَبهُ المُتَعَا [١](البسيط)

بأكلُـــــبٍ كـــــسراعِ النَّبــــــلِ ضَـــــاريةٍ تَرَى مِنَ القِدّ فِي أَعناقِهَا قِطَعاً

وبما ينبئ عنه الصبح من الإشراق والسرور، ولون الشمس الأصفر، في نفوس البشر، إلا أنه قد يكون بداية النهاية المتوقعة، والتي تستدعي الصبر والمواجهة. وفي هذه الأبيات نجد الأعشى قد استخدم قرن الشمس، وكأنها هي المحارب لهذا الثور، مما يستدعي استخدام هذا الثور لقرنه، إلا أن الصفرة تكمن في قرن الشمس، مما ينبئ عن الموت[٢]. ومن ذلك " نلحظ أن اللون الأصفر أكثر ما ارتبط – عند العرب– بالشمس"[٣]، إلا أنه في هذه الصورة التي رسمها لنا الأعشى ، كان نذير شؤم، ينبئ عن الموت، الذي ينتظر هذا الثور، ومواجهة كلاب الصيادين، وكأنها النبال المسننة، وقد جرحت أعناقها القيود، مما يدل على أنها متحمسة للصيد، لا ترحم فريستها عند المواجهة. ويقول أيضاً:

ثُـــمّ بـــالعَينِ عُـــرّةٌ تَكـــسِفُ الـــشَّمـ ـسَ وَيَوماً مَا يَنجَلِي إظلاَماً [٤] (الخفيف)

إذ أَتـــتكمْ شـــيبانُ فـــي شَـــارقِ الـــصُّبـ ـحِ بِكَبشٍ تَرَى لَهُ قُدّامَا

---

[١] ديوان الاعشى، ص١٥٥–١٥٧، ذر :طلع، قرن الشمس: أول مايشرق منها، ذئل: أسرع، النبل: السهام، ضارية: من ضري بالشيء تعوده، القد: السير من الجلد.

[٢] وقال الطوسي في شرح ديوان لبيد: إذا مات الرجل أو قتل أصفرت أنامله، والمراد بالأنامل هنا الإظفار لأنها بزعمهم لا تصفر إلا بالموت، قال لبيد

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الأنامل

[٣] الحموان، أحمد سلامة، "الأبعاد الدلالية والجمالية للون في شعر ابن المعتز"رسالة ماجستير جامعة اليرموك، اربد – الأردن ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨، ص٥٠.

[٤] ديوان الأعشى، ص٢٩٧، العين :يقصد به عين التمر وهو يوم فطيمه، وفطيمه امرأة من بني سعد بن قيس (قوم جهنام) كانت عند رجل من بني سياد (من شيبان) وله امرأة غيرها من قومه، فتعايرا، فعمدت السيارة الى فطيمه فحلقت دوائبها فاهتاج الحيان واقتتلا، فهزمت بنو سيارة يومئذ ، العرة الجرب، وبقصد به هنا العار والفضيحة، شارق الصبح :وظهر الصبح، الكبش: سيد القوم، القدام :الملك والسيد ومن يتقدم الناس بالشرف.

في هذا النص تظهر دلالة لهذه الثنائية – الأبيض و الأصفر، ولكنها دلالة مغايرة، فهي نتيجة لفعل قاسٍ، تلقاه العدو، حتى أن الشمس، والتي توحي بالانشراح والوضوح، إذا رأت هذا الموقف تغير لونها للسواد، نتيجة هذا الموقف المرعب، والذي تمثل في إغارة بني شيبان علي بني عبدان، حتى أن الصبح كان نذير شؤم وخوف وهلع، على بني عبدان، إذ ظهر شيخ بنو شيبان يقدمهم فارس مغوار، لا يهاب الموت، بل إنه يرسم الفناء، وينذر بالهلاك، ما يجعل حتى الشمس تحزن لهذا المشهد.

ثنائية اللونين الأبيض والأخضر:

ورد في لسان العرب " الخضرة من الألوان: لون الأخضر: يكون ذلك في الحيوان والنبات وغيرهما مما يقبله، والخُضُر المخضور: اسمان للرجِض من الخيل ، وفي التنزيل: "فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا "[1] (سورة الأنعام: الآية ٩٩)، قال: خَضِرا ههنا بمعنى أخضر يقال أخضَرّ، فهو أخضر وخضر، وقال الليث: الخضر ههنا الزرع الأخضر. وشجرةٌ خضراء: خضرةٌ غضة. وأرض خضيرةٌ ويخضور كثيرة الخضرة ، ويقال للأسود أخضر. والخضرة: قبيلة من العرب سموا بذلك لخضرة ألوانهم، والخضرة في ألوان الناس السمرة،والخضراء من الكتائب نحو الجأواء، ويقال: كتيبة خضراء للتي يعلوها سواد الحديد") [2] وقد ورد اللون الأخضر في القرآن الكريم في ثمانية مواضع،[3] كلها ذات دلالة إيجابية، توحي بالنعيم، والراحة، والثواب على حسن العمل، فهو لون فراش المؤمنين في الجنة.قال تعالى" متكئين على رفرفٍ خضر وعبقري حسان" [4].

كما أن اللون الأخضر يمثل " لون الطبيعة، منعش رطب مهدئ يوحي بالراحة، إذ يضفي بعض السكينة على النفس، ويسمح للوقت أن يمر سريعاً، ويساعد الإنسان على الصبر، لذا فقد

---

[1] القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية (٩٩).

[2] ابن منظور، لسان العرب، ص١٢٢،١٢١،١٢٠، ج٤

[3] القران الكريم،" الأنعام، آية رقم ٩٩)، (الكهف، آية رقم ٣١)، (يوسف ، آية رقم ٤٣ و ٤٦). (يس آية رقم ٨٠)، (الرحمن آية رقم ٧٦)،(الإنسان، آية رقم ٢١) ،(الحج آية رقم ٦٣).

[4] سورة الرحمن، آية رقم (٧٦).

استعمل في معالجة بعض الأمراض العقلية، مثل الهستيريا وتعب الأعصاب" [١] وبما يوحي به هذا اللون من الارتياح ".

والتأثير المسكن الملطف الناتج عن اللون الأخضر"[٢] فإننا نجده محبوباً" أو مفضلاً عند كثير من الأشخاص الذين يتمتعون بحب الحياة والجمال؛ لذلك" فالأخضر لون الأشخاص الحساسين"[٣].

لذلك نجد اللون الأخضر يمثل الحياة، والنمو، والشعور بالأمل، والخصوبة، " وتكمن في اللون الأخضر صفة الأنانية، ولكنها أنانية تختلف عن الأنانية التي تدل عليها الألوان في المجال الأرجواني، فالأنانية هنا تصدر عن الكفاح من أجل البقاء والعيش"[٤] .

ولما يمثله اللون الأخضر من الشعور بالراحة، والإحساس بالحياة، فإننا نجد الأعشى قد استخدمه في ثنائية مع اللون الأبيض" مما يدل على أن الشاعر كان يعاني من الهم النفسي، والقلق، والضيق، وقد اختلفت هذه الثنائية فيما كان يجمع بين ثنائية الألوان، فقد كان يستخدمها بالدلالة الإيجابية والسلبية "[٥]، إلا أنه اقتصر في ثنائيته بين اللونين الأبيض والأخضر على دلالتهما الإيجابية، ولم يورد لهذه الثنائية دلالة سلبية، وهذا ما سنراه في هذه الدراسة لاحقاً.

يستخدم الأعشى ثنائية اللونين(الأبيض والأخضر) في وصف المحبوبة وما تتحلى به من الجمال، ليربط جمال المحبوبة بجمال الطبيعة وروعتها، مما يجعل الموقف يظهر بصورة

---

[١] حمودة، يحيى، نظرية اللون، ص١٣٦.

[٢] حموده ، يحيى "نظرية اللون" ، ص١٣٩.

[٣] دملخي: الألوان نظرياً وعملياً، ص٧٠.

[٤] الهدروسي، محمد مرعي،" تجليات اللون في شعر شعراء المعلقات" ص٤٣.

[٥] انظر ما تقدم من هذه الدراسة في الفصل الأول، والفصل الثاني، ثنائية الأبيض والأسود، ثنائيةالأبيض والأحمر، وثنائية الأبيض والأصفر.

أجمل، وأكثر بهاءً، وأمتع للسامع، ويدخل الشاعر في جو الأنس والراحة ، كما ربط بين الخمرة والمحبوبة وبين وصورة هذه الطبيعة الخلابة، ولهوه وتلذذه بالخمرة في أفضل أوقات الشرب، خصوصاً وقت الصباح. يقول الأعشى:

مِــنْ نَظْــرَةٍ نَظَــرت ضُــحىً فَرَأيتُهَــا وَلِمَن يَحِينُ عَلَى المَنِيَّةِ هَـادِي[1] (الكامل)

بــينَ الــرّواقِ وَجَانِــبٍ مــن ســترها فيهـــــا وَبـــــينَ أرائِـــــكِ الأَنْـــــضَادِ

تَجلُــو بِقَــادِمَتَي حَمَامَــةِ أَيكَــةٍ بَــــــرَداً أُسِــــــفَ لِثَاتُـــــهُ بِــــــسَوَادِ

لقد رأى الأعشى محبوبته في وقت الضحى، وهو أول النهار ،وفي وقت مبكر ليجمع بين جمال المحبوبة ووضوح الرؤية، فمحبوبته تسير بين الأسرة والمتاع، وهي في غاية الترف والنعيم، واصفاً بيئة المرأة البدوية التي تعيش فيها، فإلى هذا النعيم، يتخيل أسنانها البراقة، وهي تنظفها بريش الحمام، ذلك الحمام الذي عاش بين شجر الأيك، مما يدل على نعومة ريشه، لتستخدمه المحبوبة في تنظيف أسنانها، تداري على لثتها الناعمة، وقد اختلطت بالسواد، مما يزيدها جمالاً في هذه الصورة، ومن خلال استخدام الأعشى لهذه الثنائية يظهر للسامع مدى أهمية هذه الثنائية في إعطاء المرأة الجمال والحسن، والتعبير عن اللطافة والنعيم، ومدى اختيار هذه المرأة لأدوات التجميل، حيث اختارت ريش الحمام اللطيف، والذي يعيش في الأراضي الخضراء والأشجار الكثيفة، وفي صورة أخرى تشبه الصورة السابقة.

---

[1] ديوان الأعشى،ص١٧٩، الرواق: مقدم البيت، الأريكة: سرير نجد مزين، الأنضاد: جمع نضد (بفتحتين) وهو مانضد من المتاع ، الأيكة: ما التف من الشجر.

ويقول:

صَــادَت فُــؤادِي بِعينَـــي مُغــزِلٍ خَــذَلت   تَرعَى أغنَّ غَضِيضاً طَرفُهُ خَرِقا[1] (البسيط)

وَبَـــارِدٍ رَتِـــل عَـــذب مَذَاقتُـــهُ   كأنَّمَـــا عُـــلَّ بالكـــافورِ واغتَبَقَـــا

وجيـدٍ أدمـاءَ لَـمْ تُـذعَر فَرائِـصُها   تَرعَـــى الأَراكَ تَعـــاطَى المَـــرد والورَقَـــا

وكَفَـــلٍ كَالنَّقـــا مَـــالت جَوَانِـــبُهُ   لَيـــسَت مِـــنَ الـــزُّل أَوراكـــاً وَمـــا انتطَـــقَا

كأنَّهـــا درةً زهـــراءُ أخرجَهَـــا   غـــواصُ درايـــنَ يَخـــشَى دُونَهَـــا الغَرقَـــا

ومن خلال تذكر الشاعر لمحبوبته التي رأها، وملكت أحاسيسه ومشاعره، يستخدم ثنائية اللونين الأبيض والأخضر، في استحضار هذا المشهد الغائب عن ناظريه، يستجمع بين الحقيقة والخيال، فهي امرأة جميلة تشبه عيناها عيني غزالة ترعى النبات والأشجار، تنظر في حنان ورفق إلى صغيرها، وفي هذه الصورة تتجلى روعة التشبيه وإلصاق الجمال الحسي والمعنوي بالجسد، فالعينان الغائرتان والخضرة والنظرة الهادئة إلى الصغير يزينها بريق الأسنان، والريق العذب، وكأنه الكافور، وكأن جيدها جيد ظبية شديدة البياض، لم تذعر، وإنما تتمتع برعي الأراك، وتأكل من ثماره اليانعة، وأوراقه الخضراء، وكأنها درة شديدة اللمعان،يضحي الغواص بنفسه من أجل الحصول عليها، في هذه الصورة نجد الأعشى قد جمع الحقيقة التي ما زالت عالقة بخياله، ليصف مشهداً حضورياً، يمزج فيه الشاعر بين الجمال الحسي والجمال المعنوي، من خلال ربطهما باللونين الأبيض والأخضر، فبياض المرأة وكأنها ظبية شديدة البياض، يمثل الجمال الحسي، والنظرة الفاترة والرفق بالصغير، ويمثل الجمال المعنوي، كما أن النعيم المتمثل في خضرة النبات، وشجر الأراك

---

[1] ديوان الأعشى، ص ٤١٥-٤١٧. مغزل :غزال صغير، خذلت: تخلفت عن صواحبها، رتل :مستوي ، الكافور: نبت طيب الرائحة، الفرائص: جمع فريصة وهي لحمة بين الجنب والكتف، المرد: ثمر الآراك، النقاء :القطعة المحدودبة من الرمل، زل :جمع ازل وهو الخفيف الوركين، انتطق: لبس النطاق وهو شقة تشده المرأة على وسطها وترسل الاعلى على الأسفل إلى الأرض، زهراء: شقراء بيضاء مشرقة، دارين:ثغر في البحرين، دونها: أي في سبيل الحصول عليها .

الذي ترعاه هذه الظبية زاد من جمالها ويقابله النعيم والرعاية التي تتمتع بها هذه المرأة الجميلة. يقول:

ظبيـــةٌ مِـــن ظِبَـــاءِ وَجـــرَةَ أدمَـــا ءُ تَـسفُّ الكبـاثَ تحـتَ الـهَـدَالِ[١] (الخفيـف)

حُـــــرَّةٌ طَفلَـــــةُ الأنَامِـــــلِ تَرتَـــــ ـــــبُّ سُـــــخاماً تكفُّـــــه بخِـــــلالِ

وهنا يستخدم الأعشى ثنائية الأبيض والأخضر، رمزاً للجمال والنعومة، من خلال تشبيهه لمحبوبته التي ابتعد عنها، وصرم الفراق حبله بينه وبينها، فهي مثل الظبية الناصعة البياض، مما يدل على جمالها وحسن منظرها، وكيف تعيش في ترف ونعيم، تتمتع بالدلال والنعيم، فهي مثل الظبية التي ترعى الأراك، وتأكل ثماره، بل تسفه، مما تدل على وفرته، فهذه المرأة تشبه تلك الظبية، مما يوحي به اجتماع هذه الثنائية على صورة من صور الجمال الفتان، حيث تجمع بين الجمال الرباني الذي وهبه الله في مخلوقاته، وتوفر النعيم المتمثل في الخضار، والذي يوحي بالحياة، والشعور بالراحة، مما يجعلها صافية الأنامل، براقة البشرة، وفي هذه الصورة تتكشف لنا صورة ذات عمق شعري، وخيال واسع، وذلك من خلال استخدامه لفظة (حرة الأنامل، ترتب سخاماً) فهذه المرأة ناعمة الأنامل مما يوحي بأنها لا تتناول إلا الأكل الطري، والذي تجده قد جهز من أجلها، مثل ما تسف ظبية الثمر والرويان الناعم، مما يجعلها تسفه فلا تجد صعوبة في بلعه، كما أن شعر المحبوبة والذي تجدل على متنيها، ذا اللون البراق الناعم كان نتاجاً لتلك التغذية والنعيم، "وتحمد العرب السواد في الشعر"[٢]، كما أن ثمر الأراك، كان نتاجاً لتلك الأغصان الكثيفة، ففي هذه الصورة، والتي رسمها لنا الشاعر من خلال اجتماع اللونين الأبيض والأخضر،

---

[١] ديوان لأعشى، ص ٥٣-٥٥، الهدال ماتهدل من الغصون، طفلة لينة ناعمة، السخام الشعر اللين، الخلال المدري وهو المشط.

[٢] إبراهيم، عبد الحميد "قاموي الألوان عند العرب"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، ١٩٨١م، ص٢٢٥.

نجد مدى تأثير هذه الثنائية في رسم الجمال والإحساس بالحياة والنعيم. وفي صورة مشابهة لهذه الصورة يقول الأعشى :

وَأَشــــرَبُ بِــــالرِّيفِ حتَّــــى يُقَــــا	لَ قَد طَالَ بالرِّيفِ مَا قَد دَجَنْ[1](بحر متقارب)
وَأَقــــرَرتُ عَينــــي مِــــنَ الغَانِيَــــا	تِ إمَّــــا نِكَاحــــاً وإمَّــــا أُزَنْ
مِــــن كُــــلِّ بَيــــضَاءَ ممكُــــورَةٍ	لهَــــا بَــــشَرٌ نَاصِــــعٌ كَــــاللَّبَن

ويجمع الشاعر بين ثنائية اللونين الأبيض والأخضر، وساعات اللهو، واللامبالاة، حيث يستمتع بالشرب في الريف، تلك الأراضي الخضراء، وخصوصاً في اليوم الممطر الجميل، حيث يستمتع الشارب بالأجواء الرائعة، ورائحة المطر، وبرودة الجو، بالرغم من أن اليوم الممطر يكون مظلماً إلا أنه كان وقتاً للهو، والسرور، إلا أن اللون يأخذ طابعاً نفسياً، على حسب حالة الشخص لذلك "قد تكون له أكثر من دلالة، وقد تكون له دلالات رمزية، متعارضة "[2] مما يزيد نشوة الشرب ليقرن هذه المتعة بالاستمتاع بالنساء، غير مبالٍ، أكان ذلك الاستمتاع حلالاً أم حراماً، مما يدل على المبالغة في تعدي الحدود والضوابط، ووصول الشاعر إلى أبعد ما يكون عن سيطرته على عقله، ومشاعره، متخيراً المرأة البيضاء، وكأن لون بشرتها لون اللبن الناصع البياض، وفي هذه الصورة يظهر الأعشى وكأنه يصف حالة الارتياح التي توصل إليها من خلال شرب الخمر، والتمتع بالنساء، مستخدماً اللونين الأبيض والأخضر علامة توحي بهذه النشوة والمتعة.

---

(١) ديوان الأعشى ،ص٦٧، الريف :أرض بها زرع ،دجن: أقام ،الممكورة ا:لممتلأة الأعضاء من اللحم.

(٢) عبد الحميد، شاكر "التفصيل الجمالي، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني" عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافة، الكويت، ع ٣٦٧، ٢٠٠١م.

ويقول أيضا:

وَإِذَا ذُو الفُـضُولِ ضَـنَّ عَلـى المَـو	لَـى وَصارتْ لِخِيمَهِا الأَخلاقُ[1] (خفيف)
وَمَـشى القَـومُ بالعِمـادِ إِلَـى الـرَّز	حَـى وأَعيـى المُـسيمُ أَيـنَ المَـساقُ
أخَـذُوا فَـضلَهُم هُنَـاكَ وَقَـد تَجـ	ـرِى عَلَـى فَـضلِهَا القِـدَاحُ العِتَـاقُ
فَـإِذَا جَـادَتِ الـدُّجى وَضَـعُوا القِـد	حَ وجُـنَّ الـتِّلاعُ والآفَـاقُ
لـم يَـزِدهُم سَـفَاهةً شـربَةُ الكـأ	سِ ولا اللهـوُ بيـنهُمُ والـسِّبَاقُ

وفي هذا النص يربط الشاعر بين ثنائية اللونين الأبيض والأخضر وبين وعادات العرب، تلك العادات المرتبطة بأسلوب حياتهم وتقاليدهم، فهم لا يتنازلون عنها، سواء أكان في وقت الشدة أم وقت اللين، فإذا جادت السماء، وكثر الخير وخضرت الأرض،وضعوا القداح وعدو لشرب الخمر، وبذل العطايا، فقومه أهل كرم وعطاء، في أيام الشدة واللين، حتى تلك الأيام التي يشح فيها كثير من الناس خوف الفاقة، إلا قومه يستمرون على العطايا كما يجري القدح الأبيض، في المسير على ما تعود من الفوز، وهنا إشارة إلى أن قوم الأعشى ، قد اعتادوا الفوز بالعادات الكريمة، وبذل العطايا، كما اعتاد حريف المسير على الفوز على خصومه، إلا أن هذا اللهو وشرب الخمر لم يؤثر عليهم ليسلبهم عاداتهم ومبادئهم، فقد جبلوا على هذه المبادئ والعادات الفاضلة.

وفي صورة أخرى لثنائية اللونين الأبيض والأخضر، يصور تقلب الحال وتبدله ، فمن النعيم إلى الخراب والدمار.

---

[1] ديوان الأعشى، ٢٦٣-٢٦٥، الخيم :الطبيعة والسجية، الرزحى: الإبل تهزل فلا تستطيع المشي ،الميسم: اسم فاعلمن أسام الماشية أرعاهافي المرعى، القداح: أسهم الميسر،الدجى :الأمطار، السباق: سباق الخيل.

يقول الأعشى:

أمـــــــسَى الثَّعالِـــــــبُ أَهلَـــــــهُ بَعَد الَّذينَ هُمُو مآبُـهْ[1] (كامـل مجـزوء)

مِــــــن سُـــــوقةٍ حَكَـــــمٍ وَمِـــــنْ مَلِــــــكٍ يُعَــــــدُّ لَــــــهُ ثَوابُـــــــهْ

بَكَـــــرَتْ عَلَيــــهِ الفُـــــرسُ بَعــــــدَ الحُـــــبشِ حَتَّـــــى هُـــدَّ بَابُـــهْ

فَتَـــــــراهُ مَهْـــــــدُومَ الأَعَــــــا لِـــــي وَهـــــو مَـــــسحوك تُرابُـــــهْ

وَلَقَـــــــــدْ أراهُ بغبطـــــــــةٍ فــــي العَـــيشِ مُخـــضراً جَنَابُـــهْ

في هذا النص يجمع الأعشى بين اللونين الأبيض والأخضر، ولكن بطريقة مختلفة، حيث يعبر بالبكور عن مدى الدمار الذي لحق بقصر(ريمان) [2] الذي أصبح مدمراً، وهو في هذا المشهد يعزي نفسه في شيخوخته والتي توحي بدنو أجله، فكم من أناس أصبحوا خبراً، بعدما كانوا في نعيم وترف من العيش، معبرا بكلمة (مخضراً جنابه) مما يدل على الرغد وحسن الحال، إلا أن الأيام قد غيرت هذا الحال، وكدرت العيش[3] إلا أن الشاعر قد استخدم وقت الصباح علامة على الهلاك والدمار، وتصبيح الأعداء، والقضاء على هذا النعيم. الذي كان يتمتع به هذا القصر ومن يسكنه. وفي صورة أخرى، قول الأعشى :

تَــــضيَّفَ رملــــةَ البقَّـــار يومـــاً فَبَـاتَ بتلـكَ يَـضر بُـهُ الجَليـدُ[4] (الـوافر)

يُكِـــبُ إذَا أَجَـــالَ المَـــاءَ عَنْـــهُ غُــــصُونُ الفَــــرْعِ وَالــــسَّدَلُ القَرِيــــدُ

فَأَصـــبَحَ يَـــنفُضُ الغَمَـــرَاتِ عَنـــهُ وَيَـــربِطُ جأشَـــهُ سَـــلِبٌ حَدِيـــدُ

وَرُحٌ كَالمُحَارِ مُوتَّدَاتٌ بِهَا ينضُو الوَغَى وَبِهِ يذُودُ

---

[1] ديوان الأعشى،ص٣٣٩ .

[2] ريمان قصر من قصور اليمن القديمة في ظفار.

[3] قال الأصمعي أباد الله خصبهم أي سعتم وخصبهم، وقال يريد باخضرارالجلدة الخصب والسعة، انظر "لسان العرب " مادة خضر، ج٤، ص١٢٢.

[4] ديوان الأعشى، ص٣٧٥، البقار: رمل بنجد أو بناحية اليمامة، يكب: يطأطأ رأسة، السدل: المسترسل المتهدل، القريد: الكثيب المجتمع بعضه فوق بعض، الغمرات: الشدائد، الجأش: اضطراب القلب عند الفزع، سلب طويل: يقصد قرنه، رح :صفه لأظلافه، المتوددات :ثابته في الارض، متمكنه منها بانبساطها، نضا الفرس الخيل: سبقها وتقدمها، لقى :الحرب، يجود :يدافع.

هنا يصف الشاعر الثور في صورة تقليدية كثيراً ما ترد في شعره، مما يدل على مدى تعلق الشاعر بالطبيعة، واستمداده للصور الشعرية من مكوناتها وأحوالها، فهذا الثور عند مداهمة الليل له، وإحساسه بالخوف، واشتداد المطر، لجأ إلى الأشجار الكثيفة، وكأن هذه الأشجار تحس بمعاناته وهمه، وتعينه على النجاة من قوة الليل وهطول الأمطار، حتى أصبحت أرضاً ذات خضرة، وأشجاراً كثيفة، مما جعلها ملاذاً لثور الوحش، فقد احتمى بأغصان الشجر الكثيفة، حتى ظهر الصباح ، فراح ينفض تلك القطرات وبقايا الجليد، فالصبح بإشراقه أعطى هذا الثور الأمل والإحساس بالحياة، بينما تلك الأشجار أمنت له المأوى والمسكن طول الليل البهيم الممطر. ويقول الأعشى :

وَإذَا تَجِــــيءُ كَتِيبــــةٌ مَلمُومَــــةٌ   خَرسَاءُ تُغشِي مَنْ يـذُودُ نِهَالَهَـا[1] **(الكامل)**

تَـــأوِي طَوَائِفِهَـــا إلَـــى مُخـــضَرَّةٍ   مَكْروهَـــةٍ يَخــــشَى الكُمَـــاةُ نِزَالَهَـــا

كُنْـتَ المُقَـدَّمَ غَيــرَ لاَبــسِ جُنَّــةٍ   بِالــسَّيفِ تَــضرِبُ مُعلمِــاً أبطَالهَـــا

في هذه الأبيات يستخدم الشاعر ثنائية اللونين الأبيض والأخضر، ويربطهما بمعاني القوة والشجاعة، فهذه الكتيبة والتي تبدو للناظر بأنها ذات لون أخضر؛ وذلك لكثرة الأسلحة وأجهزة الجيش[2]، إلا أنها لا تخيف الممدوح، بل إنه يحمل سيفه البراق متقدماً إليها، وكأن هذا السيف ببريقه ولمعانه قادر على كسر تلك القوة الضخمة والتجمع الكثيف في يد الفارس المغوار، الذي لا يهاب الموت، ولا يحسب له حساباً، وفي خضرة الكتبية تجتمع دلالتان: دلالة سلبية، ودلالة إيجابية، فالدلالة الإيجابية ظهور هذه الكتيبة بمظهر القوة والعنفوان لدى أصحابها، أما الدلالة السلبية فهي ما يظهر للخصم، بما يوحي بقوتها وسطوتها، ومدى جاهزية أصحابها للقتال، إلا أن هذا العنفوان والجبروت لا يلبث أن يتلاشى أمام الفارس الشجاع.

---

[1] ديوان الأعشى، ص٨٣، مخضرة: كتيبة خضراء لكثرة السلاح ،الكمى: الذي كمى نفسه بالسلاح أي استتر به،الجنة، الترس لأنه يجن صاحبه أي يخفيه ويستره، أعلمه: جعل عليه علامة وذلك بالطعن والجراح.

[2] والخضراء من الكتائب نحو الجأواء، ويقال :كتيبة خضراء للتي يعلوها سواد الحديد، وفي حديث الفتح: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبة خضراء، لسان العرب، مادة خضر، ج٤ ص١٢١.

تعدد الألوان

لقد كان لتعدد الالوان حضور بارز في شعر الأعشى، وذلك من خلال رسم الصور التي رسمهاه والتي استمدها من الطبيعة ، وخصوصاً البيئة التي عاش فيها، حيث عمد إلى جمع الألوان في النص الشعري الواحد، فلم يقتصر استخدامه لتعدد الألوان على الألوان المتجانسة بل جمع بين الألوان المتناقضة في نصه، كأن يجمع بين اللون الأسود والأبيض والأحمر والأخضر، وذلك من خلال دلالتيهما، الإيجابية، والسلبية. يقول الأعشى:

لنـا جُلَّـسانٌ عِنـدَهَا وَبَنفَـسَجٌ   وَسِيـسنبَرٌ وَالمرزَجُوشُ مُنَمنَمَا [1] (الطويل)
وآسٌ وخيـريٌّ ومـروٌ وسوسَـنٌ   إذا كـان هنـزمنٌ وَرُحـتُ مُخَـشَّمَا
وَشَاهـسفَرمْ وَاليَاسَـمِينُ وَنَـرجِسٌ   يُـصَبِّحُنَا فِـي كُـلِّ دَجْـنٍ تَغَـيَّمَا
وَمُـستُقُ سِـينينٍ وَوَنٌّ وَبَربَـطٌ   يُجَاوِبُـهُ صَـنجٌ إذَا مَـا تَرَنَّمَـا
وَفِتيَـانُ صِـدقٍ لاَ ضَـغَائنَ بَيْـنَهُم   وَقَـد جَعَلُـونِي فَيـسحَاهاً مُكَرَّمَـا

وتظهر لنا ثقافة الأعشى من خلال استخدامه للألوان المتعددة في النص الشعري، وخصوصاً ذكره لأسماء غير عربية من الرياحين والزهور التي نالت استحسان الشاعر وإعجابه، ولاسيما إذا كانت مكوناً من مكونات مجلس الخمر، مما يزيد البهجة، والسرور، والإحساس بالارتياح ، ويدل تعداده لهذه الرياحين والزهور، عن معرفته القوية بها كما تدل هذه الأسماء، وربط الشاعر لها بمجلس الخمر بأنه

---

[1] ديوان الأعشى، ص٣٤٣، الجلسان والبنفسج والسيسنبر والمرزجوش: أنواع من الورود والرياحين وكلها أسماء فارسية معربة، نمنمه زخرفه ونقشه وزينه، الآس والخيري والمرو والسوسن: كلها أنواع من الرياحين، الهنزمن: عيد من أعياد النصارى (معرب) ،مخشم: سكران شديد السكر خشمه الشراب (بالتشديد) تثورت رائحته في خيشومه، الشاهسفرم والياسمين والنرجس: أنواع من الرياحين، المستقة: آلة يضرب عليها (معرب) المون ضرب من آلات الطرب الوترية، البربط :هو المزهر أو العود، وكلها فارسي الأصل، الصنج: دوائر من النحاس تثبت في أطراف الأصابع ويصفق بها على نغمات موسيقية، فسيحاه: لم يعثرعليها محقق الديوان وأورد معناها في المعاجم هويمشي الفيسحي أي يباعد في خطوه.

كان مغرماً بمظاهر الترف ،حيث تمثل الصورة الحضارية في حياة الشاعر "فالجلسان والبنفسج وسيسنبر والمزجوش والأسى والياسمين والنرجس وشاهسفرم ومرد كلها أسماء للأزهار والرياحين ازدحمت في هذه الأبيات الخمسة وهي ألفاظ فارسية معربة والمستق وألوان والبربط والصنج آلات موسيقية أغلبها فارسية معربة"[١] كما شبه جو الخمرة الذي حف بهذه الأزهار والرياحين وآلات الطرب والرقص بعيد النصارى" هنزمن "مما يدل دلالة واضحة على تأثر الأعشى بالثقافة غير العربية، ومدى استيعابه لها، ليربطها بأجواء البيئة البدوية العربية، حيث يمثل الجو الغائم الممطر أجمل أوقات المتعة والسرور مع اختيار الوقت المناسب لهذه المتعة وهو وقت الصباح ، ولطالما ذكره في شعره وربطه بالشرب ومجالس الخمرة، و بأوصاف البيئة الفارسية لذلك ف"إن تصوير الأعشى لمجلس الشراب يعد أثراً واضحاً للحضارة الفارسية ، ليس في صوره فحسب، ولكن في ألفاظه أيضاً، فقد لاحظنا فيما سبق من خمرياته اختلاف هذه الصورة عن الطبيعة النجدية التي ولد فيها الشاعر، كذلك فإن ألفاظه تنم عن هذه الحضارة المكتسبة فأحياناً يكثر الشاعر من ذكر هذه الألفاظ الفارسية كثرة لافتة[٢]" فقد فتن الأعشى بأجواء الخمرة الفارسية، مما جعله يربطها في وصفه بأوصاف البيئة العربية ليلبسها صوراً أكثر جمالاً وروعة، وهنا نجد مدى تأثر الشاعر بالمناظر التي اكتسبها من خلال رحلاته وأسفاره في كثير من البلدان والأقاليم العربية والفارسية.

---

[١] الفريح، سهام عبد الوهاب، الأعشى ومعجمه اللغوي، ص٢٦-٢٧.

[٢] العمري، زينب عبد العزيز، "السمات الحضارية في شعر الأعشى "،ص٣٧٨.

ويقول أيضاً:

وَصَهباءَ صَرفٍ كَلَونِ الفُصُوص ... سَريعٍ إلَى الشَّربِ إكسَالُها[1] (المتقارب)
تريكَ القذَى وهيَ من دُونِه ... إذَا مَا تُصَفَّقُ جِريَالُهَا
شَرِبتُ إذَا الرَّاحُ بَعد الأصِيـ ... ـلِ طَابَت وَرُفِّعَ أَطلاَلُهَا
وَأَبيَضَ كالنَّجمِ آخيتُهُ ... وَبيَداءَ مُطَّرِدٍ آلُهَا
قَطَعتُ إذَا خَبَّ رَيعَانُهَا ... وَنُطِّقَ بِالهَولِ أَغفَالُهَا

وهنا يستخدم الأعشى تعدد الألوان وذلك في وصف الخمرة ، والأوقات التي تشرب فيه، فهي خمرة حمراء اللون تميل تلك الحمرة إلى السواد مما جعلها قوية التأثير في شاربها ، فمن شدة صفائها تظهر كأنها بيضاء مما يجعل الرائي يلاحظ ما بداخل الدن، ويمتزج هذا اللون في خيال الأعشى بالوقت الذي يشربها فيه وهو وقت الأصيل عند غروب الشمس ، ولعل هذا الوقت بألوانه المتداخلة لون الشمس الأصفر ، ولون الغروب المائل إلى الاحمرار ، وهو لون الشفق، ودخول اللون الأسود مع هذه الألوان يجعل الشاعر يستأنس بالخمرة أكثر يتذكر لونها فاجتماع هذه الألوان وتداخلها رسم صورة الانشراح والفرح والسرور في قلب الشاعر ، مما جعله يربطه باللون الأبيض والصفات الحميدة ، ليكتمل للشاعر إحساسه بالطمأنينة والانشراح، من خلال مصاحبته للرجل الأبيض، والذي يظهر كأنه النجم في بريقه، مما جعله يتحدى قسوة الصحراء ، ليقطعها متغلباً على أهوالها الموحشة.

---

[1] ديوان الأعشى،ص٢١٣،الصهباء :الخمر ، صرف: لم تمزج بالماء، الفصوص :جمع فص (بفتح الفاء) وهو حدقة العين، القذى: مايقع في العين والشراب من غبار ونحوه، صفق الشراب: حوله من إناء ليصفو ، الجريال: صبغ أحمر ، الراح :الخمر ، الأصيل :وقت غروب الشمس، رفعه: قدمه، الطلة (بالتشديد والفتح) الخمر اللذيذة، الروضة بللها الطل :وهوالندى، اطرد: الأمر تبع بعضه بعضاًواستقام، خب :طال وارتفع، الريعان: السراب، الأغفال :جمع غفل (بضم فسكون) وهي الأرض لاعلم بها.

ويقول:

وَأدكَـنَ عَـاتِقٍ جَحـلٍ سِـبَحلٍ   صَحْبَتُ بِرَاحِةِ شَرباً كِرَامَا[1] (الوافر)

مِـنَ اللاَّتِـي حُمِلـن عَلَـى الرَّوايَـا   كَـرِيحِ المِـسكِ تَـستَلُّ الزُّكَامَـا

مُشَعـشَعةً كـأَنَّ عَلَــى قَرَاهَـا   إذَا مَـا صَـرَّحت قِطعـاً سَـهَاما

تَخَيَّرَهـا أخُـو عَانَـاتَ شـهراً   ورجَّـي أولَهَـا عامـاً فَعَامَـا

يُؤمِّـلُ أَن تكُـونَ لَـهُ ثَـرَاءً   فَـأَغلقَ دَونَهـا وَعَـلا سِـوَامَا

فأعطينـا الوفَـاءَ بهَـا وَكنَّـا   نُهِـيُن لِمثِلِهَـا فِينَـا الـسَّوَامَا

كـأَنَّ شُـعَاعَ قَـرن الشَّمس فِيهَـا   إذَا مـا فـتَّ عَـن فِيهَـا الخِتَامَـا

وَبيـضَاءِ المَعَاصِـم إلـفِ لَهـو   خَلَـوتُ بِـشَكرِهَا لَـيلاً تَمَامَـا

ويظهر استخدام الأعشى للألوان أيضاً في وصفه للخمرة ، فهي توضع في دن أسود قد طلي بالقطران لتسد مسامه ، يصبحه في أول النهار ليشرب منه الخمرة، مشعشة مما يدل على تداخل ألوانها فأصبحت براقة وكأنها اختلطت بشعاع الشمس ، كما أنها خمرة معتقة يساوم صاحبه فيها وهو يغالي في ثمنها يتمنى أن يصيب منها الثراء فأعطى صاحبها ما يريد من المال مما يدل على جودة هذه الخمرة، ولا يزال الأعشى يقرن مجالس الخمرة واللهو بالنساء والغزل، ويجمع الألوان في صوره الشعرية مما يدل على أن اللون"إشارة دالة على وضع صحي أو نفسي أو انفعالي"[2] فبعد وصفه للخمرة، يذكر أوصاف محبوبته التي خلا بها، فهي امرأة بيضاء مدللة تحب اللعب ، في هذه الأوصاف نجد الأعشى قد جمع بين الألوان في النص الواحد، وكثيراً ما يكون اجتماع الألوان في وصف الخمرة ومجالسها ، ثم يربطها بأوصاف المحبوبة.

---

(١) ديوان الاعشى، ص٢٤٧، أدكن :هو الدن لأنه يطلى بالقطران، عاتق: قديم، جحل :السقا العظيم، سبحل: ضخم، الرزايا :جمع راوية وهو البعير أو البغل أو الحمار، المشعشعه: الخمر التي رق مزجها، صرحت:ذهب زبدها، السهام (بفتح السين): مخاط الشيطان وهو لعاب الشمس شي تراه كأنه ينحدر من السماء اذا حميت الظهيرة وقام قائمها، إلف له: معتاده ذلك.

(٢) محمد، أحمد رنا "الإشارة في البلاغة العربية" رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠١م، ص٥٦.

ويقول في وصف المحبوبة:

وَبِجيدِ مُغزِلَةٍ إلَى ... وَجهٍ تُزَيِّنُهُ النَّضاره[1] (مجزوء الكامل)
ومهاً تَرِفُ غُروبُهُ ... يَشفِى المُتَيَّمَ ذَا الحَرَاره
كَذُرَى مُنَوِّرِ أُقحُوا ... نٍ قَدْ تَسَامَقَ فِي قَرَاره
وغَدَائِرٍ سُودٍ عَلَى ... كَفَلٍ تَزَيِّنُهُ الوَثَاره
وَأرتكَ كفاً فِي الخضا ... ب ومِعصَماً مِلءَ الجِبَارَه

يصف الأعشى محبوبته التي اجتمعت الألوان في أوصافها، مما يزيدها جمالاً وروعة، فجيد المحبوبة يشبه جيد الغزاله في الطول والحسن، ووجهها الوضاح كأنه القمر، مما يدل على نعومتها وحسنها ، وأسنانها بيضاء مثل البلور تبرق ، لشدة صفائها ونقائها، ثم يعود لتشبيه الأسنان بأزهار الأقحوان، لأن أزهاره بيضاء، ووسطها لون أصفر، ومما يزيد هذا الجمال شعر المحبوبة الطويل ذو اللون الأسود وكأنه الليل، ومما يزيد العاشق اغراءً بالجمال، ذلك الخضاب الذي صبغت به يديها،" وتدرك المرأة ما يثيره خضابها في نفوس الرجال، وبخاصة إذا كان أكلف رخصاً مخضباً ، والبشرة بيضاء ناصعة البياض ، والخضاب أحمر زاهياً ، ولذلك نراها تحاول أن تظهر محاسنها هذه بالحركة والتلويح والإشارة"[2].

---

[1] ديوان الأعشى، ص٢٠٣، النظارة: الجمال، المها: البلور، ترف: تبرق، المتيم :الذاهب العقل، ذرى الشيء: عالية، منور: أخرج النور أو الزهر، الاقحوام: نبت طيب الرائحة، حوالية ورق أبيض ووسطه أصفر، تسامق: على وارتفع، قرارة الماء: مستقرة، الكفل: المؤخرة، الوثارة: كثرة اللحم والطراوة ، الجبارة: سوار عريض .

[2] الهدروسي، محمد مرعي، "تجليات اللون في شعر شعراء المعلقات"، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك،٢٠٠٢م، ص١٢٠.

ويقول:

وَلقَد أقطَعُ الخلِيل إذا لَمْ ... أرجُ وصلاً إن الإخاءَ الصِّداقُ[1](الخفيف)
بِكُميتٍ عَرفَاءَ مُجمرَةِ الخُـ ... ـف غَذَتَها عَوانةٌ وَفِتَاقُ
ذاتِ غَربٍ تَرمِي المُقدَّمَ بِالرِّدَ ... فِ إذَا مَا تَدَافَعَ الأَروَاقُ
فِي مَقيلِ الكِنَاسِ إذْ وَقَدَ اليَو ... مُ إذَا الظِّلُّ أَحرَزَتهُ السَّاقُ
وكَأَنَّ القُتُودَ والعِجلَةَ وَالـ ... ـوَفْرَ لَمَّا تَلاَحَقَ السُّوَّاقُ
فَوقَ مستبقلٍ أَضرَّ بِهِ الصَّيـ ... ـفُ وَزَرُّ الفُحُولِ والتَّنهَاقُ
أَو فَرِيدٍ طَاوٍ تَضَيَّفَ أرطَا ... ةً يَبيتُ فِي دَفِّها وَيُضَاقُ
أخرَجَته قَهبَاءُ مُسبِلَةُ الود ... قِرَجُوسٌ قُدَّامُها فُرَّاقُ
لم ينم ليلةَ التمامِ لِكي يُصـ ... ـبِحَ حَتَّى أضَاءَهُ الإشرَاقُ
ساهِمُ الوجهِ مِن جديلَةَ أو لِحـ ... يَانَ أَفنَى ضِرَاءَهُ الإِطلاَقُ
وتَعادَى عنهُ النَّهَارَ تُوارِيـ ... ـهِ عِرَاضُ الرِّمَالِ وَالدَّردَاقُ

ويستخدم الشاعر تعدد الألوان في وصف الرحلة وما يواجهه من المصاعب والمشاق ليختار الخروج إلى الصحراء والابتعاد عن ديار المحبوبة بعد أن هجرته، وانقطع وصلها فهو يركب ناقته مبتعداً عن العشيرة، تلك الناقة الدكناء مما يدل على أنها قوية اعتادت على السفر ومشاقه،يظهر خفها الشرر عندما يصطدم بالحجارة مما يدل على حالة الغضب والانفعال النفسي، الذي أشرك الشاعر ناقته فيه، وكأنها -أي الناقة- متفاعلة مع راكبها تحس بما يحس به، فتضرب الأرض بقسوة يتطاير من

[1] ديوان الأعشى، ص٢٦١-٢٦٣، الصداق: مصدر صادق ، كميت :حمراء تضرب للسواد، عرفاء: عالية السنام صار سنامها فوقها كالعرف، مجمرة: مجتمعه صلبه، عوانة وفتاق: مآن، الغرب: الحدة والنشاط، الرداف:العجز، الأرواق :جماعة الجسم وأرواق الليل أثناء ظلمته، الكناس :شجرة يأوي اليها الحيوان ليستظل بها، وقد اليوم :اشتد حره، القتود: الرحل، العجل :المزاده، السواق: جمع سائق وهو طويل الساق، زره :طرده وعضه، الأقهب :الذي فيه حمره فيها غبره، رجست السماء: رعدت رعداً شديداً وامطرت، الفراق :جمع فارق وهي الناقة يشتد بها المخاض ثم تلقي ولدها من شدة الوجع، جديله ولحيان :حيان، الضرو من الكلاب :جمعها ضراء، الإطلاق مصدر اطلق المواشي اي سرحها وارسلها، تعادى :تباعد النهار، الدرداق: دك صغير متلبد من الرمال.

خلالها الشرر ، لكن هذا العنفوان لا يلبث أن يهدأ، ليبدأ البحث عن الراحة تحت ظل الأشجار المخضرة، والتي كونت الظل، وذلك لشدة خضرتها، وكثافتها، حتى أن هذا اللون الأسود الذي تكون بفعل هذه الأشجار أصبح ملجأ للراحة وتفريغ الأحزان، فهو يستعين بهذه الناقة لمصارعة الهم والاكتئاب، و يلجا إليها عند اشتداد الليل وظلامه ، ليعتبرها بديلاً عن الصديق الذي هجره، ثم يعود إلى دلالة اللون الأسود الايجابية المتمثلة في الظل ، والذي تكون بفعل الأشجار ليقيه ، فهو مأوى له في الليل ، وظل في النهار إذ اشتد الحر ولهيبه ، كما أن هذه الناقة تزيد قوة ونشاطاً بعد أكلها النباتات وأوراق الشجر ، مما يوحي بأن اللون الأخضر المتمثل في أوراق هذه الأشجار والنباتات كان باعثاً للتفاؤل بالحياة والنشاط ، وكأن هذه الناقة حمار الوحش الذي يأوي لشجر الأرض حيث يهيئ له هذا الشجر الدفء والحماية حتى من السحابة المظلمة الحمراء التي تقصف بالرعد، ويسيل منها المطر ، فهي ليلة مخيفة ممطرة، باعثة للهم والخوف، لم يستطع هذا الحمار النوم فيها، إلا أن الصباح كان يمثل عامل الانشراح والخروج من هذا الخوف والحيرة، لكن هذا الإشراق لم يكتمل، بل حمل في طياته الخوف من خلال ظهور الصياد مصطحباً كلاب الصيد، ليعود هذا الثور إلى معاناته التي ما كاد أن يخرج منها، ليلجأ إلى كثبان الرمل محاولاً التخفي عن هذا الصياد وكلابه.

ويقول في أسباب هجر المحبوبة:

صدَّت هُرَيرَةُ عَنَّا ما تُكَلِّمنَا ... جَهلاً بأُمّ خُلَيدٍ حَبلَ مَن تَصِل؟[1](البسيط)
أَأَن رأَت رجلاً أعشى أضرَّ به ... رَيبُ المَنُونِ وَدَهْر مُفنِدٌ خَبِلُ؟
نِعمَ الضَّجيعُ غداةَ الدَّجنِ يصرَعُهَا ... لِلذَّة المرءِ لاَ جَافٍ ولا تَفِلُ
هِركَولةٌ فُنُقٌ دُرمٌ مَرَافِقُهَا ... كأَنَّ أَخمَصَها بالشَّوكِ مُنتَعِلُ
إذا تقَوم يَضُوعُ المِسكُ أصورَةً ... والزَّنبَقُ الوَردُ مِن أَردانِهَا شَمِلُ
ما روضةٌ مِن رياضِ الحَزنِ معشبةٌ ... خضراءُ جادَ عليها مسبلٌ هَطِلُ
يُضاحِكَ الشَّمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ ... مُؤزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبتِ مُكتَهِلُ
يوماً بأطيَبَ منها نَشرَ رَائِحَةٍ ... ولا بأحسَنَ منها إذ دَنَا الأُصُلُ

وقد استخدم الأعشى تعدد الألوان للربط بين أوصاف المرأة تلك الروضة المعشبة، فهذه الأوصاف قد أثارت في نفس الشاعر مشاعر الشوق والوجد والأسى، والإحساس بأن الجمال ليس جمالاً حسياً. لينتقل الشاعر إلى وصف ما هو أجمل ألا هو الجمال المعنوي الذي تتمتع به هذه المرأة العربية . "فالجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال، فتكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتسبت روحه من تلك الصفات"[2]من خلال تشابه هذه الأوصاف بين المرأة والطبيعة تبعث الارتياح في النفس في ذلك اليوم الغائم المطر كما تبحث الروضة المعشية الراحة

---

(1) ديوان الاعشى، ص١٠٥–١٠٧، الفند: الفساد، جافن: غلظ، تفن :منتن، هركولة: عظيمة الوركين، فنق: منعمه مترفة. درم العظم: واراه اللحم، الأخمص :مادخل من باطن القدم فلن يصب الأرض، الأصورة: جمع صوار _(بضم الصاد) وهو الوعاء الذي يحرق فيه المسك، الزنبق: نبات له زهر طيب الرائحة، الأردان جمع ردن (بفتحتين) وهو الغزل، شمل: منتشر، الحزن: المرتفع من الأرض، مسبل: أي مطر مسبل، كوكب الماء:بريقه، شرق: زاه، مؤزر: لابس إزار، مكتهل: قد بلغ وتم ، النشر: الرائحه، الأصيل: وقت الغروب.

(2) ابن القيم الجوزية، "وصفة المحبين"، دار الصفا ١٩٧٣،ص٢٢١، يرجع للمرجع.

لمن ينظر إليها، كما أن اثر الترف الواضح على جسمها ، والذي غطاه اللحم حتى كسا العظام، يقابل الخضرة التي اكتسبت بها تلك الروضة المعشبة من أثر المطر ، فالرعاية والترف بهذه المرأة يقابله هطول الأمطار على هذه الروضة مما يؤثر على جمال الموصوفين ولعل في استخدام المرأة للأطياب والرواح الجذابة يقابل تلك الزهور والورد التي اكتسابها تلك الروضة الخضراء "ويسترسل الأعشى في وصف هريرة واستحضار جمالها الفتان فيغدق عليها من لسانه العذب أوصافاً تجد ذلك الجمال وتستمد له من الطبيعة أجمل ما فيها من صور خلا بة، ليعقد له إكليلاً من الزهر والألق والأريج، وكأن الشاعر أحس بأواصر العلاقة الجمالية التي تجمع بين الطبيعة والمرأة ، تلك الأواصر التي تثير في النفس الشهوة وتحملها إلى أجواء ندية ترفل بالسعادة والارتخاء"[(١)].

من خلال هذه الأوصاف يظهر للقارئ كيف جمع الشاعر الجمال في صورة واحدة مما يدل على أن الإحساس بالحياة والارتياح المتمثل في المرأة والطبيعة قد ملك وجدان الشاعر وأحاسيسه وقد أعجب أبو هلال العسكري بهذا الوصف لفظاً ومعنى يقول "جميع ما مربي في هذا الفن متقارب في المعنى لا يفضل بعضه بعضاً إلا في القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو العرض فتركته، لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى ووصفاً وذلك قليل ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير فمن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر .

قول الأعشى :

ما روضة من رياض الحزن معشبة."....... [(٢)]

[(١)] قميمة، مفيد محمد، "الأعشى الكبير ميمون بن قيس شاعر اللذة والحياة"، دراسة تحليلية، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت،ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٦٩.

[(٢)] العسكري، أبو هلال "ديوان المعاني" شرحه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، لبنان، ج١، ط١، ١٤١٤-١٩٩٤م، ص٢٤٩.

ومما لاشك فيه أن الأعشى ابن البيئة البدوية فلا ريب أن يتأثر بالطبيعة وإيحاءاتها ليقرنها بأوصاف المرأة وما يتحدان فيه من الجمال الحسي والمعنوي وما يكسوهما من الألوان الزاهية التي توحي بالحياة والانشراح. ويجمع الشاعر بين الألفاظ الدالة على الحسن المؤدية إلى المعنى الجميل، فالجمع بين أوصاف المرأة المنعمة بالألفاظ الدالة على هذه النعومة، يربطه الأعشى بالألفاظ الدالة على حسن الطبيعة، ليكون المعنى جلياً، والصورة واضحة "من حيث إن الألفاظ إذ كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق"[1] .

[1] الجرجاني، أبي بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧١ أو سنة ٤٧٤) "دلائل الأعجاز" قرأه وعلق عليه، أبو فهد محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص٥٢.

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية لنصين من نصوص الأعشى

تتناول هذه الدراسة التطبيقية نصين من نصوص الأعشى ، فبعد دراسة الألوان في الفصلين السابقين، وبيان دلالتها، وذلك من خلال الأبيات التي تضمنت تلك الألون، حيث تم دراسة كل لون بمفرده، أو من خلال ثنائية مع لون آخر ؛ للكشف عن مدى توظيف الشاعر لهذه الألوان في رسم الصور ، يجدر بالباحث أن يقدم دراسة للألوان من خلال النص الواحد، للكشف عن مدلولاتها والمؤثرات، والحالات النفسية والاجتماعية، التي جعلت الأعشى يستخدم هذه الألوان في شعره، خصوصاً وأن الشاعر قد استخدمها بصورة مكثفة.

ومن خلال تتبع الباحث لورود الألوان في شعر الأعشى ، تبين له أن هناك عوامل عدة، ومؤثرات متنوعة سيطرت على أحاسيس الشاعر، وملكت وجدانه ومشاعره، وهذه العوامل قد لا تخرج عن أربعة هي:

١- البيئة التي عاش فيها الشاعر.

٢- المرأة التي أحبها الشاعر، وافتتن بها، فملكت أحاسيسه وسيطرت على مشاعره.

٣- ثقافة الشاعر، فقد كان كثير الترحال، طاف كثيراً من البلدان، فوصل إلى بلاد فارس، حيث ظهر هذا التأثير في ألفاظه وخصوصاً وصفه للخمرة، فقد وصل إلى بلاد الشام والعراق، كما وصل إلى اليمن.

وقد اختار الباحث هذين النصين لورود الألوان فيهما بكثافة، ولتنوع الصور التي رسمها الشاعر.

يقول:

وقـــــد طفـــــت للمـــــال آفاقـــــه عمـــان فحمـــص فأوريـــشلم[1](متقـــارب)
أتيـــــت النجاشـــــي فـــــي أرضـــــه وأرض النبـــــيط وأرض العجـــــم
فنجـــران فالـــسرو مـــن حميـــر فـــأي مـــرام لـــه لـــم أرم
ومـــن بعـــد ذاك إلـــى حـــضرموت فأوفيـــت همـــي وحينـــاً أهـــم

٤- الخمرة التي سيطرت على عقله وتفكيره، فأصبح مولعاً بها، ليقرنها بالمرأة، معبراً عن اللهو والمجون.

و النص، الذي بدأه الشاعر بذكر المحبوبة قد حوى ثلاث لوحات هي :

١- اللوحة الأولى : مطلع القصيدة، وقد استهله الشاعر بالتغزل بمحبوبتيه:سعاد وسعدى، وذكر أوصافهما، والشكوى من لوعة الفراق.

٢- اللوحة الثانية: وصف الرحلة، ومعاناته بالسفر، ووصف جمله الذي يقطع به الصحراء المقفرة والذي شبهه بثور الوحش.

٣- اللوحة الثالثة: وقد تكلم الشاعر عن أوصاف الرجل الكريم (إياس) ومكارمه، ونستطيع القول بأن هذه اللوحات الثلاث قد مزجها الشاعر بالألوان حتى أصبحت ذات صورة تشد السامع، وتأخذه في أجواء متعددة وكأنه ينظر إلى لوحة فنية، أتقن الرسام تركيبها واختار لها الألوان المناسبة والمعبرة مما يكشف لنا عن مدى القلق الذي يعيشه الشاعر والخوف الذي ينتابه والهلع الذي يتوجسه، من خلال إحساسه بالخوف الذي رسمه الفراق، يبدأ في مقارنته بين الأيام التي كان يعيشها في الماضي؛ أيام الشباب واللهو، وزمن الإعجاب

---

[1] ديوان الأعشى، ص٩١.

بالنفس وحب النساء له، وبين هذه الأيام التي داهمته فيها الشيخوخة، فزهدت فيه النساء حتى أصبح رث الثياب، ضعيف البنية، مما جعله محل العطف والشفقه يقول:

بَانَـــت سُـــعادُ وَأَمـــسَى حبلُهَـــا رَابَـــا وَأَحـدَثَ النَّـأيُ لِـي شَـوقاً وأوصَـابَا[١] (البسيط)

وَأجمَعَــت صُــرمَنَا سُــعدى وَهِجرَتَنَــا لَمَّـــا رَأَت أَنَّ رَأسِـــي اليَـــومَ قَـــد شَــابَا

في هذه القصيدة يتجلى لنا اللون الأبيض بدلالته السلبية في نظر الأعشى وارتباطه بالفراق، مما جعل المعاناة تزداد قسوة، والآلام تتجدد، فبعد أن كان الأعشى يلهو مع محبوباته أيام الشباب،وكن يرغبن في معاشرته، أصبحن يزهدن في القرب منه ،ولعل هذا الزهد والفراق كان حال جميع النساء اللواتي كن يعشقن مصاحبته، وذلك بعد أن ظهر الشيب في شعر رأسه موحياً بتقدمه في السن، فأصبح هذا اللون الأبيض مصدر قلق نفسي، مما "يجسد الشيخوخة وإعلام أفول الحياة وزوالها مع ما يحمله اللون من تشبع بالحالة النفسية المسكون بها الشاعر فلكل لون معنى نفسي يتكون نتيجة التأثر الفسيولوجي للون على الإنسان "[٢] فاللون الأسود المتمثل في شعر الرجل في سن الشباب يوحي بالقوة والنشاط والفتوة ، ومع تقدم السن فإن ظهور اللون الأبيض وتغير لون شعر الرأس، يكون موحياً بالشيخوخة والضعف ؛ مما جعل سعاد تبتعد عن محبوبها – الأعشى – لأنه لن يعود لسن الشباب بعد ظهور الشيب وتقدمه في السن، ليبدأ الأعشى في مقارنة الأيام، وما كانت تقدم له من أنواع المنفعة واللهو، ومحاولة النساء في إغرائه وجذبه إليهن، ولم يكن في حسبانه أن يأتي يوم يزهدن فيه ، مقابل ما كن يعرضن عليه من جمالهن.

---

(١) ديوان الاعشى، ص ٤١١، بانت: بعدت، الحبل: الوصال والعهد، راب: من الريب وهو الشك والظنة والتهمة، أوصاب :أوجاع، أجمعت :قررت، الصرم :القطيعة.

(٢) ربابعة، موسى، " جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى"، قطوف دانية مهداة إلى ناصر الدين الأسد، تحرير د. عبد القادر الرباعي، ج٢، ١٣٦٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عمان، ١٩٩٧.

يقول:

أيَّـــامَ تجلُـــو لَنَـــا عَـــن بـــاردٍ رَتِـــلٍ تَخَـــالُ نَكهَتَـــهُ بِاللَّيـــلِ سُـــيَّابَا[1](البـــسيط)

وَجيـــدِ مُغزِلَـــةٍ تَقـــرُو نَـــوَا جِـــذُهَا مِـــن يَـــانِعِ المَـــردِ مَـــا احلَـــولَى وَمَـــا طَابَـــا

ففي أيام الشباب كانت المحبوبة تذيقه من ريقها، وكأنه طعم البلح الشهي ،وهذا الريق شبيه بطعم البلح، ولعل الشاعر استخدم التشبيه بطعم البلح، بما توحى به لثة المحبوبة في لونها وتقاربها بلون البلح، ليجمع الشاعر بين الطعم واللون وتقاربهما ،فلم يشبه طعم الريق بالسكر، أو بالحلوى، ولعل هذا التشبيه قد استمده الشاعر من البيئة، فقد عاش في منطقة زراعية يكثر فيها زراعة النخيل وإنتاجها للتمور، حتى أن هذا الطعم كان سبباً في تغير الليل ودلالته السلبية إلى إلى الدلالة الإيجابية، فقد كان طعم الريق ألذ وأمتع في أحضان الليل المظلم، وقد أحبت العرب من المرأة السمع والطاعة، والمظهر الحسن، والرائحة الطيبة، فكانوا يوصون بناتهم عند تزويجهن بالاهتمام بما يعجب الرجل من التزين والرائحة (فالتفقد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح) [2] وفي هذا الصورة، تتكشف لنا مدى تغير نفسية الشاعر، فكم اشتكى من الليل وهمه، إلا أنه مع المحبوبة يكون عاملاً من عوامل الأنس والراحة، يزداد جمالاً إذا كانت المحبوبة صاحبة جسم براق، وبشرة ناصعة البياض، وكأن هذا الجيد جيد غزالة. ليتابع الشاعر تشبيهاته المستوحاة من الطبيعة، "فما أن شاهدها حتى راح يركز عدسة عينه، وأخذ يلتقط لها هذه الصورة المستوحاة من الطبيعة، فاقتنص ألوان صوره، مما يدور حوله، من جماليات المكان

---

(1) ديوان الأعشى، ص ٤١١، تجلو: تكشف، بارد: أي ثغر بارد، رتل :مستوٍ الأسنان حسن التفنيد، النكهة: رائحة الفم، السياب :البلح، مغزلة: ظبية غزال صغير، قرأ الشيء: تتبعه، النواجذ: الأنياب، يانع :مشرق نضير، المرد: ثمر الارآك الأخضر.

(2) الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه "العقد الفريد" (ت ٣٢٨هـ) تحقيق د. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٧، ط١، ص٩٠.

الطبيعي أو المتخيل"[1] فهذه المرأة في حنانها ورقتها أشبه ما تكون بتلك الظبية التي ترعى صغيرها تتبع به ثمر الأراك، فلا تأكل منه إلا الحلو والطيب، وعند مقارنتنا بين هذين البيتين والبيتين السابقين، تتكشف الحالة النفسية للشاعر بصورة أكثر وضوحاً، فالشيب كان عاملاً للهجر والفراق، وعدم المبالاة بمعاناة الشاعر وهجر محبوبتيه، أما أيام الشباب فقد كانت الرعاية واللطافة والحنان مبذولة من المحبوبة إلى أبعد صورها، حتى أن الأعشى كان يتمتع بعطف وحنان من محبوبته، مثل صغير الظباء الذي ينعم بالعناية من والدته، ويزيد هذا الجمال الجسدي روعة وحناناً تلك النظرات الرقيقة.

وَعَـــــينِ وَحـــــشِيَّةٍ أَغفَــــت فَأَرَّقَهَـــا   صَــوتُ الــذِّئابِ فَأَوفَــتْ نَحــوَهْ دَابَــا[2]

وهنا يرتبط الجمال الحسي والجمال المعنوي، من خلال دلالة اللون الأسود الايجابية؛ فظهور اللون الأسود في عيني المحبوبة أصبح موحياً بجمال المحبوبة ليشبهها الشاعر بعيني بقرة الوحش في اللون والاتساع ،وهذا من صفات المرأة الجميلة، ومما يزيد هذا جمالاً ، قوة الإحساس، فهي امرأة جميلة مترفة، إلا أنها قوية الحس نشطة، وكثيراً ما نجد الشاعر الجاهلي يقتبس أوصاف المرأة من خلال ما تمليه عليه الطبيعة البدوية، فيصف جمالها، ونقاوة بشرتها بلون الشمس "وعينها كعين المهاة، وجيدها كجيد الغزال والأسنان بيضاء كحبة البرد "[3] إلا أن هذه البقرة تصحو عند سماع صوت الذئاب.

---

[1] الهدروسي، محمد مرعي " تجليات اللون في شعر شعراء المعلقات العشر " ص ٨٤.

[2] ديوان الأعشى ص٤١١ ، وحشية :أي بقرة الوحش، أغفت :أتت نحوا الصوت، دابا :أي من دأب أي مضى واستمر.

[3] عودة، خليل،" صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة "، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ط(د.ت) ص٣٠٨

هِركَولَــةٌ مِثــلُ دِعــصِ الرَّمــلِ أَســفُلها مَكــسُوَّةٌ مِــن جَمَــالِ الحُــسْنِ جِلبَابَــا [1]

ومما يزيد هذه المرأة جمالاً اكتناز أطرافها باللحم، مما يدل على ترفها وتنعمها، حتى أنها مثل كثيب الرمل يزينها الجمال والحسن وأنها كسيت جلباباً من الحسن، فبما أن المرأة الجاهلية كانت تهتم بالعطور، وتتحلى بالحلي البراقة، يزيدها ذلك جمالاً وحسناً إلا أن معشوقة الأعشى تتمتع بالجمال الرباني، وهذه الصورة قد تكون لحظات الخيال، واستعادة الذكريات الجميلة حيث "إن الصورة نتاج لفاعلية الخيال وفاعلية الخيال لا تعني نقل العالم أو نسخه كما أسلفنا، وإنما تعني إعادة التشكيل، واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر، والجمع بين العناصر المتضادة أو المتباعدة في وحدة"[2] فجسمها الممتلئ باللحم يزيده صفاء البشرة الناعمة، وجمالها الطبيعي الجذاب حسناً مما يزيد الإعجاب والتمتع بها، إلا أن هذا الجسم الممتلئ باللحم لم يكن عائقا للجمال المتمثل في خفة الحركة فهي. يقول:

تُمِيــلُ جَــثلاً عَلَــى المَتنَــينِ ذَا خُــصَلٍ يَحبُــو مَوَاشِــطَهُ مِــسْكاً وَتَطيَابَــا [3]
رُعبُوبَــــةٌ فُنُــــقٌ خُمــــصَانَةٌ رَدَحٌ قَــد أُشْــرِبَتْ مِثْــلَ مَــاءِ الــدُّرِّ إشــرَابَا

فهنا تجتمع الأوصاف الحسية إلى جانب الأوصاف المعنوية المتمثلة في الأبيات السابقة إلا أن هذه المحبوبة سريعة الحركة لينة، تميل شعرها الأسود على المتنين فحين يجتمع اللون الأسود المتمثل في أجمل صورها وأروعها وقد طيبت بالمسك ، وأحسن الأطياب إضافة إلى امتلاء جسمها، مازالت تتمتع بالشباب بالإضافة إلى نحول بطنها، وجسمها كأنه يسيل بالعسل مما يدل على ترفها ونعومتها، وفي هذه الصورة المتكاملة للمرأة، يجتمع الجمال، فسواد العينين، ونقاء البشرة، واسوداد الشعر، إضافة إلى امتلاء الجسم واللطافة في الحركة، يجعلها امرأة ممتعة جذابة،

---

[1] ديوان الاعشى، ص ٤١١، هركولة :عظيمة الوركين ضخمه الخلق، الدعص: الكثيب.

[2] جابر، عصفور "الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب" المركز الثقافي العربي، بيروت، الحمراء، ط٣، ١٩٩٢، ص٣١٣.

[3] ديوان الأعشى، ص ٤١١، شعر جثل: غزير لين ، متناها: جنباها، يحبوا :من الحباء (بكسر الحاء) وهو العطاء أي يمنحه، مواشط :جمع ماشطة وهي الجارية التي تمشط الشعر، رعبوبة: ممتلئة الجسم، فنق: شاب ناعمه، خمصانه قميصة البطن والخمص الجوع، ردح :ثقلة الاوراك، أشرب اللون: أشبعه .

ولعل استطراد الشاعر في هذه الأوصاف، كان نوعاً لتصبير النفس، على ما سيواجهه في رحلته الشاقة والتي لا يتهيأ فيها من هذه المتعة والراحة إلى ما يخلد في ذاكرة الشاعر، فبعد الخروج من هذا الخيال يواجه الصحراء ليصفها بأوصاف القسوة والعناء، بقوله:

وَمَهمَــــــةٍ نـــــــازِحٍ قَفـــــــرٍ مَـــــــسَارِبُهُ   كَّلفــتُ أَعـــيَسَ تَحــتَ الرَّحـــلِ نَعَّابَـــا[١]

يُنبِـــي القُتُـــودَ بِمِثْـــلِ البُـــرجِ مُتَّــصِلاً   مُؤيَّـــــداً قَــــدْ أَنَــــافُوا فَوقَــــهُ بَابَــــا

لا تختلف معاناة الشاعر كثيراً في هذه الأبيات، عن معاناته مع محبوبته التي زهدت فيه، فهذه زادت المعاناة لدى الشاعر، فلم يجد بداً من اختيار ذلك الجمل الأبيض الذي خالطه سواد أو حمرة ليستعين به على قطع هذه الصحراء المقفرة، ولعل اختيار الأعشى لهذا الجمل الأبيض والذي تخالطه حمرة أو شقرة،يوحي بالقوة والتحمل ، فالبياض يوحي بالراحة والانشراح يساعد في توازن الحالة النفسية لدى الشاعر، أما اللون الأسود أو الحمرة، فقد توحي بالقوة، والاستعداد لمواجهة مخاطر الصحراء، لذلك نجد استخدام الألوان عند العرب حسب مدلالوتها[٢] فإذا اجتمع عامل الانشراح والراحة في اللون الأبيض، وصاحبه عامل القوة والإحساس بالتحمل المتمثلة في الجمل الأعيس، استطاع الأعشى أن يقف في وجه المخاطر التي قد يتعرض لها أثناء سفره بهذا الجمل وكأنه البرج لضخامة جسمه.

كَـــــأَنَّ كُــــورِي وَمِيـــــسادِي وَمِيثَرَتِـــــي   كَـــــسَوتُهَا أَســــفَعَ الخَــــدَّينِ عَبعَابَـــــا [٣]

أَلجَـــــاهُ قَطـــــرٌ وَشَــــفَّانٌ لِمُـــــرتَكِمٍ   مِـــــنَ الأَمِيـــــلِ عَلَيـــــهِ البَغْــــرُ إِكْثَابَـــــا

---

[١] ديوان الأعشى، ص ٤١١، مهمه: صحراء، نازح: بعيد، مساربة: مسالكة، أعيس: جمل أبيض يخالطة شقرة أو ظلمة، نعبت الإبل :مدت عناقها في سيرها، ينبيها: يدفعها، القتود :خشب الرحل، مؤيد :قو، أنافوا: رفعوا.

[٢] ذياب، محمد حافظ "جماليات اللون في القصيدة العربية" فصول م٥، ع٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٨٥، ص٤٢-٤٤.

[٣] ديوان الاعشى، ص ٤١١، الكور : الرحل ، الميساد والميثرة : فرش يوضع على الرحل ،عبعاب :الطويل التام الخلق ، شفان :ريح وبرد ،الأميل :الحبل من الرمل ،البغر : الدفعة الشديدة من المطر ،اكثابا : الجمع والصب .

ولاتـزال الرحلـة تمثـل هاجسـاً مخيفاًلـدى الـشاعر، لـذلك نجـده يحـاول التغلـب علـى هـذا الهاجس، فيستطرد في وصف جمله، الذي كساه بالوسائد والحشايا حتى أنه مثل ثور الوحش الضخم، وكثيراً ما نجد الشاعر الجاهلي يستطرد في وصف رحلته بأوصاف تزيد من قوتها وهيبتها، فنجده يقرن بين أوصاف جمله بعد تجهيزه وثور الوحش ذي الوجه الأسود المشرب بحمرة، والمتمتع بجسمه الطويل، ثم يبدأ الأعشى في وصف هذا الثور كيف يتعامل مع المشاق والمخاطر التي تواجهه أثناء الليل المخيف، فهذا الثور يعاني بسبب الليل، كما يعاني الشاعر أثناء سفره "فالرحلة عبر الليل والظلمة تمتد إلى ما لا نهاية حيث يكشف الليل عن ليل جديد تتبدد فيه الآمال وتتلاشى فيه الأحلام والأماني"[١]، فهذا الثور فعند إحساسه بالمطر، لجأ إلى الكثيب يحتمي به، لكن هذا الكثيب لم يوفر له الحماية التامة التي يبحث عنها هذا الثور، مما جعله يضطر إلى البحث عن مكان يوفر له الحماية من المطر الغزير، فقام بالتوجه إلى شجرة الأرطى. يقول:

وَبَـاتَ فِـي دَفِّ أَرطَـاةٍ يَلُـوذُ بِهَـا   يَجـرِي الرَّبَـابُ عَلَـى مَتْنَيـهِ تَـسكَابَا [٢]

لقد وفرت هذه الشجرة المأوى لهذا الثور، فالشجرة ذات اللون الأخضر، توحي بالحياة والجمال والدفء، حتى أن الماء لم يعد يؤذي هذا الثور، بل أصبح يستمتع به، وعندما نمعن النظر في هذه الصورة، نجدها تتشابه تشابهاً تاماً مع الصورة التي رسمها الأعشى في بيته (أيام تجلو لنا عن بارد رتل..... البيت) فلم يكن الشاعر عند لجوئه للمحبوبة يشعر بهم الليل وكدره، بل كان يتمتع به ويرى فيه الأنس والفرح، وكذلك ثور الوحش عندما لجأ إلى الشجرة شجرة الأرطى وجد الدفء والراحة، فلم يعد يهتم لظلام الليل، ولا للمطر الذي يهطل عليه، بل كان يتمتع به، فأصبح الماء مسكاباً على ظهره، فهنا جمع الأعشى بين المرأة والشجرة، في أن كلتيهما يعطي الخائف

---

[١] درابسة، محمود "تشكيل المعنى الشعري، قراءات نقدية في الشعر العربي"، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، دار جرير، ط١، ص٤٩.

[٢] ديوان الاعشى، ص ٤١٣، الدف: الجنب من كل شي، الأرطى: الشجر الضخم، الرباب: السحاب الأبيض.

الإحساس بالأمان والراحة، وينسيه الهموم والخوف، ألا ترى كيف سيطرت المحبوبة على مشاعر الأعشى، حتى أنه أصبح يتأمل الحياة في صورة المحبوبة. ويقول:

تَجلُو البَوَارِقُ عَنْ طَيَّانَ مُضطَّمِرٍ تَخَالُهُ كَوكَباً فِي الأُفقِ ثَقَّابَا [1]

هنا يصل الشاعر إلى رسم صورة جمله الذي يشبهه بثور الوحش الضخم، والذي يعكس ضوء البرق في الليلة المظلمة الماطرة ،كثيرة البرق ، ولعل الشاعر اختار هذا التشبيه، ليصف القوة التي يتميز بها جمله وهو يصارع متاعب الطريق ، وشدة بياضه التي لا يشابهها إلا ثور الوحش الذي يعكس ضوء البرق، حتى تمتد من السماء إلى الأرض ، لتؤثر على نظر الرائي بما يبعث القوة والهيبة.

وقد استخدم الأعشى ثلاثة أسباب ليدفع بها عناء الرحلة، وقسوة الصحراء، محاولاً إحياء الأمل والراحة في نفسه عن طريق هذه الأسباب، فالأعشى القائد، والجمل الأشهب، والتشبيه الدال على القوة والصبر ، مقومات حاول الشاعر من خلالها مواجهة الصحراء المقفرة، والليلة الموحشة، وشدة المطر ، وكأن الأعشى يرسم صورة للحرب يلتقي فيها صنفان كل منها مستعد للمواجهة. يقول:

حَتَّى إذَا ذَرَّ قَرنُ الشَّمسِ أوَ كَرَبَت أَحَسَّ مِن ثُعَلٍ بِالفَجرِ كَلاَّبَا [2]

يُشلِي عِطَافاً وَمَجدُولاً وَسَلهَبَةً وَذَا القِلاَدَةِ مَحصُوفاً وَكَسَّابَا

ذُو صِبيةٍ كَسْبُ تِلكَ الضَّارَيات لَهُم قَد حَالَفُوا الفَقْرَ وَاللأَّوَاءَ أحقَابَا

---

[1] ديوان الاعشى، ص ٤١٣، البوارق: السحاب الكثيرة البروق، طيان: جائع، مضطمر: منتحل: من الضمور، ثقاب: ثاقب مضيئ .

[2] ديوان الأعشى، ص٤١٣، ذر: طلع، كربت: كادت وقربت، ثعل: حيء من طي أشلى الكلبة على الصيد أغارة، مجدول: مفتول، السلهبه :الطويل، محصوف: مجدول محكم الفتل ، أطاف، ومجدول وسلهبه ومحصوف وكساب أسماء كلاب هذا الصياد، اللأواء: الشدة والمحنة ، أحقاب: جمع حقبة وهي المدة من الزمن .

إلا أن ظهور ضوء الشمس، كان فاصلاً في هذه المواجهة، فهذه الشمس كانت مصدراً للفرح والسرور ثم أصبحت مصدر إعلان بالخوف، فبعد أن انقضى الليل، وأشرق الصبح واستبشر هذا الثور بالنور صادفه الخطر المحدق، مما زاد من الحيرة والقلق، و "لقد لمست العتمة في نفس الشاعر تنطلق من أقصى درجات الأمن والفرح إلى أقصى درجات الخوف والحزن، وتتأرجح بينهما"[1] وبداية المواجهة بين هذا الثور وكلاب الصياد التي يصطحبها الصياد معه، وقد دربها وجهزها للصيد، وقد ذهب هذا الصياد للبحث عن قوته وقوت أولاده الذين ينتظرون ما يعود به والدهم من الصيد، صورة الصراع المرير مازالت تلاحق الأعشى، وترتسم في أبياته السابقة، فالصراع على البقاء والبحث عن أسباب الراحة والحياة مطلب جميع المخلوقات، وفي خيال الأعشى حتى الإنسان فإنه يبحث عن الراحة.

فَانـصَاعَ لاَ يَـأتَلِي شَـدّاً بِخَذرَفَـةٍ ... تَـرَى لَـهُ مَـن يَقِـينِ الخَـوَفِ إهـذَابَا [2]

وَهُـنَّ مُنَتَـصِلاَتٌ كُلُّهَـا ثَقِـفٌ ... تَخَـالُهُنَّ وَقَـد أُرهِقـنَ نُـشَّابَا

لا يزال الصراع مستمراً من أجل البقاء بين ثور الوحش وكلاب الصيد، إلا أن ثور الوحش عجز عن الهروب، وهذه الكلاب كأنها الرماح في سرعتها ولحاقها بهذا الثور، وهو يحاول الخلاص منها، قام بالمحاولة للخلاص، ولم تستمرهذه المحاولة، فقد انتهت بالتعب والإعياء مما جعل هذا الثور، يبحث عن طريقة للخلاص، وهي الثبات والمواجهة. يقول:

لأَ يـاً يُجَاهِـدُهَا لاَ يَـأتَلِي طَلَبـاً ... حَتَّـى إذَا عَقلُـهُ بعَـدَ الـوَنَى ثَابَـا [3]

فَكَـرّ ذو حَرِبَـةٍ تَحمِـي مَقَاتِلَـه ... إذَا نَحَـا لِكُلاَهَـا رَوقَـةُ صَـابَا

---

[1] شنوان، يونس "الليل في شعر ابن زيدون" جامعة اليرموك، ٢٠٠٢، ص٤.

[2] ديوان الاعشى، ص ٤١٣، انصاع: مضى وأسرع، خذرف: أسرع، هذب: أسرع، منتصلات :مسرعات تكاد تخرج من جلودها في عدوها، ثقف: حاذق خفيف فطن، لا تأتلي: لا تبطأ، الونا: التعب، ثاب: رجع .

[3] ديوان الأعشى، ص ٤١٣، اللأي: الشدة ، لا تأتلي: لا تبطئ، الونى: التعب، ثاب: رجع، ذو حربه: يعني الثوب، مقاتله :المواضع التي تقتل الاصابة فيها، نحى: قصد، كلى: جمع كلية (على وزن لقمة) روقة: قرنة، صاب :أصاب ولم يخطئ.

هنا يبدأ ثور الوحش باتخاذ القرار الأخير، وهو التصدي لهذه الكلاب ،فلم يعد قادراً على متابعة السير، ومحاولة الهروب، فبدأ بتجميع قواه، والاستعداد للمواجهة، ليستخدم قرنه المحدد وكأنه حربة قاتلة، يشترك مع الفارس الشجاع في أن كلاً منهما يحمل سلاحاً للمواجهة، إلا أن قرن هذا الثور يوحي بالخوف، والموت المحتوم، من خلال لونه الأسود، وحدته، وصلابته، وكأنه فارس يعرف مقاتل العدو، فهذا الثور قد حدد مكان الطعن في هذه الكلاب ،واختار الكلى مقراً للطعن، ليكون الموت محققاً والخلاص هدفاً لهذا الثور، وفي هذه الصورة ، نلمح أن الأعشى كان يصف القسوة والظلم، والتي قد لا يسلم منها البشر، مما جعله يبحث عن رجل يؤويه ويرفق بحاله ، وكأن هذا المشهد الدرامي يحكي موقفاً للشاعر مع مجتمع، ليفصح عن همه. يقول:

لَمَّـــا رَأَيـــتُ زَمَانـــاً كَالِـــحاً شَبِـــماً   قَـــد صَـــارَ فِيـــهِ رُؤُسُ النَّـــاسِ أَذْنَابَـــا [١]

يَمَّمـــتُ خَيْـــرَ فَتـــىً فِـــي النَّـــاسِ كُلِّهِـــمُ   الـــشَّاهِدِينَ بِـــهِ أَعـــنِي وَمَـــن غَابَـــا

لقد كرر الأعشى كلمة – رأيت – في أبياته كثيراً، إلا أنه هنا أصبح يميز تقلبات الزمان ،فهذا زمان كالح ، وكأنه وجه اللئيم العبوس، إلا أن هذا الزمان لا يهب إلا الظمأ والجوع كما تغيرت المبادئ والقيم، فأصبح الشرفاء في منزلة الأنذال، لا يستطيعون عمل الواجب ، مما جعل الأعشى يتوجه إلى إياس، وهنا يفضل الأعشى ممدوحه على بقية الناس، فليس هناك غيره، في ذلك الزمان الكالح، الذي تغيرت فيه القيم والمبادئ، وذلك بسبب الحاجة والفقر. يقول:

لَمَّـــا رَآنِـــي إِيَـــاسٌ فـــي مُرَجَّمَـــةٍ   رثَّ الـــشَّوَار قَلِيـــلَ المـــالِ مُنـــشَابَا [٢]

ويكرر الأعشى كلمة – رأى – وقد يدل هذا على أن الأعشى قد نظم هذه القصيدة بعد أن تقدمت به السن، ومما يدل على ذلك قوله في مرجمة ، والمرجمة الحفرة أو القبر، وربما قصد

---

[١] ديوان الأعشى، ص ٤١٣ ، كالح :عابس ، الشبم: البردان الجائع ، يممه :قصده ، الشاهد :الحاضر .

[٢] ديوان الأعشى، ص ٤١٣ ، إياس: قبيس الطائي ، المرجمه (بكسر الجيم وتشديدها) :الشدة من الرجم وهو القتل والقذف بالحجارة والطرد، رث :بال، الشواظ (بفتح الشين) الهيئة الحسنة واللباس، منشاب: مختلط الأمر.

الأعشى ضيق الحال والبؤس وأن الثياب الرثة والهيئة البائسة كانت دليلاً ينبئ عن الحالة التي عليها الأعشى، يخالطه الهم والكدر، فما كان من هذا الرجل الكريم إلى أن أثواه وأكرمه، يقول :

أثــــوَى ثَــــوَاءَ كَــــرِيمٍ ثُــــمَّ مَتَّعَنِــــي   يَــــومَ العَرُوبَــــةِ إذ وَدَّعــــتُ أصَــــحابا [(١)]

فقام بإكرامه، وإنزاله في دار إقامة، ومتعه بالشراب والطعام، وقد صادفت هذه الضيافة يوماً له فضل على سائر الأيام، وهو يوم الجمعة، في هذا اليوم الذي ودع الأعشى فيه أصحابه وخلانه، وفي هذا البيت صورة شبيهة للصورة السابقة المتمثلة في إيواء شجرة الأرطى لذلك الثور، وفيها دلالة على أن الخير موجود في جميع المخلوقات، كما أن الشجرة رمز للحياة والعطاء، فإن الرجل الكريم كذلك، يجد عنده الناس المأوى والحماية، حتى أن هذا الرجل يقدم أنفس ماعنده لضيفه، كما تقدم الشجرة أطيب الأكل من الثمروالغصون اليانعة؛ لذلك هنا يرسم الأعشى صورة للعطاء.يقول :

بِعنتْــرِ يــسٍ كــأنَّ الحُــصَّ لِــيطَ بِهَــا   أدمَــــاءَ لاَ بَكــــرَةً تُــــدْعَى وَلاَ نَابَــــا [(٢)]

لقد وهبه إياس ناقة ضخمة، فالرجل الكريم لا يعطي إلا من خيرة المال، فهذه الإبل تتمتع بالرعاية، حتى أشرق لونها من السمن، وأصبحت مثل الحص وهو الزعفران الأصفر، ربما المقصود أنها ناقة شديدة السواد ، "الصفر سود الإبل لا يرى أسود من الإبل إلا وهو مشرب صفرة، ولذلك سميت العرب سود الإبل صفراً "[(٣)] وأياً كان المقصود، فالواضح أنها ناقة من خيرة النوق اكتسبت هذه اللمعة، بسبب السمن والعافية، وأنها من خيرة الإبل، اشربت باللون الأبيض أو

---

(١) ديوان الأعشى، ص ٤١٣، ثوى بالمكان: أي أقام ، يوم العروبة: يوم الجمعة وهو من أسمائهم القديمة وهي تعريب أربا النبطية ، أو عروبنا السريانية .

(٢) ديوان الأعشى، ص ٤١٣، عنتريس: الناقة الصلبة الضخمة الوثيقة، الحص :الورس أو الزعفران، ليط: ألصق، أدما: أشرب لونها بياضاً أو سوادا ، البكرة: الناقة الصغيرة، الناب: الناقة المسنة.

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة "صفر،ج٧ ص٢٤٩ .

الأسود، وهذه الألوان المتعددة لهذه الناقة تدل دلالة قاطعة على شدة إعجاب الأعشى ببريق هذه الناقة ولمعانها.

ويقول:

وَالرِّجْــلُ كَالرَّوضَــةِ المِحــلاَلِ زَيَّنَهَــا نَبــتُ الخَرِيــفِ وَكَانَــتْ قَبْــلُ مِعْــشَابَا [(١)]

ويستمر الأعشى في وصف عطايا إياس له، فقد أهداه قطيعاً من الإبل، ولشدة جمالها، كأنها روضة جاد عليها الخريف بالمطر ،فهي ذات عشب، وربما اختار الأعشى هذا اللون لأن العرب تقول للأسود أخضر، فالإبل لا يوجد بها لون أخضر، لكنها لشدة سوادها قد تميل للخضرة، كما أن لون الكتيبة تصبح خضراء، لشدة سوادها مما عليها من الأسلحة يقال لها كتيبة خضراء " ويقال كتيبة خضراء للتي يعلوها سواد الحديد" [(٢)] كما أن اللون الأخضر يبعث على الارتياح، والإحساس بالحياة والأمل، فهذا الكريم يتوافق مع هذه الإيحاءات الإيجابية، بينما اللون الأسود يكون في الغالب له دلالاته السلبية، مما جعل الأعشى يختار اللون الأخضر ليصف به هذه الإبل التي منحه إياها إياس، ليستطيع نسيان ما مر به من الهموم، والأحزان التي كانت تطارده طول أيام حياته، إلى جانب الرحلة الشاقة، التي كان يتغلب عليها بناقته، وكثيراً مانجد الأعشى يستعين بناقته على التغلب على الصحراء المقفرة، ومواجهة المخاطر التي كانت تعترض طريقه، وظلمة الليل، إلا أنه أصبح يمتلك قطيعاً من خيرة الإبل، يزيدها لونها الزاهي جمالاً، ويشعره بالإحساس بالراحة، والطمأنينة، رغم فقده الأمل في كثير من الناس، وخصوصاً، المرأة التي كانت توفر له

---

(١) ديوان الاعشى، ص ٤١٥ ، الرجل: القطعة العظيمة من الجراد ، الروضة: المكان التي يستنقع فيه الماء فيكثر عشبه ويزكو نبته ، المحلال: التي يحل بها الناس كثيراً لخصبها وجمالها ، معشاب: كثيرة العشب .

(٢) ابن منظور "لسان العرب" مادة خضر ، ج٥ ، ص٨٨ .

يكافيء إياس بخير مما أعطى.

يقول :

جَــزَى الإلــهُ إيَاســاً خَيْــرَ نِعمَتِــهِ　　كَمَــا جَــزَى المَــرءَ نُوحــاً بعَــدَمَا شَــاباً [1]
فِــي فُلكِــهِ إذْ تَبَــدَّاهَا لِيــصنَعَهَا　　وَظَــلَّ يَجمَــعُ ألوَاحــاً وَأَبوَابَــا

ثم تجلى صورة الإعجاب، وأحوج ما يكون إليه الإنسان وهو في سن المشيب ، تلك السن التي هجرت فيه الأعشى صواحبه ،وقد مر بنا هذا في مطلع القصيدة ، وربما كانت هذه الصورة تلاحق الأعشى ليأتي متعلقاً بالله ثم بالأمل،وأن الذي جزى نوحاً وألهمه أن يصنع الفلك في سن المشيب ، وهي سن الضعف قال تعالى (وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) [2] بأن يجزي إياس خير الجزاء، وأن هذا العمل يجب أن يسبق بالأسباب ،التي تعمل على إنجاح هذا العمل ليكتمل.

من خلال هذه الدراسة الموجزة لهذه القصيدة ، نجد كيف لعبت الألوان دوراً هاماً في نفسية الشاعر، سواء بدلالتها الإيجابية أو السلبية، حيث بدأها الشاعر باللون الأبيض، ونظرته المتشائمة لهذا اللون المتمثل في شعر الرأس ومقارنته بسن الشباب، ثم وصف الرحلة، شبه جمله بحمار الوحش، وذكر كيفية الصراع للبقاء، ثم العودة للتعلق بالأمل من خلال عطايا الرجل الكريم إياس، ثم الدعاء لهذا الرجل الكريم، كل هذه الصورة كانت تكشف عن نفسية الأعشى تجاه مجتمعه، ونظرته للحياة .

---

[1] ديوان الأعشى، ص٤١٥، إياس :هو إياس بن قبيصة الطائي ، الفلك: السفن ،تبداها: بدأها وأنشأها.

[2] القرآن الكريم – [سورة هود: آية ٣٨]

النص الثاني:

وفي هذا النص يبدأ الشاعر بالفخر بنفسه ومدحه (قيس بن معد يكرب) في هذه القصيدة حيث استخدم الشاعر الألوان في رسم الصورة، كما فعل في قصائده، فلم يكن يخرج في قصائده عن – وصف الرحلة – وصف المرأة – وصف الخمرة – وصف الرجل الكريم، وقد احتوت هذه القصيدة على ثلاث لوحات هي:

١- اللوحة الأولى: الفخر والمدح، وقد بدأ الشاعر الفخر بنفسه، ثم مدح (قيساً) ووصف كرمه، وحسن ضيافته.

٢- اللوحة الثانية: وصف الخمرة، ومجالسها، وسماره وندمائه، وهم أبناء قبيلته (بكر بن وائل)، وما هم عليه من الأنفة والعزة، ووصف القباب التي يسكنونها، الموحية بالهيبة ووصف أجسامهم، وإقامتهم على الحرب.

٣- اللوحة الثالثة : وصف الناقة، وبيان قوتها ونشاطها وكأنها من حمر (عاقل) الذي رعى الروض.

٤- اللوحة الرابعة : الفخر بنفسه وبيان سطوته وقوته، والفتك بالأعداء.

هَــــل أَنــــتَ يَامِــــصلاَتُ مُبْــــ ــتَكِرٌ غَــدَاةَ غَــدٍ فَزَاحِـل [1](كامــل مجــزوء)

يبدأ الأعشى قصيدته، بأسلوب الاستفهام –هل–مخاطباً نفسه – كيف يعتزم الرحيل، وهو ينعم بكرم الضيافة، وكثيراً ما نجد هاجس الرحيل يؤرق الأعشى، ففي هذا البيت يستفهم الشاعر عن سبب الرحيل، الذي عزم عليه وجهز رحله، وكما اعتاد البدوي على الرحيل في أول النهار، فإن الأعشى، قد عد العدة للرحيل في أول النهار، لكن هذا الرحيل لم يكن له مبرر، فبدل أن يكون

[1] ديوان الأعشى ص٣٩٧ ، مصلات: الرجل الشجاع ، مبتكر : خرج في أول الصباح، زحل: تنحى وبعد.

أول النهار –الصباح–محل السرور والتقاء الأصحاب ،والذهاب الى الصيد وشرب الخمر، كما اعتادالشاعر إلا أنه في هذا الموقفقد تغير، فقد أصبح يعلن عن الافتراق، وهذا الرحيل غير مبرر، ولم تكن له أسباب أو دواعٍ، يكشف عن حالة الاطمئنان والارتياح، التي كان يعيشها الأعشى، في كنف ذلك الرجل الكريم والذي يهيئ لضيوفه سبل الراحة، والأمن من العدو، فهذا –قيس ين معد يكرب – رجل حرب وقوة ، مما جعل الأعشى يصفه، بقوله:

إنَّــــا لَــــدَى مَلِــــك بِــــشَبْـــــوةَ ماتَغِــــبُ لَــــهُ النَّوافِــــلْ [١]

إن هذا الملك، الذي يسكن بشبوة وهي أحدى قلاع اليمن ليس ضعيفاً ولا بخيلاً، بل إن عطاياه لا تنقطع عن ضيوفه. كريم لمن جاوره، يحسن ضيافته وجواره، مما جعل الأعشى يعزف عن الرحيل إلى بلد آخر، ولما أغدق هذا الملك الكريم في الإحسان والعطايا، فما كان من الأعشى إلا أن يمدحه بأجمل المدائح "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان "[٢]. ويقول:

مُتَحَلِّــــبِ الكَفَّــــينِ مِثْــــلَ البَــــدرِ قَــــوَّال وَفَاعِــــلْ [٣]

هنا نجد الأعشى يستخدم اللون الأبيض بأجمل دلالاته، ليربطه بالكرم والنقاء، مستخدماً كلمة –متحلب– وهذا دليل على ديمومية الكرم والعطاء، إلا أن هذا الكرم يصاحبه صفاء السريرة، ونقاء الطبع، وكثيراً ما تصف العرب الرجل الكريم بقولهم : كثير رماد القدر، إلا أن هذا التعبير يدل على الكرم فقط، أو معطاء، أو واهب ،لكن اختيار الشاعر لهذه الكلمة كان أجمل وأروع ،

---

[١] ديوان الأعشى ص٣٩٧ ،شبوة: بفتح أوله وسكون ثانية وفتح الواو أسماء العقرب وهي من حصون اليمن في جبل ريمة " وقال الأزدي : شبوة في طرق العراق في قوله أبن مقبل حيث قال

منعواها بين أعلى شبوة   وقصور الشام بالضرب الجذم

ولأرجح أنها بلدة من اليمن ، الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله "معجم البلدان"، دار صادر، بيروت، ١٧٧، المجلد ٣، ص٣٢٣. ماتغب أي لا تتأخر ولا تنقطع ، النوافل الهبات والعطايا .

[٢] سورة الرحمن أية رقم ٥٩

[٣] ديوان الأعشى ،ص٣٩٧،

حيث ألصق الصفات الحسنة التي تدخل السرور والبهجة إلى نفس السامع ، وبما أن العرب تطلق على " الأبيضين الشحم واللبن " [1] فلعل الممدوح كان يكرم ضيفه بهذين الصنفين من الطعام ،ليربط الأعشى صفات هذا الطعام بصفات – قيس بن معد بكر– ثم يشبهه بالبدر لعلو مكانته، وصفاء وجهه ،وأنه لم يكن يبغض الضيوف أو يمل منهم، ولو طال مقامهم، كما أنه يفك الكرب ويغيث المستجير ، يفعل ما يقول ، وينجد المضطهد. كما أن الفعل الذي يحبه الناس يقرن بالبياض ومنه قول العرب "هذا منك عمل أبيض أي نبيل كريم"[2].ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

أشم أبيض فياض يفكك عن أيدي العناة وعن أعنافها الربقا [3]

ومما تقدم يظهر أن الأعشى كان مستنجداً – بقيس مما جعله يصفه بهذه الصفات ويلجأ إليه، مما يشعر القارىء بلهجة الخوف التي توحي إليها الكلمات التي اتخذهما الشاعر في البيتين السابقين ،وهذه الكلمات (ماتغب له النوافل – قوال وفاعل) ويربط الشاعر صفات القوة بصفات الكرم المتمثلةفي عطايا هذا الرجل الكريم ، فهذه العطايا ليست كغيرها. يقول:

الواهِبِ المِائَةَ الصَّفَا يَا بَينَ تَالِيَةٍ وَحَائِلْ [4]

ويسترسل الأعشى في استخدامه اللون، كأداة تدل على مدى كرم الممدوح ،فهو يهب أفضل ما عنده من الإبل، فيهب المئة من الإبل، غزيزة اللبن، ولم يقتصر الممدوح على وهبه الإبل

---

(1) أبن منظور ،لسان العرب ، ج٢ ص١٩٠

(2) النويهي، محمد "الشعر الجاهلي: منهج في دراسته وتقويمه" دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، ص٦٣٦.

(3) ديوان " زهير بن أبي سلمى "اعتنى به وشرحه ،حمدو طماس ، دار المعارف ، بيروت ،لبنان ،ط٢، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٠م ص٣٧ .

(4) ديوان الاعشى ، ص ٣٩٧، الصفايا :جمع صفية وهي الناقة غزيرة اللبن ، التالية :التي يتبعها تلوها والتلو (بكسر فسكون) ولد الناقة يفطم فيتلوها أي يتبعها ، الحائل: التي لم تحمل .

التي تحلب ، بل وهب الأعشى تلك الإبل الصغيرة في السن ،ليقوم بتربيتها والاستفادة منها مستقبلاً، وبعد هذا الكرم والإحساس بالطمأنينة والسرور، وبعد أن توفرت أسباب الراحة والنعيم، والشعور بالأمان وعدم الخوف من المستقبل، وعدم الاكتراث بالأعداء ،أحس الأعشى بتهيؤ الوقت للمتعة، وعدم المبالاة وهذا لا يتسنى إلا بشرب الخمر، والتلذذ بها، ليبدأ الشاعر في وصف هذه الخمرة، ومحل شربها، وكيف ومن أين جلبت، مما يدل على جودتها، وأنها خمرة جهزت للشرب، وانتقيت انتقاءً. ومما يزيد هذا الموقف أنساً تلك النساء اللواتي جلبن من من بلاد الفرس، وكابل، ومما يدل على حسنهن. يقول:

وَلَقَـــد شَـــريتُ الخَمـــرَ تَـــر كُـــضُ حَولَنَـــا تُـــرْكٌ وَكَابُـــلْ [1]

كَـــدَمِ الـــذَّبِيحِ غَرِيبَـــةٌ مِمَّـــا يُعَتِّـــقُ أَهـــلُ بَابِـــلْ

ولا يزال الأعشى يتمتع بالنعيم في ظل قيس بن معد يكرب ،حيث تتوفر له الخمرة، والنساء الفارسيات، وتلك الخمرة التي جلبت من كابل معتقة، لذيذة الطعم يلعب اللون الأحمر دوره في لذتها، ونشوتها وتتمتع لشاربها فهي كدم الذبيح، مما يدل على صفائها، فالدم في داخل الجسم يتمتع بالصفاء والنقاء، لا يخالطه كدر أو شوائب، لأنه إذا خالطه من غير جنسه فإنه يسبب تلوث ذلك الدم، مما قد يصيب صاحبه بالأمراض، والأسقام ،وكذلك الخمرة، إذا خالطها ما يشوبها، فإنها لا تعطي تلك الأهمية في الذهول والمتعة، وفي كلتا الصورتين يجتمع عامل واحد، فالدم هو مصدر الحياة في جسم الإنسان، و الخمرة عند شربها، تسيل في الأوردة والشرايين فتخالط الدم،

---

[1] ديوان الأعشى ، ص ٣٩٧، الترك أو التركستان :جيل من الناس يسكنون في حوض نهر سيحون وجيحون شمال فارس ، كابل: بلد في أطراف فارس الشرقية مما يلي الهند كان يسكنها قوم من الترك ، الركض: ويقصد به الرقص، غريبة: منقولة من موطنة ، بابل: ممكلة قديمة ذات حضارة عظيمة وهي كذلك اسم مدينة من مدنها العظيمة كانت في نواحي الكوفة والعرب ينسبون إليها الخمر والسحر . أنظر الحموي، ياقوت، "معجم البلدان"، م٤، ص٤٤٧، ج١، ص٣٠٩.

وتتفق معه في اللون والصفاء"كما أن اللون الأحمر رمز الغواية الجنسية والجمال"[١] وهذا ما يزيد الشارب راحة وانشراحاً ويتشربها الجسم كما يتشرب الدم ويستخدم الأعشى، وصف الخمر للتهيئة ، قبل الانتقال إلى أوصاف الممدوح قائلاً. يقول:

بَاكَرْتُهَا حَولِي ذَوُوالـ آ كَالِ مِن بَكرِ بنِ وَائِلْ [٢]
أَهلِ القِبَابِ الحُمرِوَالـ نَّعَمِ المُؤبَّلِ وَالقَنَابِلْ

يمثل الصباح وقت الإشراق الإحساس بالفرح والسرور، فهو أحد الأوقات المفضلة لشرب الخمر، لاسيما إذا كان مجلس هذه الخمرة عامراً بالرجال الشجعان أهل الهيبة والفخر من قوم أصحاب عزة وشرف وهم آل بكر بن وائل ومما يزيدهم هيبة تلك القباب الحمر ، حيث " جعل القباب الحمر كناية عن السيادة "[٣] حيث يعبر اللون الأحمر عن المكانة الاجتماعية والسيادة التي يتمتع بها هؤلاء الرجال ، فهذه القباب الضخمة ، والتي توحي بالخوف للعدو ، تنبئ عن الرجال الذين يسكنونها ، واختيارهم للون الأحمر مما يزيدهم هيبة لأن اللون "الأحمر رمز للخطر "[٤] .

يقول:

كَم فِيهِمُ مِن شَطبَةٍ وَمُقَلِّص نَهْدِ المَرَاكِلْ [٥]
ضَخْمِ الجُزَارَةِ سَابِحٍ عَبْلٍ يُضَمَّرُ بالأَصَائلْ

---

[١] الفيفي ، عبدالله بن أحمد "الصورة البصرية في شعر العميان " دراسة نقدية في الجمال والأبداع كلية الأداب جامعة الملك سعود ،ط١ ١٤١٧هـ /١٩٩٦م ص١٥

[٢] ديوان الأعشى ، ص ٣٩٧، ذوو الآكال :سادات الأحياء ، النعم :الأبل ، مؤبل :قد جعل قطيعاً قطيعا ، القنابل: جمع قنبلة وهي جمع من الأبل .

[٣] ديوان ، " النابغة الذبياني " تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم "، دار المعارف ، القاهرة ،ج،م،ع،ط٢ ص١٠٠، في قوله كوهم منعوها من قضاعة كلها ومن مضر الحمراء عند التغرر

[٤] الفيفي ، عبدالله " الصورة البصرية في شعر العميان " ص١٥

[٥] ديوان الأعشى ، ص٤٩٩، الشطبة: الفرس السبطة اللحم ، مقلص: طويل القوائم ، نهد المراكل: واسع الجوف عظيمة ،والنهود: البروز ، المركل :(بصيغة اسم المكان) حيث تصيب رجل الراكب من الدابة اذا ركلها واستحثها برجله ، الجزارة: اليدان والرجلان ، سابح :سريع ، عبل :ضخم ، ضمر الخيل: ربطها وأكثر مائها وعلفها حتى تسمن ثم قلل مائها وعلفها مدة وركضها في الميدان حتى تهزل وتضمر ، ومدة التضمير عند العرب أربعون يوماً، الأصائل جمع أصيل وهو ما بعد المغرب .

إضافة إلا ما يوحي به اللون الأحمر المتمثل في لون القباب، تلك الخيل التي يمتطيها الفرسان فهي خيول قليلة اللحم، متناسقة الأعضاء طويلة القوام، بارزة المقدمة، سريعة الحركة، تبدو وكأنها تسبح في الفضاء، إضافة إلى ضخامتها، إلا أن هذه الضخامة، لم تمنعها من النشاط والسرعة، فهي خيل ضامرة أعدت للحرب، وقد اختير لها الوقت المناسب للتدريب، وهو وقت الغروب، عند احمرار الشمس، وهنا نجد الأعشى قد ربط بين اللون الأحمر المتمثل في لون القباب الحمر في البيتين السابقين، ووقت الاستعداد والتدريب المتمثل في ساعات الأصيل، ولعل هذا الوقت كان عند العرب من أفضل الأوقات لتدريب الخيل والسباق كمى في قصة سليمان عليه السلام قال تعالى "وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ"[1]. يقول:

وَهُـــمْ عَلَـــى جُـــرْدٍ مَغَـــا ... وِيـــرِعَلَيهِنَّ الرِّحَائِـــلْ [2]

وهنا يجمع الأعشى بين الألوان واللطافة، والرقة في الألفاظ ، فهذه الخيل جرد، مما يزيد سرعتها، ولا تخاف الموت، وتكسوها السرج من الجلود، ليوافق لونها مع لون السرج، مما يزيد أناقتها، وانسيابيتها في الحركة، متعجباً من هذه الخيل" وهو يبدي تجاه الخيل في كل تلك الصور مشاعر لطفيهة،فيها الاهتمام والإعجاب والرفق"[3] لأن الحرب، سوف يكون لها تأثير في تغير صورة تلك الخيول الجميلة، والأنيقة ،فإذا حمى الوطيس، واشتدت المعركة فإنها ستصبح.

---

(1) القرآن الكريم، سورة ص، الآية ٣٠-٣٢.

(2) ديوان الأعشى ، ص ٤٩٩، جرد: جمع أجردوهو القصير الشعر ، مغاويرها: جمع مغوار ، الرحائل :جمع رحالة (بكسر الراء) وهو السرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشديد .

(3) الرباعي، عبد القادر " الصورة الفنية في شعر أبي تمام " نشر بدعم من جامعة اليرموك ، أربد –الأردن،ط١، ص٥٧

يقول:

شُــــــعثٍ يُبَـــــارِينَ الأَسِنَّـــــــــ ـــــــــــةَ كَالنَّعَامَـــــــاتِ الجَوَافِـــــــلْ [١]

يَخْــــرُجْنَ مِـــــنْ خَلَــــلِ الغُبَــــا عَوَابِـــــــساً لُحُــــــقَ الأَيَاطِـــــــلْ

وهنا تتغير هيئة الخيول، فبعد صفاء لونها قبل المعركة، أصبحت تعلوها الغبرة، وهي من الألوان الثانوية، الدالة على اللون الأسود فهي مرحلة من تغير اللون تلي اللون (الأطلس) وقد عبر العرب بألفاظ عدة تدل على اللون الأسود منها " أقهب، وقهب، وعبّروا عن اللون بين السواد والغبرة بلفظ : أطلس "[٢] وفي مقابل هذا التغير اللوني لهذه الخيل، صمودها، ومواجهتها للأسنة البراقة مما يجعل هذه الخيل أكثر وضوحاً، بحيث يتضح للرآئي رؤية الخيل في مواجهة العدو، وصمودها في المعركة، لكن هذا الموقف لا يخلو من إحياء الخوف، والرعب في قلوب هذه الخيل، حتى أصبحت مثل سرب النعام الخائف، وتتحد هذه الخيل والنعام في رقتها، وشدة هلعها من المواقف، مما جعل الشاعر يشبهها بالنعام "وعرفت النعامة بالخوف الشديد "[٣] حتى أنها تخرج من المعركة وقد علاها الغبار، وعبست وجوهها، من شدة الهول. يقول :

كَــــــمْ قَــــــدْ تَـــــــرَكنَ مُجَـــــدَّلاً مِــــــنْ بــــــينِ مُنقَــــصِفٍ وَجَافِــــلْ [٤]

هل بَعدَ...

وتتضح قوة هذه الخيول، وقسوتها عند مغادرتها أرض المعركة، وقد تركت جيش العدو، ما بين مقتول، وهارب مهزوم، وقد تخلى عنه أصحابه، من شدة الهول، فكلما يحاول أن ينجو بنفسه،

---

[١] ديوان الأعشى ، ص٤٩٩، شعث :جمع أشعث وهو الأغبر المنتفش الشعر ، الأسنة :الرماح ، تباريها :كأنها لسرعتها تريد أن تسبق الرمح الذي يحمله راكبها ، الجوافل: التي جفلت أي فزعت وهربت مسرعه ، الأياطل جمع أيطل وهو الخاصرة ، لحق الفرس: ضمر .

[٢] عمر ، أحمد مختار " اللغة والون "ط١ ص٤٥-٤٦ .

[٣] الهدروسي ، محمد مرعي ، " نجليات اللون في شعر شعراء المعلقات العشر " ص٢٥٣

[٤] ديوان الأعشى ، ص ٤٩٩ ، جدله: صرعه ، انقصف: انكسر ، جافل: هارب .

أو يستعين بأصحابه، لايجد أحداً ، فجميع أعوانه بين جريح لايستطيع الحركة ، أو هارب يريد النجاة.

ثم ينتقل الأعشى لصورة أخرى من صور الفخر، والاعتزاز، صورة قد تكون أكثر إشراقاً وإحساساً بالأمل يصنعها خيال الشاعر، بعد الإحساس بهذا النصر المكين ، ليبدأ مفتخراً بناقته. يقول:

زَيَّافَـــــــــةٌ أرَمِـــــــــي بِهَـــــــــا بِاللَّيــــــــلِ مُعرَضَـــــــــةَ المَحَافِــــــــلْ [١]

إنها ناقة سريعة في عدوها، يرمي بها الشاعر الليل، كما يرمي الفارس عدوه بالسهم، وهنا يشبه الشاعر ناقته بالسهم، والليل بالعدو، وكأنهما في مواجهة حربية، فهذه الناقة السريعة " لا تقف طويلاً عند هذه الأرض القاسية والليل المخيف، فهما جزء من الرحلة التي قلنا سابقاً إنها رمز للعمل الشاق من أجل امتلاك الأمل "[٢] تؤدي غرض الانتصار على هذه الصحراء، والليل المظلم البهيم، مثل ما يعبر السهم من جسد العدو ، ثم يتركه صريعاً لا يتوقف، عند النتائج بل يمضي لمّا أرسله الفارس فالسهم أداة للانتصار على العدو، كما أن الناقة أداة للانتصار على تلك الصحراء الموحشة، والليل المظلم فكما أن العدو موحش، بالنسبة الأعشى، لا يعلم ماذا يكن له، كذلك فإن الصحراء والليل يمثلان عامل وحشة وخوف عند الأعشى، مما يوجب عليه التخلص منها بسرعة، حتى إن الشاعر ليقسو على ناقته في مواجهة الصحراء والليل الطويل، حتى تصبح هذه الناقة.

---

[١] ديوان الأعشى ، ص ٤٩٩، زاف البعير: أسرع في تمايل ، رمى المكان: قصده ، المحافل :جمع محفل (كمجلس) وهو مجتمع القوم .

[٢] الرباعي ، عبد القادر ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام " ص١٣٣ .

ويقول:

وَكَأَنَّهَــــــا بَعْــــــد الكَـــــلاَ لِ مُكَـــــدَّمٌ مِـــــنْ حُمْـــــرِ عَاقِـــــلْ [1]

مُتَرَبِّـــــــــعٌ مِنْهَـــــــا ريَـــــا ضـــــــاً صَـــــــابَهَا وَدْقُ الهَوَاطِـــــــلْ

حتى أصبحت هذه الناقة بعد تلك الرحلة الشاقة، وكأنها معضضة، مما أصابها من التعب والعناء، لتقف للراحة مثل ذلك الحمار الذي يرعى في الروض، مما يوحي هذا اللون الأخضر بالحياة والنشاط، والتقاط الأنفاس، واستعادة الحيوية، وذلك من خلال دلالاته الإيجابية فاللون الأخضر " مريح لأعصاب العين ومهدئ للنفس ومسبب للانشراح، يدل على الحياة والشباب ويحرر النفس [2]" ولا سيما إذا قرن بدلالة من دلالات الرحمة وذلك بما جاد الله تعالى به من الخير، وهطلت الأمطار، مما يبعث الإحساس بالنشوة، والارتياح، والجو الطلق، ويقول :

بَـــــــلْ رُبّ مَجْـــــــرٍ جَحْفَـــــــلٍ يَهْـــــوِى بِـــــهِ مَلِـــــكٌ حُـــــلاَ حِـــــل [3]

غَادَرتُــــــــــــهُ مُتَجَـــــــــــدِّلاً بِالقَـــــــاعِ تَنهَـــــــسُهُ الفَرَاعِـــــــلْ

وَلَقَـــــــدْ يُحَـــــــاولُ أَنْ يَقَـــــــو مَ وَقَـــــــد مَـــــــضَيتْ فِيـــــهِ النَّوَاهِـــــلْ

وقد يستغني الشاعر عن ذكر اللون بألفاظه الصريحة، والألفاظ الدالة على هذا الون، إلا أنه يستخدم الصورة الدالة على ذلك اللون فنجده في الأبيات السابقة يستخدم هذه الصورة الدالة على الألوان – فالجيش العظيم ، لا يخلو من الألوان: ألوان السيوف والدروع، والخيول، وكما أكثر الأعشى من وصف أدوات الحرب، "ولعل هذه الصورة التي رسمها لنا الشاعر قد انتقت من وحدة

---

(1) ديوان الأعشى ، ص ٤٩٩، الكلال: التعب ، مكدم :معضعض ، حمر: جمع حمار ، عاقل :موضع وهناك سبعة مواضع بهذا الاسم ، أطلاء: عظيمة القطب والجمع هو هطل .

(2) دملخي ، إبراهيم " الألوان نظرياً وعملياً " ص٨٢

(3) ديوان الأعشى ، ص٤٠١ ، المجر: والجحفل الجيش ، يهوي :يمضي مسرعاً هوى العقاب انقض وهوة الريح هبت ، الحلال :السيد الشجاع ، جدله: صرعه ، القاع :الأرض السهله المطمئنة ، النهس والنهش: الأكل والأخذ بمقدم الأسنان ، الفراعل: جمع فرعل وهو ولد الضبع ، النواهل :يقصد بها السيوف والرماح التي نهلت من دمه أي شربت

الخيال، والتي انبثقت من تلك التأملات، والمشاهدات، وما قد حازه من معاناة وتفكير، وبعد أن حاز الأعشى لتلك الراحة والنعيم، من قيس بن معد يكرب، جعله يخلد للراحة والتأمل ليبدأ في رسمٍ لهذه الصورة "[1] والتي تحمل طياتها، العديد من الألوان الدالة على القسوة، ولفتك فهذا الملك المتجدل في أرض المعركة ، لابد أن يتغير لونه، يختلط بالغبار، ويلون الدم ، بسيل دمه بسبب نهش الضباع للحمه، وقد يكون هذا النهش أثناء الليل، مما يزيد المواقف وحشة وألماً.

و في البيتين يرسم الأعشى صورة للصراع بين الحياة والموت، فهذا الصويب، كلما حاول أن يقوم لم يستطع، وكيف ينهض وقد أثقلته الجراح، وخرقت جسده النبال والسيوف، حتى أصبح مثل الأسير المكبل بالسلاسل والقيود .

---

[1] ناصف، مصطفى " الصورة الأدبية " دار الأندلس، ط٢،١٩٨١ ص١٢-١٣ .

الجداول الخاصة بالألفاظ الدالة على الألوان في شعر الأعشى

هذا جدول إحصائي للألفاظ الدالة على اللون الأبيض، سواءً دلالة مباشرة، أوغير مباشرة.

اللفظة الدالة على اللون الأبيض	تكرارها في الديوان	رقم الصفحة	البيت
الهجير	٣	٥٣،٥٥،٧٧	١٤،٢٥،٨
نصال	١	٥٣	٩
الأغراب	١	٥٥	١٦
شوك السيال	٣	٥٥،١٤٣،٣٢٧	١٦،٧،١٦
أدماء	٤	٥٥،١٣٩،٣٦٥،٤١٥	،٢٦،٢١،١٠،١٨
الهجان	١	٥٥	١٩
ملمع	١	٥٧	٢٩
الهلال	٣	٥٩،٨١،١٤٧	٤٤،٣٢،٣٤
بيضاء	٥	٦٧،٧٥،٢٠٣،٢٤٧	، ١٧،٧٤،٣،٢٣
اللبن	١	٦٧	١٧
ذاهبة	١	٧٥	٧٣
غدوة	٦	٧٧،١٣٥،٢٥١،٢٦٥،٣٥٩،٣٩٣،٤٠٩	،١،١٥،٤٩،٢،٢،٢١
النهار	١٣	٧٧،٩٩،١٥٥،٢٣٧،٢٦٣،٢٧١،٢٧٧،٢٩٩،٣٣١	٣٢،٣١،٧،١٧،١،١٧،٢٣،٤٢،٢
السحاب	١	٨٣	٤٦
الزجاجة	٣	٨٥،٣٠١،٣٦٧	١٠،٤،٨
أبيض	٣	٨٥،١١٣،٢٨٥	١٦،١٢،١٣
هاجرة	٢	٨٧،١٨٥	١٠،٢٣
الصباح	٨٥	،٢٩٥، ٨٧،٨٩،٢٣٧،٢٧٩،٣٤٥	٩، ١،٢١،٣٤،٢٧،١٥،٣٣،٢٦
جون	١	٨٩	٣٦
اللؤلؤ	١	٨٩	٤٤
الشيب	١١	٩٥،١٥١،١٥٧،١٦٧،١٨٥،٢٦٧،١٩٣،٢٠٥،٣٠١،٩٥	٩ ،٨،٨،٢،٥٠،٤٣،٤،٣،٢٦،٢٠،٢
باكرتها	٣	٩٥،٢٥٣،٣٩٧	٧،١٣،١٢
الشروق	٣	٩٥،٢٤٥،٣٨٩	٤،٢٢،١٣
ازهر	١	٩٧	١٦
غربا	١	٩٧	١٦
بيض	٩	٩٧،١٨١،٢٠٩،٢٣١،٢٥٥،٢٦٥،٣٥٣،٣٦١،٣٨٧	،٢٠،٥٦،١٤،٢٧،٥٠،٢٤،١٩،٤
الغدو	٢	٩٧	(٢٨،٢٤)
الأدم	٤	،١٠١،١٤٣،٢٩٥،٣٦٣	٣،٢،٣٤،٥٨
أنيابها	١	١٣٣	٦
غديه	١	١٣٣	١٣
ضحاها	١	١٣٣	١٤
بياض	١	١٣٩،٣٦٣	٩،٤
ثنايا	١	١٣٩	٤
بيض	٣	١٣٩،٣١١	١٠،١٠،٥
النجوم	٥	١٣٩،١٤٩،٣١١،٣٨٥،٤١٥	١ ، ١١ ،١٠ ،١٢،٩

البيت	رقم الصفحة	تكرارها في الديوان	اللفظة الدالة على اللون الأبيض
١١،٧	١٤٣،١٨٩	٢	مشرق
١٦	١٤٥	١	براقة
٢٨،١٧	١٤٥،١٥٥	٢	المهاة
٣٣	١٥٥	١	الفيقة
٣٨	١٥٥	١	صبحها
٥١	١٥٧	١	أغر
٢٢،٥١	١٥٧،١٩١	٢	أبلج
٦٤	١٥٩	١	السلوى
١	١٦٣	١	أشيب
٤٠	١٦٧	١	الليث
٢٢	١٧١	١	ساطع
٣،١٧،١٥،١٢	،١٧٩،٢٦٩،٢٨٩،٢٨٩	٤	ضحى
٥	١٧٩	١	برداً
٢٢	١٨١	١	غدوت
٦،٢٤	١٨١،٣١٣	٢	غرانق
٣،٥	٢٧٧، ١٨٥	٢	شبت
١٤،٣٧،٢١،١٢	٢٣٩،٢٤٩،٣٣٧،٤٢١	٤	السيف
٥١،٢٤	٢٤١،٢٧٣	١	ضوء
٧	٢٤٥	١	ثغاما
٣٢	٢٤٩	١	منير
٣٧	٢٤٩	١	حسام
٨	٢٥١	١	أحقب
٢٧	٢٥٥	١	العقيق
٦	٢٥٧	٢	الوبيص
٧،١١	٢٠٣،٢٥٩	٢	الاقحوان
١٦،١٣	٢٦١،٣٦٩	٢	العظام
٤٩	٢٦٥	١	درمك
٤٩	٢٦٥	١	صبوح
١١	٢٦٧	١	حوراء
١١	٢٦٧	١	ديسق
٤	١٨٩	١	البهجة
٥	١٨٩	١	المرمر
٦	١٨٩	١	بيضة
١١	١٨٩	١	درة
٢٢،٣،٥	١٩١،٣١٩،٤١٩	٣	القمر
٥،٢٢	١٩١،٤١٩	٢	الباهر
٥٥،٥٣	١٩٧،٢٧٥	٢	رونق
٣	١٩٩	١	دلامص
٣	١٩٩	١	تقمرها

اللفظة الدالة على اللون الأبيض	تكرارها في الديوان	رقم الصفحة	البيت
الفقع	١	١٩٩	٦
ضحوتها	١	٢٠٣	٣
ترف	١	٢٠٣	١٠
منور	١	٢٠٣	١١
النجم	٢	٢١٣،٣٢٩	٣٩،١٢
يبرق	١	٢٧٣	٤٦
يغدو	١	٢٧٥	٥٨
المهارق	١	٢٧٩	١٣
صبح	١	٢٨٩	١٢
مصابيح	١	٢٩٣	٤٦
ينجلي	١	٢٧٩	١٢
شارق	١	٢٧٩	١٣
الصبح	٢	٢٩٧،٣٦٩	١٣،١٣
السيوف	٢	٢٩٩،٣٦٥	١٦،١٤
وديقة	١	٣٠٥	٣٨
يبرق	١	٣٠٩	٤
بارقة	١	٣١٣	١
صحبتهم	١	٣٣١	٦
قمير	١	٣٣٥	١٠
غراء	١	٣٣٧	١٤
برقا	٢	٣٣٩،٣٩١	١،٣٤
يصبحنا	١	٣٤٣	١٠
الشعرى	٢	٣٤٧،٤٢٣	١٢،١٨
صبحناهم	٢	٣٥٣	٢٢،٢١
أسياقنا	٢	٣٥٧،٣٩٣	٧،٣
بيضة	٢	٣٥٧	٥،٥
الهندي	١	٣٦١	١٤
صبحهم	١	٣٦١	١٧
المشيب	١	٣٦٣	١٠
أضاءت	١	٣٧١	٨
زهر	١	٣٧١	٧
الفتاق	١	٣٧١	٩
نجومها	١	٣٧١	١٣
الثريا	١	٣٧١	١٤
السعود	١	٣٧١	١٤
باكرات	١	٣٧١	١٦
الجليد	١	٣٧٥	٢٦
ظبية	١	٣٨٣	٣
الهجان	١	٣٩٧	٦

البيت	رقم الصفحة	تكرارها في الديوان	اللفظة الدالة على اللون الأبيض
١٣	٣٩٧	١	المهندة
١	٣٩٧	٢	مبتكر
١٢	٤٠٣	١	غر
١٣	٤٠٣	١	تلؤلؤها
١٣	٤٠٣	١	اللجين
١٤	٤٠٣	١	متهلل
١٥	٤٠٣	١	الفاثور
١٥	٤٠٣	١	الصريف
٢٢	٤٠٥	١	أبرقن
٢٣	٤٠٥	١	الدمقس
٣	٣٠٧	١	الرئم
٢٨،٢	٤١١،٤١٥	٢	شاب
٤	٤١١	١	يانع
٩	٤١١	١	أعيس
١٤	٤١٣	١	البوارق
١٤	٤١٣	١	كوكبا
١٤	٤١٣	١	ثقابا
٩	٤١٧	١	زهراء
٥	٤١٩	١	ضوئها
١١	٤٢١	١	البانها
١٨	٤٢٣	١	الضباء
٢٥	٤٢٣	١	المضيئة

وفيما يلي جدول إحصائي، للألفاظ الدالة على اللون الأسود.

اللفظة الدالة على اللون الأسود	ورودها	رقم الصفحة	البيت
عاتم	١	١٢٧	١٣
هجعة	٢	١٣٣،٣٤٣	٦،٢
عشاتها	١	١٣٣	١٣
أمسى	٥	٢٧٩،٣٣٩،٣٥١،٤١١،٤١٥	٢٢،٢٧،٣،١،٢
غراب	١	١٥١	٨
الدلجة	١	١٥٣	٢٢
الضوع	١	١٥٣	٢٣
الفيء	١	١٥٥	٣٠
اسادهن	١	٢٢٣	١٥
أسمر	١	٢٣٧	٨
مساد	١	٢٣٩	٥
نيام	١	٢٣٩	١٤
أدكن	١	٢٤٧	١٦
القتام	١	٢٤٩	٢٦
ظل	١	٢٤٩	٢٩
تغرب	١	٢٥١	٢
أمست	١	٢٦١	١٦
قهباء	١	٢٦٣	٢٩
الترس	١	٢٦١	١٩
اغثباق	١	٢٦٥	٤٩
أسحم	٣	٢٦٩،٢٧٥،٣٤٥	٢٤،٥٣،٢٥
أسرى	١	٢٧٣	٤٨
بات	٥	٢٧٥،٣٤٥،٣٥١،٣٧٥،٤١٣	٥٢،١٨،٨،٢٦،١٣
العشيات	٢	١٨٧،٢٧٥	٢١،٥٦
يروح	١	٢٧٥	٥٨
سوداء	٣	١٨٩،٢٧٥،٢٧٧	٨،٥٩،٦
العشاء	٢	٢٧٩،٣٦٣	١٧،٧
الروح	١	٢٨٧	١
دلج	٢	٢٨٧،٢٩١	٦،٢٥
ليالي	١	١٦٩	٣
حبشيا	١	٢٩٣	٤٢
الدجى	١	٢٩٣	٤٦
سود	٦	١٧٧،٢٠٣،٢٩٥،٢٩٧،٣٧١،٣٧٣	٥٧،١٢،٦٠،١١،٩،٠
تكشف	١	٢٩٧	١٢
إعتاما	١	٢٩٩	١٧
غرابها	١	٣٠٣	٢٧

اللفظة الدالة على اللون الأسود	ورودها	رقم الصفحة	البيت
نام	١	٣٠٣	٢٨
أكحل	١	٣٢٥	٦
أحم	١	٣٢٥	٧
النوم	١	٣٣٥	٤
أدهم	٢	٣٠٤،٣٤٧	٣،٣٨
أظلم	١	٣٤٥	١٣
أسفع	١	٣٤٥	١٦
الأرندج	١٠	٣٤٥	١٧
عظما	١	٣٤٥	١٧
أقتم	١	٣٤٥	١٩
الصريمة	١	٣٤٧	٢٨
يظلم	١	٣٤٧	٣٢
سدف	١	٣٦١	٢٢
كحلا	١	٣٦١	٢٣
سمرت	١	٣٦٣	٧
الظلماء	١	٣٦٥	٢٤
أحور	١	٣٧١	٨
الأصائل	١	٣٨٩	١١
الغبوق	١	٤٠٥	٢٩
أصلا	١	٤٠٩	٢١
مغرب	١	٤٠٩	٢٢
تسهرني	١	٤١٥	٢
سرى	١	٤١٧	١٣
ظلماته	١	٤٢٣	٢٣
مظلمة	١	١٥٩	٦٣
سواد	١	١٧٩	٥
ادلاج	٢	٥٣،٨٧	٨،٢٣
السرى	٨	٢٧٩،٥٧١،٢٥٧،١٧٣،١٤٧،١٢١،٨٧، ٥٧	٣٤، ٢٠ ،٢٩، ٣٢ ، ٣١ ،١٠، ٢٧ ، ١٥
الليل	١٤	٦٧ ،٧٧، ١٠٩، ١٢١ ،١٢٣، ١٢٧، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٩، ١٥٣، ٢٤٧ ، ٢٧١ ، ٣٢٩	٢٢، ٢، ٣١ ،١٦، ٤٠ ١٣، ٦ ،٩، ١، ٤٧، ٢٣ ١٣، ٣١، ٣٢ ،
كاسف	١	٦٩	٣٠
الدخن	١	٧٣	٦٤
بت	٤	٧٧،١١٩،٣٠٣،٣٤٣	٥،٦،٢٨،٢
الظلام	١	٧٧	٦
يهماء	٢	٧٧،٩٣	٧١،١٢

اللفظة الدالة على اللون الأسود	ورودها	رقم الصفحة	البيت
ظلالها	١	٧٧	١٣
الغيم	١	٨٩	٣٩
العشي	٣	٩١،٩٧،١٣٥	٤٨،٢٨،١٥
ليالينا	١	٩٥	٧
نواف	١	٩٥	١٢
الفصوص	١	٩٥	١٢
الرامسات	١	٩٧	١٨
ليلة	١٣	٩٩، ١٠١ ، ١٠٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٧، ١٤٥، ١٨٥، ٢١٧، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٧٧، ٣٢٩،	٤٣، ٤٨، ٦٧، ١، ٢٩، ١٣، ١٩، ١، ٣٣، ٣٠، ١٩، ١، ٣٢
فرعاء	١	١٠٥	٢
الدجن	٢	١٠٥،٣٤٣،	١١،١٠
أساود	١	١١٥	٦
الساري	١	١١٥	١١
ظلمة	١	١١٩	٥
ليلاً	٢	١١٩،٢٤٧	٩،٢٣
جونة	٢	١١٩،٢٩١	١١،٣٥
فباتت	١	١٢١	٢٢
عنياء	١	١٢٣	٣٠
أسود	٣	٥٧،١٢٧،٣٤٣	٣٧،٣،١٣
يبيت	٢	١٢٧،٢٦٣	١٣،٢٨
حبشية	١	١٨٣	٣٢
غبراً	١	١٨٣	٣٢
أدلج	٢	١٨٥،٢١٧	٩،٣٨
السامر	١	١٨٩	٤
تقمرها	١	١٨٩	٣
عشاء	١	١٩٩	٣
تبيتون	١	١٩٩	١١
الدعامص	١	٢٠١	١٣
الأصيل	١	٢١٣	١١
أحقب	١	٢١٥	١٥
نام	١	٢٢١	٤
الغداف	١	٢٢١	١١

وهذا جدول إحصائي يبين الألفاظ الدالة على اللون الأحمر، الواردة في ديوان الأعشى:

الكلمة الدالة على اللون الأحمر	ورودها	رقم الصفحة	رقم البيت
الشرعبي	١	٥٩	٢٧
الراح	٦	٦٧،١٣٣،٢٠٥،٢٦٧،٢٦٧،٢٦٩	١٤،١٣،٢٥،٦،١٠،٢٤
كميت	٨	٧١،٨٩،١٠٣،١٢١،١٣٣،٢٢٣،٢٦١،٣٤٧	٤١،٦٠٤١،١٩،١١،١٩،٢٣،٣٨
الدم	٥	٧٧،١٥٥،١٧٣،٢٣١،٣٩٧	٩،٣٤،٣٤،١٦،٦
جوبال	١	٧٧	٩
صهباء	٦	،٨٥،١٧٩،٢١٣،٢٣٩،٣٦٩	١٠،٧،٩،٥،١٣
الدما	٢	١٠١،١١٣	٤٧،٦٤
احمرار	١	١٠١	٥٨
ناراً	٤	٩٧،١٠٣،٢٧٣،٢٩١	٢٩،٦٧،٥١،٢٨
الأصل	١	١٠٧	١٦
الشعل	١	١٠٧	٢٢
حمرة	١	١٢١	١٩
فرصادها	١	١٢١	٢١
ماء النيء	١	١٣٣	١٠
كمتة	١	١٣٣	١١
النار	٦	١٦٣،٢٣١،٢٧٥،٣٦١،٣٧٣	١١،١٨،٥٢،١٤،١٥
القمع	١	١٥٣	١٨
مخضب	٢	٢٥١،١٦٥	١٢،٢٣
الخضاب	١	٢٠٣	١٣
عين الديك	١	٢٥٣	١٣
الزعفران	١	٢٥٣	١٤
العندم	١	٢٥٣	١٤
حريقاً	١	٢٨١	٣١
النجيع	١	٢٨٩	١٤
مجمراً	١	٢٩١	٣١
الذبح	١	٢٩١	٣٣
النيران	٢	٢٩٧،٤٢١	١١،١٠
حمر	٢	٢٩٩،٣٩٩	٢٤،٨
حمراء	٢	٣٠٣،٣٤٣	٢٢،٢
شهابها	١	٣٠٥	٣٩
المزاء	١	٣٠٧	٥٠
الدرياق	١	٣١٥	١٠
خضابه	١	٣٣٧	١٤
عندما	١	٣٤٣	٢
بقما	١	٢٠٣	٧

الكلمة الدالة على اللون الأحمر	ورودها	رقم الصفحة	رقم البيت
دما	١	٣٥٣	١٩
دمائهم	١	٣٥٥	٢
سعير	١	٣٥٥	٤
دمائنا	١	٣٥٧	٦
مرجانة	١	٣٦١	٢٥
الأرجوان	١	٣٦٣	٥
نارك	٢	٢٨٩،٣٧١	٢٣،٦
الخمر	١	٣٩٧	٥
أسفع	١	٤١١	١١
أحمر	١	٤٢١	٨

وهذا جدول نبين من خلاله الألفاظ الدالة على اللون الأصفر في ديوان الأعشى، سواءً كانت ألفاظاً تدل دلالة مباشرة، أو غير مباشرة :

الكلمة الدالة على اللون الأصفر	ورودها	رقم الصفحة	رقم البيت
الأضريح	١	٥٩	٤٧
نضاراً	١	٩٧	١٦
الشمس	١٦	١٠٧، ١١٥، ١٥٧، ١٧١، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٩٧، ٣٠٥، ٣١٩، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٢٣، ٤٢٣	١٥، ١١، ٣٨، ٤٦، ١٥، ٢٢، ٢، ١٢، ١٢، ٣٩، ٣، ٢٢، ١٥، ٢٠، ٢٥
الذهب	١	١٨٩	٥
جريال	١	١٨٩	٥
صفراء	٣	٢٠٣،٢٦٩،٣٠٥	٣،٢٠،٣٢
العرارة	١	٢٠٣	٣
أصفر	١	٢٧٣	٢٧
الزبيب	١	٣١٥	١٠
النضارة	١	٣٦٥	١٩
الورس	١	٣٧٣	٢٤
صفر	١	٣٨٥	١٨
الحص	١	٤١٥	٢٦

وهذا جدول إحصائي للألفاظ الدالة على اللون الأخضر في ديوان الأعشى:

اللفظة الدالة على اللون الأخضر	ورودها	رقم الصفحة	رقم البيت
الروض	٣	،٥٣،١٠٩،١٦٩	٥،٢٩،١٠
الهدال	١	٥٣	١٢
نبع	١	٥٧	٣٨
الشوحط	١	٥٩	٤٨
الريف	١	٦٧	١٥
النخل	٥	٧١،٨٩،١٧٧،١٧٧،٢٢٧	٤٠،٤٠،٥٦،٥٧،٢٤
مخضرة	١	٨٣	٥١
سدم	١	٨٧	١
الزروع	٣	٩٣،١٠١،٣٨٩	٦٩،٥٥،٨
الأثل	٢	١٠١،٣٥١	٥٦،٦
الزار	١	١٠١	٥٦
المرخ	١	١٠٣	٦٥
العفار	١	١٠٣	٦٥
عشرق	١	١٠٥	٤
روضة	٣	١٠٧،٢٧٩،٤١٥	١٤،٢٢،٢٧
خضراء	٢	١٠٧،٢٧٩	١٤ ،٢٢
خصبة	١	١٦٩	٨
الأيكة	١	١٧٩	٤،٥
نخلاً	٣	٢٠١،٢٠١،٣٤٧	١٤،٢٤،٣٧
زرعاً	١	٢٠١	٢٤
الورقاء	١	٢٠١	٢٥
الأعناب	١	٢٢٣	٢٥
النواصف	١	٢٥٩	١٠
المرد	١	٢٥٩	١١
الأراك	٣	٢٥٩،٣٢٩،٤١٧	١٢،١٠،٧
الكناس	١	٢٦١	٢٥
أرطاة	٣	٢٦٣،٤١٣	٢٨،١٣
جن التلاع	١	٢٦٥	٤٢
مخضراً	١	٣٣٩	٣١
غصون	١	٣٧٥	٢٧
معشاباً	١	٤١٥	٢٧

وهنا نورد جدولاً إحصائياً للألفاظ الدالة على تعدد الألوان:

الكلمة الدالة على تعدد الألوان	ورودها	رقم الصفحة	رقم البيت
الريش	١	٥٣،٣٨٩	٩، ١١
الكباث	١	٥٣	١٢
بُرد	٢	٦٧،٣٤٩	٢٣،٤٠
الحلي	٢	١٠٥،١٢٧	٤،٤
زبرجدة	١	١٤٥	٢٢
ياقوتة	٢	١٤٥،١٢٧	٢٢،٤٨
الوعل	١	١١١	٤٩
الأعصم	٢	١٠١،٢٨٣	٣،٥
الورد	٣	٢٢٣،٢٥١،٣٩٧	٢٠،٥،١٤
الياسمين	١	٢٢٣	٢٠
أنماط	١	٢٥١	٥
الأطواق	١	٢٥٩	٦
الريحان	١	٢٦٧	١٠
المسفع	١	٢٨٣	٨
أطحل	٢	٣٢٥،٣٢٩	٩،٣٧
زهر	١	٣٢٥	١٠
أطلس	١	٣٢٩	٣٦
النعام	١	٣٣٩	٣٥
الجلسان، البنفسج، والسبيسنبر، المرزجوس	١	٣٤٣	٨
الصدف	١	٣٦١	٢٥
العبقرية	١	٣٧٣	١٦
النجود	١	٣٧٣	١٦
جدد	١	٣٧٥	٢٥
الزبيب	١	٣٨٥	١٨
حدوج	١	٣٩٣	٢
الشرعبي	١	٤٠١	٨

الخاتمة

لقد كشفت الدراسة عن مدى معرفة الأعشى بأهمية اللون في القصيدة، وذلك من خلال توظيفه للون في النص الشعري، لرسم الصورة الفنية، وتشكيل المعنى الشعري، الذي يحاول الشاعر من خلاله التعبير عن مكنوناته، وأحاسيسة، وانفعالاته، وذلك من خلال استخدامه للألوان بشكل مكثف، فقدأبدع في إدخال اللون في تراكيبه الشعرية، ودمجه بالصورة، وذلك من خلال ما يراه أو ما يتخيله، وكأنه رسام يمزج بين الألوان والمنظر الذي يريد رسمه.

فقد كان الأعشى يستخدم الألوان بحسب ما توحي به من دلالات، سواء أكانت دلالات إيجابية أم سلبية، فعلى مستوى اللون الأبيض فقد استخدمه للتعبير عن الجمال، ونقاء العرض، وصفاء السريرة وذلك من خلال وصف المرأة بالبياض، وتشبيهها بالظبية، والثور الوحشي، كذلك تشبيه الرجل الكريم بالسيف، في نقائه ولمعانه.

كما وظف الشاعر اللون الأبيض بدلالاته السلبية ،وخصوصاً تمثله في لون الشعر، لما يوحي بالشيخوخه والتقدم في السن.

وفي إطار اللون الأسود، فقد استخدمه الشاعر بدلالاتيه السلبية والإيجابية، وعلى نطاق دلاته السلبية فقد جعله محل الكآبة، والحزن والخوف؛ أما دلالته الإيجابية، وذلك من خلال وصف شعر المرأة وعينيها، وجعل الليل محلاً للؤنس والسمر، ومقابلة المحبوبة.

أما اللون الأحمر فقد استخدمه الأعشى بدلالاتيه السلبية والإيجابيةأيضاً، فتارةً يجعله دالاً على الجمال واللذه، من خلال وصف الخمرة ،وربطها باللهو مع المحبوبة، وتارةً يستخدمه بدلالته السلبية، حين الإيحاء بالخوف والقسوة من خلال وصفه لنتائج الحرب.

أما اللون الأخضر فقد اقتصر الشاعر على دلالته الإيجابية، وذلك من خلال دمجه باللون الأبيض ،لما يوحي به هذان اللونان من الجمال، والإحساس بالحياة والنمو، والتفاؤل، وذلك من

خلال وصفه للطبيعه الخضراء، وربطها بالظباء التي كانت صورة حاضرة في خيال الأعشى، ليعبر منها إلى تذكر المحبوبة .

وفيما يختص باللون الأصفر، فقد كون ثنائية مع اللون الأبيض، كما كان الحال مع اللون الأخضر، فقد استخدم اللون الأصفر بدلالته الإيجابية من خلال ثنائية مع اللون الأبيض، وجعله رمزاً للجمال والحسن، فقد شبه المحبوبة بالشمس؛ لكثرة تطيبها وادهانها بالزعفران.

ولم يستخدمه بدلالاته السلبية إلا في أبيات قليلة، لا تكفي لأن تكون محلاً للدراسة، لذلك اقتصر الباحث على إيراد اللون الأصفر مرتبطاً باللون الأبيض.

ومما يثير الدهشة وينم عن معرفة الشاعر بأهمية الألوان استخدامه لهذه الألوان والجمع بينهما في النص الشعري الواحد.

وصلى الله على سيدنا محمد

قائمة المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.

١- إبراهيم، عبد الحميد "قاموس الألوان عند العرب"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، ١٩٨١م.

٢- ابن الأثير، ضياء الدين "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، قدمه وحققه أحمد الحوفي، وبدري طبابنة، دار النهضة، مصر، الفجالة، القاهر.

٣- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٠٦) "الأغاني"، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٤- أمين، أحمد "فيض الخاطر"، دار النهضة، القاهرة، مصر، (د.ت)، ط١.

٥- الأندلسي، ابن هذيل "خلية الفرسان وشعار الشجعان"، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان.

٦- الأندلسي، احمد بن محمد بن عبد ربه "العقد الفريد"، (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق د. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١.

٧- الأنصاري، حسان بن ثابت "ديوان حسان بن ثابت الأنصاري" شرحه الأستاذ عبد أمهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤، ط٢.

٨- جبري، شفيق، "الفن والأدب"، القاهرة، مصر، (د.ت)، ط١.

٩- الجرجاني، عبد القاهر "دلائل الإعجاز"، قرأه وعلق عليه، أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٠- الجرجاني، عبد القاهر (ت ٤٧١- ٤٧٤هـ)، "أسرار البلاغة" تحقيق علي رمضان الجزي، منشورات شركة ELGA، مالطا، ط١، ٢٠٠١، ط١.

١١- حسين، محمد محمد، "أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة بين الأعشى والجاهليين" الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية.

١٢- الحموان، أحمد سلامة، "الأبعاد الدلالية والجمالية للون في شعر ابن المعتز". رسالة ماجستير، جامعة اليرموك – اربد – الأردن، ١٤٢٩، ٢٠٠٨ م.

١٣- حمود، محمد، الأعشى شاعر الحب والخمر"، دار الفكر اللبناني، بيروت، ٢٠٠٠، ط١.

١٤- حمودة، يحيى "نظرية اللون"، ١٩٧٩م، ط١.

١٥- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله "معجم البلدان"، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧، ١٩٧٧م.

١٦- الخطيب، عماد علي، "الصورة الفنية أسطوريا، دراسة في نقد وتحليل الشعر الجاهلي"، تقديم، عبد القادر الرباعي، جهينة للنشر والتوزيع.

١٧- الخفاجي، أبو عبد الله محمد بن سعيد بن سنان، (ت ٤٦٦هـ)، سر الفصاحة، تحقيق عد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٦٩.

١٨- درابسة، محمود "تشكيل المعنى الشعري قراءات نقدية في الشعر العربي"، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، دار جرير، ط١.

١٩- الدليمي، سمير "الصورة في التشكيل الشعري"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.

٢٠- دملخي، إبراهيم "الألوان نظرياً وعلمياً"، مطبعة أوفست الكندي، حلب، سوريا ١٩٨٣، ط١.

٢١- ذياب، محمد حافظ "جماليات اللون في القصيدة العربية"، مجلة فصول، م٥، ع٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٨٥م.

٢٢- ربابعة، موسى، قطوف دانية مقال "جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى".

٢٣- الرباعي، عبد القادر "الصورة الفنية في شعر أبي تمام"، جامعة اليرموك، الأردن، إربد، ط١.

٢٤- رياض، عبد الفتاح "التصوير الملون"، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، (د.ت)، ط١.

٢٥- الزركلي، خير الدين "معجمالأعلام"، دار الملايين، بيروت.

٢٦- زهير، بن أبي سلمى "ديوان زهير بن أبي سلمى" اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعارف، بيروت، لبنان، ١٤٢٦، ٢٠٠٠م، ط٢.

٢٧- ابن سيدة، أبي الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي (ت ٤٥٨) "المخصص"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢٨- سيرنج، فيليب "الرموز في الفن والأديان والحياة" ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا، ١٩٩٢م، ط١.

٢٩- شكري، عبد الوهاب "الإضاءة المسرحية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

٣٠- شنوان "الليل في شعر ابن زيدون"، جامعة اليرموك، ٢٠٠٢.

٣١- شنوان، يونس "اللون في شعر ابن زيدون" منشورات جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٩٩م.

٣٢- الصائغ، عبد الإله "الصورة الفنية معياراً نقدياً، منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧، ط١.

٣٣- صالح، قاسم حسن "سيكولوجيا إدراك اللون والشكل"، دار الرشيد، بغداد، العراق، ١٩٨٢.

٣٤- طالو، محي الدين "الرسم واللون".

٣٥- ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي (ت ٣٢٢هـ): "عيار الشعر"، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية، القاهرة، مصر، ١٩٥٦م.

٣٦- طرفة بن العبد "ديوان طرفة بن العبد" شرح الشنتميري، تحقيق دريه الخطيب، ولطفي الصقال، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، ط٢.

٣٧- عبد الحميد، شاكر "التفصيل الجمالي، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني"، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، الكويت، ع ٣٦٧، ٢٠٠١م.

٣٨- عبد المطلب، محمد "قراءة ثانية في شعر أمرئ القيس"، القاهرة، مصر، ط١.

٣٩- عجلان، عباس "عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى"، دار المعارف.

٤٠- عجينة، محمد "موسوعة أساطير العرب"، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٤، ط١.

٤١- العسكري، أبو هلال "ديوان المعاني" شرح احمد حسن سيح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ط١.

٤٢- عصفور، جابر "الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب"، المركز الثقافي العربي، بيروت، الحمراء، ١٩٩٢، ط٣.

٤٣- عمر، احمد، مختار "اللغة واللون"، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٢، ط١.

٤٤- العمري، زينب، عبد العزيز "السمات الحضارية في شعر الأعشى، دراسة لغوية وحضارية"، الرياض، ١٤٠٣، ١٩٨٣.

٤٥- عودة، خليل "صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ن)، ط١.

٤٦- الفريح، سهام عبد الوهاب "الأعشى ومعجمه اللغوي" مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠١.

٤٧- الفيفي، عبد الله بن أحمد "الصورة البصرية في شعر العميان" دراسة نقدية في الجمال والإبداع، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤١٧، ١٩٩٦م، ط١.

٤٨- القرشي، أبي زيد محمد بن أبي الخطاب "جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والغسلام، تحقيق د. محمد علي الهاشمي، دار القلم، دمشق، ط٢.

٤٩- قميحة، مفيد محمد "الأعشى الكبير ميمون بن قيس شاعر اللذة والحياة، دراسة وتحليل"، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٥٠- ابن القيم الجوزية "وصفة المحبين" دار الصفا، ١٩٧٣.

٥١- محمد، إبراهيم، عبد الرحمن "الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية" مكتبة الشباب، ١٩٧٩.

٥٢- محمد، رنا أحمد، "الإشارة في البلاغة العربية" رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠١.

٥٣- محمد، محمد، حسين "ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس"مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،ط٧ .

٥٤- ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الأفريقي (٦٣٠- ٧١١) "لسان العرب" تحقيق عام أحمد حيدر، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٥- موسى، ورفيقة "الإفصاح في فقه اللغة".

٥٦- النابغة، الذبياني "ديوان النابغة الذبياني" تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢.

٥٧- النعيمي، أحمد إسماعيل "الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام" دار سينا، القاهرة، مصر، ١٩٩٥، ط١.

٥٨- النمري، الحسين، بن علي "الملمع" تحقيق، وجيهة أحمد السطل، مجمع اللغة العربية، دمشق، (د.ط) ١٩٧٦م.

٥٩- نوفل، يوسف حسين "الصورة الشعرية والرمز اللوني"، دار المعارف، النيل، القاهرة، ج، م، ع.

٦٠- النويهي، محمد "الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه" دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط).

٦١- الهدروسي، محمد، مرعي "تجليات اللون في شعر شعراء المعلقات" رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠٠٢.

٦٢- ابن وهب الكاتب، أبو حسين بن إبراهيم "البرهان في وجوه البيان" تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، منشورات جامعة بغداد، العراق، ١٩٦٧، ط١.

Abstract

The Colour In The Great A'asha Meimon bin Qais

Prepared by: Mohammad Jar Allaha AL-Thegafy

Supervisor: Proff. Younes Shinwan Shdeifat

The Study was dealt with the phenomenon of colour in great A'asha poetry, and trying to count the contained colours in the poetry of the poet, and revealed its aesthetics and implications, through their reflections and suggestions in Imagery drawn by the poet, and so by analyzing verses.

This study consisted of three chapters, as follows:

Chapter I: Researcher dealt with white colour, black colour and bi- black and white colour connotations.

Chapter II: the researcher dealt with bi- red and white colour, bi-green-and-white colour, bi-yellow-and-white colour.

Chapter III: The researcher has specified to study the application of two texts of the poet.

Appendix: the researcher provided a statistics for words that indicative of white, black, green, yellow colours, and words that indicative of the multiplicity of colours, and word that indicative of colour, and the number of repetition in Diwan, page number, and verse number.